الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
كلية العلـــوم الإنسانيـــة والعلـــوم الاجتمـــاعية
قسم التاريـــخ

# أهل الذمة ودورهم الحضاري بالمغربين الأدنى والأقصى (6ــ10هـ/12ــ16م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ

تخصص : تاريخ وسيط

اعداد الطالبة:
سميرة نميش

اشراف الأستاذ :
د. محمد بوشقيف

أعضاء لجنة المناقشة

| | | | |
|---|---|---|---|
| د. قدور وهراني | أستاذ محاضر (أ) | تلمسان | رئيسا |
| د.محمد بوشقيف | أستاذ محاضر (أ) | تلمسان | مشرفا ومقررا |
| أ.د. نبيلة عبد الشكور | أستاذة التعليم العالي | الجزائر 2 | عضوا مناقشا |
| أ.د. بودواية مبخوت | أستاذ التعليم العالي | النعامة | عضوا مناقشا |
| د. عبد الرحمان بالأعرج | أستاذ محاضر (أ) | تلمسان | عضوا مناقشا |
| د.محمد الزين | أستاذ محاضر (أ) | سيدي بلعباس | عضوا مناقشا |

الموسم الجامعي : 1438 ــ1439هـ/2017ــ2018 م

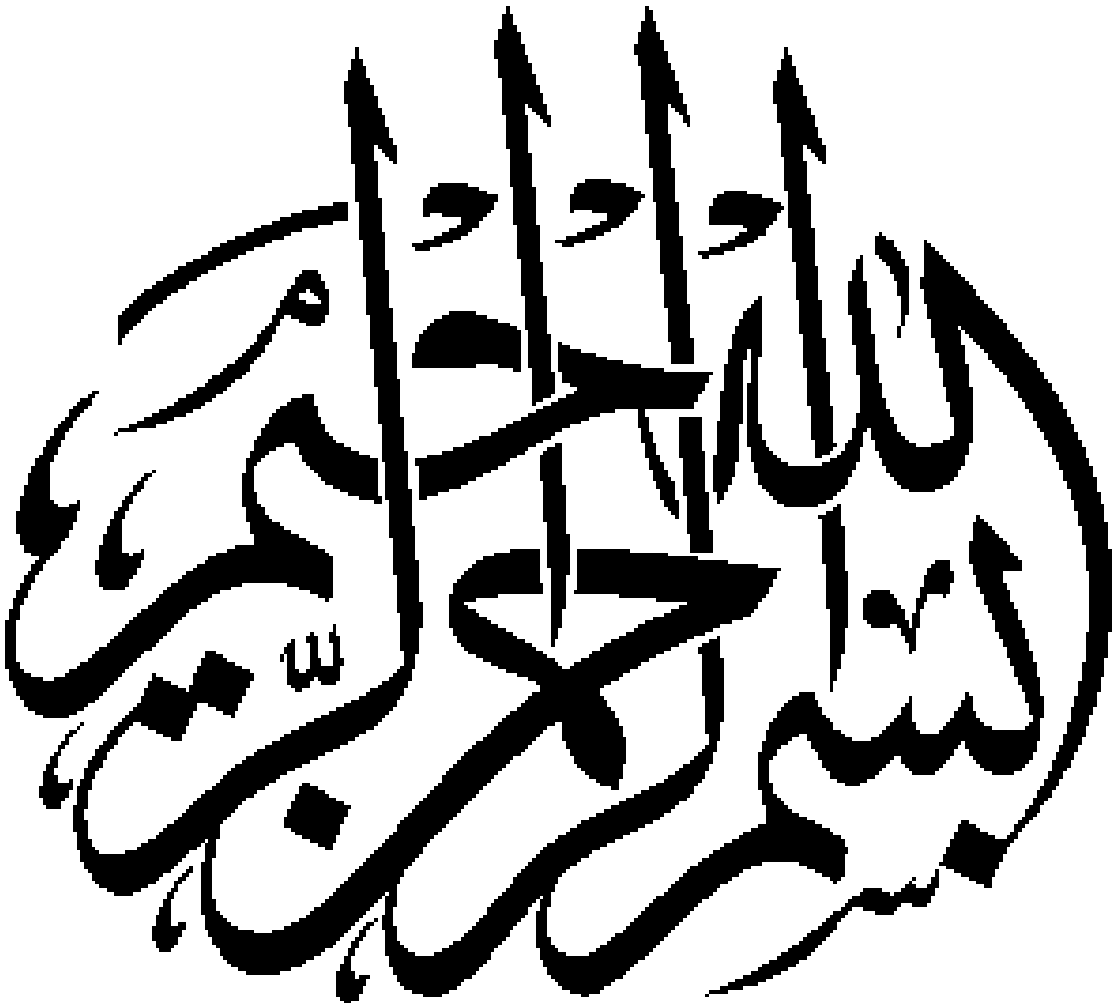

# شكر وعرفان

نشكر الله عز وجل الذي من علينا بإتمام هذا العمل.

أتقدم بشكري الى الأستاذ المشرف الدكتور محمد بوشقيف، الذي كان له الفضل في إتمام هذا العمل بتوجيهاته ونصائحه القيمة، كما أتقدم بشكري الى أساتذة قسم التاريخ وأساتذة قسم الآثار وقسم العلوم الإنسانية بجامعة تلمسان، والطاقم الاداري لمكتبة قسم التاريخ بجامعة تلمسان، والمكتبة والوطنية بالجزائر.

والشكر موصول أيضا الى عمال مكتبة العلوم الإنسانية بجامعة تونس، وأخص بالذكر الأستاذ صالح بعيزيق الذي لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته، والى من ساعدنا بقسم التاريخ بجامعة مكسيم بالدار البيضاء، وأساتذة قسم التاريخ بجامعة القاضي عياض بمراكش وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور محمد خرباش والأمين العام للمكتبة الدكتور كمال فرعوني على مساعدته لنا، دون أن نغفل عن شكر كل من مد لنا يد المساعدة بالمكتبة الوطنية بالرباط والطاقم الإداري لمكتبة محمد الخامس بالرباط.

# إهداء

**الى الوالدين الكريمين**

**الى روح الصغيرة فاطمة الزهراء حمادي الإدريسي**

**الى مرضى السرطان دون استثناء .....**

**أهدي هذا العمل.**

# مقدمة

شهدت بلاد المغرب الاسلامي تحولات سياسية واجتماعية عبر فترات متعاقبة، اذ تمكن الموحدون من توحيد بلاد المغرب الاسلامي، وحاولوا تجسيد مذهبهم الديني على حساب المذاهب الأخرى، فعملوا على نشر المذهب الموحدي وأرغموا الأقليات الدينية المتواجدة بأرض الموحدين على الاسلام واما القتل، لكن لم يدم هذا طويلا فبعد انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب سنة 1212م، قامت بعض القبائل ببناء كيانات سياسية لها؛ فظهرت دولة بني حفص في المغرب الأدنى، ودولة بني عبد الواد في المغرب الأقصى، ودولة بني حفص في المغرب الأدنى.

لقد سعت الدويلات الثلاث الناتجة عن سقوط الموحدين في البناء الحضاري والفكري، وكان ذلك من أجل ارساء وتجسيد الكيان السياسي في بلاد المغرب، وظاهرة البناء والتعمير لم تكن حكرا على الطبقة الحاكمة، بل شاركت في ذلك القبائل البربرية والعربية، وكذلك الأقليات الدينية خاصة اليهود والنصارى، وعليه كان موضوع البحث حول هذه الفئة ألا وهي فئة أهل الذمة وهو كالتالي:

**أهل الذمة ودورهم الحضاري بالمغربين الأدنى والأقصى**

**(6ـ10هـ/12ـ16م)**

فئة أهل الذمة هي من طبقات مجتمعي المغربين الأدنى والأقصى، وقد شاركت هذه الفئة المجتمع المغربي في مختلف مجالات الحياة، سواء سياسية كانت أو اقتصادية، اجتماعية أو مفكرية.

**الاطار الزماني والمكاني:**

ان الفترة التي نقوم بدراستها هي الفترة الممتدة من القرن 6ـ10هـ/10ـ16م، بداية من ظهور الموحدين ببلاد المغرب الاسلامي الى سقوط الدول التي نتجت عن انهزام الموحدين سنة 1212م وظهور الاستعمار البرتغالي بسواحل بلاد المغرب الاسلامي، أما المكان والنطاق الجغرافي الذي خصت به الدراسة هو المغرب الأدنى والمغرب الأقصى.

**أهمية الدراسة:**

تكمن أهمية الدرسة في ابراز الدور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، لكل من اليهود والنصارى بالمغربين الأدنى والأقصى، وتبيان مدى مساهمة المغاربة سواء تعلق الأمر بطبقة الخاصة

أوالعامة قي المساهمة في تعزيز مكانة أهل الذمة ببلاد المغرب الاسلامي، حتى أصبح لهم وزن سياسي وكان لهم دور حضاري، بالاضافة الى ذلك نهتم بدراسة الطائفتين وأثرهم ببلاد المغرب الاسلام سلبيا كان أو ايجابيا.

**أسباب اختيار الموضوع:**

تتمثل أسباب اختيارنا لموضوع الدور الحضاري لأهل الذمة فيما يلي:

1ـ ان معظم الدراسات التي خص بها اليهود والنصارى ببلاد المغرب الاسلامي كان حول الجانب السياسي، والجانب التجاري لهذا ارتأينا أن نخصص في هذا البحث الدراسة الحضارية للطائفتين بالمغربين الأدنى والأقصى.

2ـ الوجود الذمي بالمغربين ان كان قائما بذاته، أم أن هناك ظروف حتمت على هذه الفئتين أن يكونوا ببلاد المغرب.

3ـ المكانة التي وصلت اليها طبقة أهل الذمة خاصة اليهود الذين سيطروا على الاقتصاد، كانت سببا هامة في معرفة الجذور الأولى لليهود والنصارى ببلاد المغرب الاسلامي، والسبب الاخر معرفة العلاقة بين السلطة الحاكمة وأهل الذمة عبر العصور المتعاقبة، خاصة الفترة الوسيطة.

**اشكالية الموضوع:**

تتمحور اشكالية الموضوع حول دور اليهود والنصارى في البناء الحضاري للمغرب الأدنى والأقصى، ومساهمة هذه الفئة في البناء الفكري والاقتصادي لمعظم بلدان المغرب الاسلامي.

وعن هذه الاشكالية تفرعت مجموعة من التساؤلات هي كالتالي:

ـ) هل وجود أهل الذمة ببلاد المغرب كان واقعا منذ القدم؟ أم أن هناك ظروف حتمت على هذه الفئة الهجرة نحو بلاد المغرب؟

ـ) هل كان للوجود الذمي ببلاد المغرب أثرا على المجتمع الاسلامي؟ وما طبيعة العلاقة التي كانت بين اليهود والنصارى ومختلف الفئات الاسلامية في مجتمعي المغرب الأدنى والأقصى؟

ـ) هل كان لاحتكاك اليهود والنصارى بالمسلمين في المغربين الأدنى والأقصى دور وأثر على حياتهم الثقافية؟

ـ) الى اي مدى ساهم أهل الذمة في البناء الاقتصادي لبلدان المغرب الأدنى والأقصى؟

ـ) ما دور اليهود والنصارى في المعاملات التجارية والمالية؟

ـــ) الى أي مدى ساهمت سياسة التسامح الديني في العطاء والازدهار لليهود والنصارى بالمغرب الأقصى والأدنى، وهل كانت هذه السياسة سببا في التراعات السايسة والدينية بين المسلمين وشرائح أهل الذمة؟

ـــ) هل كان لسياسة التسامح الديني ونظام الجوار الذي تمتع به أهل الذمة أثر على انهيار االدول بالمغربين الأدنى و الأقصى في الفترة الوسيطة؟

ـــ) هل كان للمكانة التي بلغها أهل الذمة بالمغربين الأدنى والأقصى دور في ظهور المستعمر على سواحل بلاد المغرب الاسلامي؟

ـــ) ماموقف العامة والخاصة من الوجود الذمي ببلاد المغرب الاسلامي؟

و للاجابة على هذه التساؤلات قمنا بتقسيم البحث الى مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول، للننهي العمل بخاتمة ومجموعة من الملاحق التي كانت في صلب الموضوع.

استهلينا المقدمة بذكر الموضوع واشكالية البحث، كما استعرضنا جملة من المصادر والمراجع التي خصت الدراسة، مع ذكر المنهج المتبع في الدراسة.

أما الفصل التمهيدي فكان عن دراسة أهل الذمة كمفهوم، مع الاشارة الى شروط عقد الذمة و دراسة الحقوق الواجبة لأهل الذمة والحقوق التي عليهم.

يليه الفصل الأول الذي درسنا فيه العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ساهمت في ظهور أهل الذمة ببلاد المغرب، ثم تطرقنا الى أهم الهجرات اليهودية والنصرانية الى بلاد المغرب من القديم الى غاية عهد المرابطين ببلاد المغرب الاسلامي.

أما الفصل الثاني فعنوناه بالدور الاجتماعي لأهل الذمة بالمغربين الأدنى والأقصى، اذ تناولنا فيه الحياة العامة لأهل الذمة بالمغربين الأدنى والأقصى، ومدى مساهمة هذه الطبقة في الحفاظ على عاداتها وتقاليدها في مجتمع يختلف عنه في الأعراف والعادات، لننهي الفصل بدراسة الجانب التعليمي والثقافي للطائفتين اليهودية والنصرانية.

أما الفصل الثالث فتناولنا فيه الجانب الاقتصادي لطبقة أهل الذمة، فدرسنا الجانب الزراعي ودورهم في الانتاج الفلاحي، كما تحدثنا عن أهم الحرف والصنائع التي تميزوا بها لننهي الفصل بالتطرق الى الدور التجاري لكلا الطائفتين ومدى مساهمتهم في المعاملات المالية والمبادلات التجارية.

في حين عنون الفصل الرابع بالدور السياسي لأهل الذمة بالمغربين الأدنى والأقصى، فتناولنا في هذا الفصل أهم المهام السياسية والدبلوماسية لليهود والنصارى، كما تطرقنا الى دور الفرق العسكرية ببلاد المغرب، ثم تحدثنا عن موقف العامة والخاصة وطبقة الفقهاء من الامتيازات التي حظي بها اليهود والنصارى، لننهي الفصل في دراسة أثر كل من اليهود والنصارى في الفتن والاضطرابات السياسية والدينية.

وأنهينا العمل بخاتمة كانت عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات عن ما تحدثنا عنه في الفصول.

في هذا العمل قمنا بتقديم الدور الاجتماعي خاصة وأن معظم الدراسات السابقة كانت تستهل أعمالها بدراسة الوضع السياسي عن الأوضاع الأخر، فالسبب من هذا التقديم هو أننا ارتأينا بما أنه قمنا أولا بدراسة لفئة أهل الذمة سواء تعلق الأمر التعريف أو الهجرات، فكلها يصب في الجانب الاجتماعي، لذلك ارتأينا أن نواصل هذا التسلسل، وبما أن اليهود والنصارى كان لهم دور في ضعف الدول بداية من القرن التاسع هجري، وأثر في سقوط الدول فضلنا أن تكون الدراسة السياسية في اخر العمل.

أما **المنهج** الذي اعتمدت عليه في الدراسة هو المنهج التحليلي، والمنهج الاستنتاجي، كما اعتمدت على المنهج الاحصائي.

أما **المصادر** المعتمدة في البحث فهي متعددة أهمها :

**1- كتب الجغرافيا و الرحلات :**

تزخر بأماكن و منازل الذميين و حياتهم ، و أهم الادوار التي كانت خاصة الجانب الاقتصادي:

**الحميري محمد بن عبد المنعم** في كتابه : الروض المعطار في خبر الأقطار و هو معجم جغرافي تناول فيه صاحبه الأقاليم و المدن و البلدان المغربية التي تمركز فيها أهل الذمة .

**الحسن بن محمد الوزان الفاسي** في كتابه "وصف إفريقيا" ، اعتمدت خاصة على الجزء الثاني، ساعدنا على معرفة الأحوال الاجتماعية، كما سهل لنا دراسة الجانب الاقتصادي لأهل الذمة. .

**البكري أبي عبيد الله** في كتابه المغرب في ذكر بلاد افريقة و المغرب و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، ، وفي الكتاب اشارات واضحة عن وجود أهل الذمة ببلاد المغرب الاسلامي كما أشار الى تارخ قدوم النصارى و أهم المراكز التي استقروا بها.

**كتب التاريخ العام :**

في مقدماتها كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر لعبد الرحمان بن خلدون الذي احتل فيه الجانب السياسي أهمية كبرى و يعد من أهم مصادر القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي.

**كتب النوازل:**

أحمد بن يحي الونشريسي صاحب كتاب **"المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس و المغرب"** ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي أرخت للتاريخ الحضاري لبلاد المغرب الاسلامي، اذ تنوعت قضاياه وتعددت فجمع بين النوازل والفتاوى وذكر أهم مواقف العلماء ببلاد المغرب الاسلامي.

**المراجع:**

من أهم الكتابات التي اعتمدنا عليها في دراستنا هي:

مسعود كواتي من خلال كتابه: **"اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح الى سقوط دولة الموحدين"**، اذ اهتم الكاتب بدراسة الحياة العامة لليهود بالمغرب الاسلامي.

الحسن الغرايب صاحب كتاب: **"مسيحيو المغرب الأقصى في العصر الوسيط"**، من خلال هذا الكتاب يقوم بدراسة وضع النصارى ببلاد المغرب من الفتح الى عشية سقوط الموحدين، كما اهتم شقيقه محمد الغرايب بدراسة وضع اليهود ببلاد المغرب الاسلامي.

فاطمة بوعمامة صاحبة كتاب: **"اليهود في المغرب الاسلامي "** اذ اهتمت بالجانب الاجتماعي والثقافي لليهود وايضا الجانب الاقتصادي.

روبار برانشفيك من خلال كتابه **"تاريخ افريقة في العهد الحفصي"**، اذ يهتم الكاتب وهو مؤخ فرنسي بكتابة التاريخ الاسلامي، فهو من خلال هذا الكتاب يدرس دولة بني حفص، بداية من القرن السابع هجري الى غاية القرن العاشر هجري، وهو كتاب يتألف من جزأين، فاعتمدنا أكثر على الجزأ الثاني.

كما اعتمدنا على مجموعة من الرسائل والمجلات وبعض الكتب الأجنبية التي أثرت الموضوع ورفعت الغموض عن بعض الحقائق.

أما **الصعوبات** التي واجهتنا في الدراسة هي اختلال التوازن بين دوري اليهود والنصارى فأحيانا نجد بأن الطائفة النصرانية لها دور هام في فترة أما اليهود فمعاملاتهم ثانوية، مما صعب علينا التنسيق بين خطوات البحث، بالاضافة الى ذلك ندرة الدراسات حول الجانب الحضري للطوائف ببلاد المغرب الاسلامي.

وفي الختام لا يسعنا الى شكر الأستاذ المشرف الذي كان سبيلا من سبل اتمام هذه الدراسة من خلال التوجيهات والارشادات.

يوم: الثلاثاء 25 اكتوبر 2017

على الساعة 23:30

# الفصل التمهيدي

# أهل الذمة

أولا: مفهوم أهل الذمة

ثانيا: أصناف أهل الذمة

ثالثا: شروط العقد ونواقضه

**أولا: مفهوم أهل الذمة:**

الذمة هي العهد والأمان، وهي بكسر الذال وفتح الميم، فرجل ذمي معناه له عهد[1]، ويذكر المقريزي بأنها العهد والكفالة والضمان وجمعها ذمام.[2] كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "يسعى بذمتهم أدناهم".[3]ويقول الله عز وجل: {لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠ }[4]، أي حلفا ولا ذمة.[5]

والذمة هي العهد، والعهد هو الميثاق، أي ما يجب الوفاء به لأن نقضه بموجب الذم[6]، لقوله تعالى: { وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤ }.[7]

---

[1]- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، تح: علي البشري، ج15، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1988، ص 61.

[2]- أبي الفتح المقريزي، المغرب في ترتيب المغرب، تح: محمد الفاخوري، عبد الحميد مختار، ط1، مكتبة لبنان، بيروت ، 1999، ص 103.

[3]- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، الباب العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص 40؛ أحمد بن حنبل، المسند، ط1، دار الحديث، القاهرة، تح: أحمد شاكر، 1419هـ-1998، ص 253؛ محمد شمس الحق أبادي، عون المعبود شرح أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، ط1، رقم 2751، دار الفكر، بيروت، 2002، ص 338.

[4]- سورة التوبة، الآية 10.

[5]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ص79.

[6]- ابن منظور، المصدر نفسه، ص 265؛ حسن الميمي، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، تق: الشاذلي القبلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 15.

[7]- سورة الإسراء، الآية 34.

فالذمة هي كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من ميثاق فهو عهد الموثق واليمين يحلف بها الرجل، تقول على عهد الله وميثاقه، وأخذت عليه الله وميثاقه[1]، لقوله عز وجل:

{كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ }.[2]

ويرى الفقهاء أن مصطلح أهل الذمة يقصد به من عاهدهم الإمام أو نائبه من غير المسلمين عهدا مؤبدا على أمنهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وعقيدتهم نظيرا للالتزام بدفع الجزية وتنفيذ أحكام الإسلام كلها.[3]

فأهل الذمة هم من يدينون بغير الإسلام ويعيشون في المجتمع الإسلامي محافظين على تدينهم، وعرفوا بذلك لأنهم يدفعون الجزية تأمينا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم.[4]

---

[1]- حسن الميمي، المرجع السابق، ص 17.

[2]- سورة التوبة، الآية 7-8.

[3]- عطية فياض، فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة، ط1، دار النشر الجامعية، مصر، 1999، ص 13؛ يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، دار الشباب، الجزائر، (د.ت)، ص 07.

[4]- النيهاني تقي الدين، الشخصية الإسلامية، ج2، ط5، دار الأمة، بيروت، 2003، ص ص223-227؛ حسين الحاج حسين، النظم الإسلامية، المؤسسة الإسلامية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص 335.

والذمة في جوهرها هي عقد مع الغير إذا هو قبل ورضى ورغب فيه واتبع لازما، فوجب عليه أداء الحقوق وترك المحرمات، وفقا لأحكام الإسلام.[1]

وعقد الذمة يجوز مع أهل الكتاب وغيرهم عربا كانوا أم عجما[2]، فهي لا تؤخذ على النسب وإنما على الدين فوجبت على كل هؤلاء و لم توجب على مشركي[3]، إذ أن دعوة الخارجين عن الدين والمشركين كانت بحد السيف لقوله تعالى: {فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ }.[4]

أما عن أهل الذمة فقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بهم خيرا، فقد روي عنه أنه قال: "إذا فتحت مصر استوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما"[5]، وفي هذا الباب نذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاملته لأهل الذمة معاملة حسنة وطيبة إذ روي عنه قائلا: "أوصيكم بذمة الله فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم".[6]

---

[1]- علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تح: علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ج9، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص 112.

[2]- نفسهص 110.

[3]- الماوردي أبي الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: سمير مصطفى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2001، ص 183.

[4]- سورة التوبة، الآية 05.

[5]- الطبراني، المعجم الكبير، تح: عبد المجيد السلفي، ج23، مطبعة الأمة، بغداد، (د.ت)، رقم الحديث 111، ص 61.

[6]- البخاري، المصدر السابق، مج2، الباب الثاني، ص 397.

وقد عامل الخلفاء الراشدون أهل الذمة معاملة طيبة، فلا يؤذونهم ولا يهدموا كنائسهم، خاصة وإن هم سلموا الجزية مقابل حصولهم على الأمن والأمان، وهذا ما حدث في زمن خالد بن الوليد سنة 13هـ، إذ أبقى على كنائس النصارى وبيع اليهود داخل المدن وخارجها، وأوصاهم بأن لا يهدموا منها شيئا ولا يغيروا ما فيها لاسيما الصليب.[1]

**ثانيا: أصناف أهل الذمة:**

إن مصطلح أهل الذمة لا يرتبط بأهل الكتاب فحسب، وإنما له صلة وثيقة بكل إنسان غير مسلم يعيش في المجتمع الإسلامي ويدفع الجزية[2] مقابل توفير الأمن والأمان، فيجوز بذلك عقد العهد والذمام معهم فقد قال الله عز وجل: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ }.[3]

وتتألف فئة أهل الذمة من اليهود والنصارى و الصابئة و المجوس و السامرة وقد عاشوا وسط المجتمع الإسلامي وفق عهود ترعى وتؤمن مصالحهم مقابل جزية يدعونها.[4]

**اليهود:**

[1]- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ط1، 2001، ص 35.

[2]- موفق الدين ابن قدامة، المغنى، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط3، ج13، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997، ص ص 207-209.

[3]- سورة المائدة، الآية 69.

[4]- محمد بن عبد الله الخرشي، حاشية الخرشي، ضبط وإخراج آياته وأحاديثه زكريا عميرات، ط1، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 76.

يذكر الشهرستاني بأن تسمية اليهود جاءت من كلمة هاد أي تاب ورجع[1]، وهي من الهوادة، الهودة والتهود، وهي كقول سيدنا موسى عليه السلام: {إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ ﴿١٥٦﴾}[2] "أي تبنا ورجعنا عن عبادة العجل".

أما ابن منظور فيقول: هو، الهود، التوبة، هاد، يهود، هودا وتهودا أي تاب ورجع إلى الحق فهو هائد.[3]

وقد عرف اليهود عبر العصور عدة تسميات من بينها الإسرائيليون أو إسرائيل وهذا الاسم البديل ليعقوب، أما العبري أو العبريون فسموا بها بعد مهاجرتهم كلدان إلى كنعان سالكين النهر أثناء عبورهم، أما تسمية يهود فتدل على أحد أبناء يهودا أحد أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام.

انقسم اليهود إلى أربع فرق: الربانيين وهو الذين يأخذون بالتلموذ، والعنانيين نسبة إلى عنان بن داود رأس الجالوت يخالفون غيرهم في السبت والأعياد ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه وقالوا أنه لم يخالف التوراة.[4]

أما السامريين أو السامرة[5] فهم قبيلة من قبائل بني إسرائيل، تفرقوا في البلاد الإسلامية بعد وفاة سليمان بن داود عيهم السلام سنة 795ق.م، وهم فئة من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وإليهم ينسب "السامري" الذي عبد العجل الذي سمع له خوار[6]،

---

[1]- أبي الفتح محمد الشهرستاني، الملل والنحل، تع وتص: أحمد فهمي محمد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992، ص 1247.

[2]- سورة الأعراف، الآية 156.

[3]- ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص 439.

[4]- محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1970، ص 19؛ حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا1999، ص 205-206.

[5]- المقريزي، المصدر السابق (الخطط)، ج4، ص 381، 383.

[6]- ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص 280.

وقد زعم هؤلاء بأن التوراة التي عند ليست التوراة التي أوردها موسى عليه السلام، كما أنهم يعتقدون بأن مدينة القدس هي نابلس ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه وقبلتهم جبل يقال له جرزيم[1]، وهي بدورها انقسمت إلى مجموعة من الفرق[2] هم: فئة سكنت المغرب الإسلامي بصفة عامة، والمغربيين الأدنى والأقصى بصفة خاصة، ظلت محافظة على تدينها رغم اندماجها واحتكاكها بالمسلمين.

**النصارى:**

أطلق على النصارى هذا الاسم نسبة إلى قرية "الناصرة"[3]، ويقال لها أيضا نصراه[4]، وقيل إلى أنصاري[5] استنادا إلى قوله تعالى: {قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾}[6]، كما أن النصرانيين عرفوا بعدة تسميات لكن ظلت هذه التسمية هي الشائعة ومفردها نصراني إذ وردت في القرآن الكريم: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ

[1]- جرزيم: بيت لعباد السامر، من اليهود، يزعمون أن الذبح لا يجوز إلا فيه وأن الذبيح هو إسحاق عليه السلام؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت، 1988، ص 288.

[2]- الشربيني شمس الدين محمد بن الخطيب، مغنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ج4، ط4، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1997، ص 324.

[3]- الناصرة: قرية بالشام على ثلاثة عشرة ميلا من طبرية، وذكر بحثهم أن فيها ولد المسيح عليه السلام، وأهل بيت المقدس ينكرون ذلك، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 571.

[4]- ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص 212.

[5]- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القران، تح: عبد الله بن محسن التركي، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، 2006، ص 434.

[6]- سورة آل عمران، الآية 52.

وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ }.[1]

وافترقت النصارى إلى اثنين وسبعين فرقة أبرزهم اليعقوبية[2]: التي ترى أن المسيح هو الرب والإنسان اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح.[3] أما الملكانية[4] هم مذهب جل نصارى إفريقيا وجمهور الشام وبلاد الروم[5]، وهي الفرقة التي ترى بأن عيسى عليه السلام إله تام وإنسان تام كله وليس أحدهما غير الآخر.[6]

وأن الإنسان منه هو الذي سلب وقتل وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك وأن مريم ولدت الإله والإنسان معا شيء واحد[7]، وقد ذكرهم الإله في كتابه قائلا: {قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 66.

[2]- اليعقوبية: نسبة الى يعقوب البردعي، وهو راهب لقب بالزلزل لأنه زلزل الميزان الكاثوليكي، فهو يعتقد بأن جسد المسيح غير قابل للالام، وما واجهه من الالام كان خياليا لا حقيقة له، عكس نسطور الذي يعتقد بأنه تألم وصلب ومات وقبر؛ ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص338.

[3]- فخر الدين محمد بن عمر الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تع: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب، بيروت 1986، ص 115.

[4]- الملكانية: أصحاب ملكا الذي ظهر في الروم واستولى عليها، ويقال بأنه ينسب الى الروم؛ ينظر: الرازي، المصدر نفسه، ص199.

[5]- البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، الاثار عن القرون الخالية، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992،ص 288.

[6]- ابن الحزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص 111.

[7]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 222.

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ }[1] أما الفرقة السطورية فقد كانت مخالفة تماما للفرقة الملكانية إذ قالوا بأن قتل المسيح وقع من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته[2] كما يرون بأن المسيح إنسان يحمل إله إذ مزج بين الإله والبشر.[3]

وقد عاش النصارى إلى جانب المسلمين وظلوا يتمتعون بسياسة الجوار التي ضمنت لهم حقوقهم الكاملة، مما كان له أثر كبير في الانفتاح على الثقافة والتقاليد العربية.[4]

**3ـــ الصائبة:**

وهم فرقة وثنية يعبدون الكواكب، فهم قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام، وقبلتهم نحو مصب الجنوب، ويقال أن الرجل إذا أسلم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم قد صبأ.[5]

ويقال صبأ الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة، ويقال صبأ الرجل إذا عشق وهوى.[6] وقد ذكر اسمهم في القرآن الكريم: {إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا

---

[1]- سورة المائدة، الآية 73.

[2]- أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج1، ص 143.

[3]- بيروني، المصدر السابق، ص 288.

[4]- وهبة الزحلي، آثار العرب في الفقه الإسلامي، ، ط3، دار الفكردمشق، 1981، ص 714.

[5]- ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص 107.

[6]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص 5.

وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤ }.[1]

ويقال عنهم بأنهم ليسوا يهودا ولا نصارى ولا مجوس وهم نوعان صابئة مشركون[2] وصابئة حنفاء.[3]

**4ـــ المجوس:**

المجوس كلمة فارسية تطلق على أمة من الناس تعبد النار، وقال تحس الرجل إذا صار مجوسا، ومجوس رجل صغير الأذنين وضع دنيا ودعا إليه محبسه تمجيس مجوسيا والنحلة المجوسية.[4]

والمجوسية نسبة إلى قبيلة المجوس من سكان بلاد فارس، وهي من أوائل من آمن بدعوة "زرادشت"[5] وتسمى الدين الأكبر والملة العظمى.[6]

والمجوس الأصليين لا يجوز أن يكون قديمين أزليين، بل النورال والظلمة محدثة ثم اختلف في سبب حدوث ما، وهم فرق كثيرة.[7]

---

[1]- سورة الحج، الآية 17.

[2]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص7.

[3]- ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تح: يوسف ابن أحمد البكري وشاكر بن توفيق الماروري، ج1، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1997، ص 242.

[4]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج2، ص 250.

[5]- زرادتش: يعرف أيضا بالأفستا ظهر عند الفرس بحوالي 300سة قبل ظهور الاسكندر، توفي سنة 600ق.م؛ ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ج1، ص235.

[6]- الشهرستاني، المصدر نفسه، ج1، ص 232.

[7]- ابن القيم، المصدر نفسه، ج1، ص 50.

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يأخذ عنهم الجزية إلا بعد شهادة عبد الرحمن ابن عوف بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من المجوس مصر[1]، وقال: "هم سنة أهل الكتاب".[2]

وقد اعترف بهم بأنهم أهل ذمة بداية من القرن الرابع هجري وقد كان لهم رئيس يمثلهم في كل قطر[3]، وهم أكثر ملل أهل الكتاب في بلاد فارس والعراق[4] ولا تخلو ناحية ولا مدينة بفارس إلا القليل.

على العموم فقد تمتع أهل الذمة بسياسة التسامح الديني التي انتهجتها الشريعة الإسلامية، كما كان لهم حقوق وواجبات.

**ثالثا: واجبات وحقوق أهل الذمة:**

**1. الجزية:**

وجمعها جزى أو جزي، ويشير ابن منظور على أنها خراج الأرض وجزية الذمي هو ما يؤخذ من أهل الذمة، فهي عبارة عن المال الذي يعقله، وهي فعلة من الجزاء كأنما جزت عن قتله[5]، ويعرفها ابن القيم الجوزية على أنها الخراج المحمول على رؤوس الكفار....[6]

---

[1]- مصر: هي الفسطاط، فتحتها عمرو بن العاص سنة تسعة عشرة؛ وفي السير أن هاجر أم إسماعيل عليهما السلام، وأم العرب من قرية كانت أمام **** من مصر؛ ينظر: محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984، ص ص 552-554.

[2]- صحيح البخاري، الباب الأول، مج2، ص 395.

[3]- ادم مثز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريده، ج1، ط1، ج1، الدار التونسية، تونس، 1986م، ص 73.

[4]- الإصطخري أبو اسحاق ابراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني، مرا: محمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، 1961، ص 68.

[5]- ابن منظور، المصدر السابق، ج14، ص 137.

[6]- ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ص ص 79-80.

لقوله تعالى:{بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ }[1] ومعناها أن يعطوا الخراج عن رقابهم[2]، أما الفاسي فيقول بأنها الخراج المجهول على رأس الذمي جزاء المن عليه بالإعفاء من القتل وكرهه على الإسلام.[3]

وقد اجمع العلماء والفقهاء على أنها تجمع من أهل الكتاب والمجوس.[4]

إذن فالجزية هي ضريبة على الأشخاص غير المسلمين، تؤخذ من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكتاب نظير حمايتهم والمحافظة عليهم وبدلا عن عدم قيامهم بواجب الدفاع عن كيان الدولة وحماية المواطنين[5]، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا".[6]

ولأخذ الجزية شروط تتمثل أساسا فيما يلي:

- **العقل:** فلا جزية على مجنون.
- **البلوغ:** فلا تؤخذ من الصبي، وإذا بلغ فهو في أمان فلا يقتل بل يقال له لا في دار الإسلام إلا بجزية.[7]
- **الحرية:** فتسقط الجزية على العبد.
- **الذكورة:** فتؤخذ الجزية على الرجال وتسقط على المرأة[8] لأنها ليست من أهل القتال، وأن يكون كتابيا أي من اليهود والنصارى.

---

[1]- سورة التوبة، الآية 29.

[2]- حسن الممي، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998، ص 39.

[3]- الكتاني الفاسي، التراتيب الإدارية، تح: عبد الله الخالدين، دار القيم، بيروت، د.ت، ص 311.

[4]- ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ص ص 79-80.

[5]- وهيبة الزحيلي، المرجع السابق، ص 691.

[6]- السيد سابق، فقه السنة، ج3، ط1،دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 1999، ص 418.

[7]- ابن القيم، المصدر السابق، ص ص 151-152.

[8]- الكساني، المصدر السابق، ج7، ص 111.

➢ **الصحة والمقدرة المالية:** فلا تجب على المريض ولا على الفقير العاطل عن العمل، ولا على الرهبان الذين لا يخالطون الناس.[1]

ووجب على المسلمين عدم تذليل أهل الذمة عند أخذهم الجزية، وإنما وجب عليهم مراعاة اللطف والرفق، فلا يضرب أهل الذمة، فاشترط ألا يضعوهم في الشمس، ولا يجعل على أبدانهم من.... وإنما يرفق بهم ويعاملونهم بلين، كما وجب حبسهم وعدم خل سراحهم إلا بعد الدفع، والحبس يكون في حال العناد مع قدرة الذمي على دفع الجزية.[2]

**2ــ شروط عقد الذمة:**

قد شرع الله عز وجل عقد الذمة مع غير المسلمين من أجل تحقيق التعايش السلمي داخل المجتمع الإسلامي ويكون هذا العقد وفق شروط وضوابط شرعية تحفظ له بذلك ماله وما عليه وتمثلت هذه الشروط:

1. أن يتولاه الإمام أو نائبه فيه[3]، أو ممثلي السلطة المركزية كالأمير والوالي وقادة الجيش لأنها من المهام التي تحتاج للنظر فيها والاجتهاد، ولن يكون هذا إلا من ولاة الأمور، ويشترط من الذمي لفظ كلمة "قبلت" أو "رضيت" بذلك.[4]
2. أن يكون للمسلمين إليه حاجة وفيه مصلحة بأن يكون في المسلمين ضعف لقلة عدد أو مال أو بعد العدو أو يطمع في إسلامهم لمخالطتهم المسلمين أو في قبولهم الجزية.[5]

[1] وهبة الزحليي، فقه الإسلام وأدلته، ج6، ط2،دار الفكر، دمشق، 1985، ص 444.

[2]- وهبة الزحلي، آثار العرب....، ص 705.

[3]- أبي زكرياء النووي، رمضة الطالبين، ص 1842.

[4]- وهبة الزحيلي، آثار الحرب...، ص 711.

[5]- أبي زكرياء النووي، المصدر نفسه، ص 1827-1842.

3. أن يكون التعاقل في حدود ما أباحته الشريعة الإسلامية فيكون تعامل المسلم مع الذمي حسب هذا العقد في حدود المباح سواء في محل العقد من سلع وبضائع وانتقال حقوق وتبادل التزامات أو في الإجراءات الشكلية لإتمام العقد.[1]
4. أن يقتصر على المدة المشروعة.[2]
5. أن يبذلوا الجزية، ويسري هذا العقد على الشخص الذي عقده ما دام حيا وعلى
6. ذريته من بعده[3]، وبموجب عقد الذمة هذا إذا توفرت فيه الشروط السالفة الذكر يترتب عليه مجموعة من الحقوق اللازمة لأصحاب هذا العقد من أهل الذمة وفي المقابل تكون عليهم واجبات يتحتم عليهم أداؤها.

**حقوق أهل الذمة:**

كما أن للذمي شروط ينبغي توفرها لعقد الذمة فهناك حقوق تحق لهم ويجب على المسلمين مراعاتها واحترامها وهي تتمثل أساسا فيما يلي:

❖ **توفير الأمن والأمان لأهل الذمة:** ويكون ذلك بحماية دمائهم وأنفسهم وأبدانهم وأموالهم وأعراضهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قتل معاهدا لم يرى رائحة الجنة وأن ريحها....من مسيرة أربعين عاما".[4]

كما وجب على المسلمين الدفاع عنهم والقتال في سبيل فك أسرهم إن حدث ها من عدو وكان من غير المسلمين، كما يشترط ألا يتعرض المسلم لما يملكه الذمي من خمر أو خترير بالسرقة[5] أو الإتلاف.

❖ **حرية التدين:** فلأهل الذمة كل الحرية لإقامة شعائرهم الدينية والرجوع إلى رؤسائهم الدينيين في أحوالهم الشخصية[1]، فقد صان الإسلام لغير المسلمين معابدهم

---

[1]- عطية فياض، فقه المعاملات المالية...، ص 35.
[2]- نفسه، ص 36؛ أبي زكرياء النووي، المصدر نفسه، ص 1842.
[3]- السيد سابق، فقه السنة، ص 48.
[4]- البخاري، كتاب الجزية والموادعة، الباب الخامس، مج2، ص 398.
[5]- عطية فياض، المرجع السابق، ص ص 38-39.

وكنائسهم[2] خاصة في المناطق التي فتحت صلحا مثل عهد عمر ابن الخطاب لأهل إيلياء[3]، حيث أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ولا يكرهون على دينهم[4]، كما كانوا زمن هارون الرشيد يخرجون يوم عيد الفصح ويحملون بين أيديهم الصلبان ويقيمون الحفلات، فقد كان للمسيحيين أديرة ولليهود حاكم خاصة.[5]

❖ **التزام تقريرهم في بلاد الإسلام ما عدا الحرم المكي:** لقوله تعالى:{انما المشركون نجس، ولا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا}.[6]

❖ **حماية أهل الذمة من الأخطار الداخلية والخارجية:** أي ضرورة الدفاع عنهم وفك أسرهم إن كان ذلك من عدو.[7]

❖ **حرية العمل:** فلأهل الذمة حرية في العمل والكسب والتعامل مع المسلمين فيما بينهم، كما لهم الحق في ممارسة نشاطهم الاقتصادي، وتولي الوظائف الإدارية إلا تلك التي تحمل صبغة دينية كالإمامة وحكم الدولة، فقد كان من بينهم التجار والصيارفة والأطباء

---

[1]- نور السادات سيليني، أحكام كنائس النصارى في بلاد المسلمين، مذكرة لنيل درجة الماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2012، ص 33.

[2]- أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 226.

[3]- اسم مدينة المقدس إيلياء، وقد كان في يد الروم ففتحه الله في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سنة 16هـ، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 348؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدميري، ط3، ج2، دار الكتاب، بيروت، (د.ت)، ص 501، ص 38-39.

[4]- الطبري، المصدر السابق،ج2، ص 444.

[5]- طبي سمير، دور أهل الذمة في الدولة الاسلامية في العصر العباسي من 132ـ447هـ/749ـ1055م، قسم التاريخ وعلم الاثار، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة باتنة، 2007ـ2008، ص 21.

[6]- الاية رقم، سورة

[7]- يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 10.

وأصحاب الضياع، كما شغلوا في الدواوين وغدوا كتابا له وشغلوا مناصب سامية كوزراء في الدولة العباسية.[1]

وللذمي حق في أرضه له ولعقبه أسلم أو لا[2]، أما عن حياة الذمي فله نصف دية المسلم.[3]

كما أن لأهل الذمة حقوق وواجبات ينبغي احترامها والتعامل معها وفق الشريعة الإسلامية، التي فرضت على العقد الذمي شروطا وجب الانضباط بها وعدم التحايل أو تجاوزها.

وعقد الذمة لا ينقض إلا إذا أخل شرط من الشروط، وهناك نقاط عدة تؤدي إلى فض العقد تمثلت أساسا فيما يلي:

- أن يمتنع الذمي عن دفع الجزية، ويخالف حكما من أحكام المسلمين.[4]
- أن لا يتعدى أهل الذمة على المسلمين أو يضربهم فهو بذلك يرتكب مخالفة يعاقب عليها.[5]
- يقام الحد على الذمي إذا زنا بمسلمة أو تعرض لها.[6]
- الطعن في الإسلام وسب الرسول صلى الله عليه وسلم.[7]

---

[1]- ادم متز، المرجع السابق، ص 97.

[2]- عطية فياض، المرجع السابق، ج1، ص 33، يوسف القرضاوي، المرجع نفسه، ص 23.

[3]- موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، ج1، دار الفكر، دمشق، ط2، 1984، ص 424.

[4]- وهبة الزحيلي، آثار العرب...، ص 367.

[5]- ابن القيم الجوزية، شرح الشروط العمرية، تح: صبحي صالح، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص 133.

[6]- نفسه، ص ص 7-58.

[7]- الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص 346.

وفي هذا المجال قال الله عز وجل: {إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤ }[1]

- إذا قام الذمي بشيء منع منه إظهار الخمر وما شابه انتقض عهده وطبق عليه الحد.[2]

**رابعا: نواقض عهد الذمة:**

إن أهل الذمة ملتزمين بتنفيذ شروط العقد والالتزام بما لهم وما عليهم، وأي مخالفة لأحدى الواجبات وينتج عنها نقض العهد ومن أهم الأمور والمسائل التي تنقض عهد الذمة هي: "الامتناع عن دفع الجزية، ومخالفة أحكام المسلمين، والاجتماع على قتال المسلمين".[3]"إن عقد الذمة يلزم الذميين أن يكونوا تحت الذلة والقهر والمسلمين هم الغالبون فإذا ضرب ذمي مسلم فإنه بذلك يرتكب مخالفة ويقع في نقض العهد".[4]"زنا الذمي بمسلمة أو أصابها بنكاح، يقام عليه الحد ويقتل ومن النواقض أيضا فتن المسلم عن دينه أو قتله عمدا وقذفه، أو طعن في الإسلام وسب الله والرسول صلى الله عليه وسلم انتقض عهده[5] لقوله تعالى:

---

[1]- سورة التوبة، الآية 04.

[2]- وهبة الزحيلي، آثار العرب، ص 370.

[3]- نفسه، ص 367.

[4]- ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ص 133.

[5]- نفسه، ص ص 7-58، الونشريسي، المصدر السابق، ص 346.

{إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤ }[1]، وإذا قام الذمي بشيء منع منه كترك الغيار، وإظهار الخمر وما أشبههم انتقض عهده وطبق عليه الحد".[2]

[1]- سورة التوبة، الآية 4.

[2]- وهبة الزحلي، المرجع نفسه، ص 370.

# الفصل الأول

## الهجرات الذمية إلى بلاد المغرب

أولا: عوامل انتشار اليهودية والمسيحية ببلاد المغرب.

ثانيا: هجرات أهل الذمة إلى بلاد المغرب من القديم إلى بداية القرن 6هـ/12م

ثالثا: منازل اليهود والنصارى بالمغربين الأدنى والأقصى

## أولا: عوامل انتشار اليهودية والمسيحية ببلاد المغرب.

### 1ـــ عوامل انتشار اليهودية:

#### أ. العامل الديني:

لقد سعى الرومان منذ قدومهم إلى شمال إفريقيا أو بلاد المغرب، إلى نشر ثقافتهم الهيلينية[1] وفرضها على مختلف الأجناس البشرية، بما فيهم اليهود الذين تعرضوا لمضايقاتهم، مما أجبر بعض الطوائف منهم إلى الانضمام للمجتمع الروماني، وإظهار تعلقهم بالهيلينية محافظة على ديانتهم سرا[2]، واستمالة شعوب العالم لديانتهم والتعريف بالتوراة التي ترى بأن اليهود هم خليط من شعوب سامية وغير سامية[3]، وأن كل الشعوب التي خرج بها سيدنا موسى عليه السلام من مصر[4] هي أسرة واحدة، لا فرق بينهم في اللون أو الجسم أو الدين.[5]

إن سياسة اليهود في نشر ديانتهم والتعريف بها، ساعدتهم في التأثير فيمن حولهم وإقناعهم. فانتشرت اليهودية في بقاع العالم، وتضاعف عددهم.[6]

---

[1]- الهيلينية: ظهرت على ضفاف البحر الإيجي في أواخر العصر الألفي الثاني قبل الميلاد، وظلت محافظة على شخصيتها إلى غاية القرن السابع للميلاد، انتشرت في شواطئ البحر الأسود، والبحر المتوسط، ووصلت إلى آسيا الوسطى والهند وامتدت إلى الغرب ناحية شواطئ شمال إفريقيا وأوربا المطلة على المحيط الأطلسي؛ ينظر: أرنولد توينبي، تر: رمزي جرجس، مرا: صقر خفاجة، تاريخ الحضارة الهيلينية، مهرجان المحيط الأطلنطي، 2003، ص 21.

[2]- حسن محمد خليفة، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 29.

[3]- نفسه، ص 30.

[4]- محمد عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص ص 552-554.

[5]- محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط1، مكتبة الرشيد ناشرون، السعودية، 2003، ص 89،

J. Golven, Notes sur les origines anciennes des Israielite Marot, ed herpen, Vol 01, 1921, p 326.

[6]- واديورانت، المرجع نفسه، ص 17.

ومن أشهر رواد اليهود الذين حملوا على عاتقهم نشر العقيدة اليهودية والتعريف بها **"سفريونان"**، الذي أجزم بأن تعاليم اليهودية أقرب إلى العرب و البربر من المسيحية.[1]

**ب. العامل الاقتصادي:**

يعد الجانب الاقتصادي من العوامل الهامة التي دفعت باليهود للهجرة إلى بلاد المغرب، خاصة أن أحبارها، اهتموا منذ القدم بجمع الثروة والتجارة، فدخلوا بلاد المغرب وخالطوا البربر، ودفعوا لهم الإيتاوات كضريبة سلمت لحمايتهم من الغارات التي كان يشنها البربر وسكان المنطقة على القوافل التجارية.[2]

إن اليهود في بلاد المغرب، لم يهتموا كثيرا بنشر الديانة اليهودية والتعريف بها وإنما انشغلوا بجمع الثروة واستثمارها.[3]

**جـــ. العامل الاجتماعي:**

استغل اليهود منذ الوهلة الأولى الطبيعة البربرية الرافضة للخضوع لأي سلطة، فعملوا على كسب ثقة سكان المنطقة، وشرحوا لهم بعض المبادئ من التوراة التي تؤكد تشابههم في رفض الانقياد تحت لواء آخر، وبالتالي فهم أبناء عمومة[4]، ووجب عليهم التحالف لضرب العدو الذي يتمثل أساسا في الرومان، كما أكدوا لهم بأن التحالف لن يكون إلا بالمصاهرة فيما بينهم، ويذكر المؤرخون بأن تزاوج اليهود مع البربر كان لهم أثر عميق في انتشار اليهودية بين القبائل البربرية[5]، وبذلك ظهرت مجموعة من العائلات البربرية

---

[1]- إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب قبل الجاهلية وصدر الإسلام، تج: محمد الوكيل، دار قصر الهندي، القاهرة، د.ت، ص 08.

[2]- جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، 1967، ص 16.

[3]- عطاء أبو رية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، تق: سنوسي إبراهيم، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 28.

[4]- عطاء أبو رية، المرجع نفسه، ص 36.

[5] - Goutier (A) mediterranean, society the Jervish communilier, the arab word as portayedin the documents of the cairo Genzer 969.1280, Vol 03, ed university of California, Press, 1978, p 06.

ذات أصول يهودية مثل عائلة خلفون، عائلة البليدي،عائلة سيجمار و غيرها من العائلات الأخرى.[1]

إذن فالوجود اليهودي ببلاد المغرب يعود إلى مجموعة من العوامل والظروف التي كان لها دور كبير في استقرارهم واختلاطهم سكان المغرب رغم ميلهم للانعزال إلا أنهم تمكنوا من المصاهرة ومع البربر الذين تحولوا لليهودية، وهذا ما عزز المكانة السياسية والاجتماعية لليهود في بلاد المغرب القديم، قبل ظهور المسيحية التي اجتاحت بلاد المغرب القديم، وهي بدورها كانت نتيجة لمجموعة من العوامل والظروف.

## 2. عوامل انتشار المسيحية:

### أ. العامل الديني:

لقد سعى الرومان منذ الوصلة الأولى إلى نشر الديانة المسيحية بين البربر، خاصة وأن بلاد المغرب كانت تعرف مجموعة من المعتقدات الدينية، إذا كان البربر يدينون الوثنية والمجوسية[2]، بالإضافة إلى اليهودية التي انتشرت بالبلاد في القرن الأول للميلاد، ولقد لقيت هذه الديانة اضطهادا من طرف الرومان بسبب وقوفهم إلى جانب البربر لضرب القوة الرومانية، فأصبحت المسيحية لا تنحصر في فرقة معينة أو عرق معين.[3]

### ب. العامل الاجتماعي:

إن الطبيعة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب كانت أرضية خصبة لانتشار المسيحية واستقطابها، خاصة تلك القبائل الموالية للرومان زد عن ذلك الوئام اليهودي المسيحي الذي عرفته المنطقة من فترة إلى أخرى، خاصة وأن اليهود يميلون دائما إلى خدمة مصالحهم على

[1]- أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980، ص 267.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 106.

[3] - Gabriel Camps, Berber au Marges de l'histoire, Ed Hespirides, Toulouse, 1980, p 244.

حساب الآخرين[1]، و لم يقتصر ذلك عل المحليين وحسب بل حتى الرحل الذين جاءوا إلى بلاد المغرب مع الفينيقيين.[2]

**جـــ. العامل الاقتصادي:**

إن الجانب الاقتصادي كان له دورا هاما في نشر المسيحية، خاصة عن طريق المبادلات التجارية، إذ كان معظم التجار آنذاك مبشرون يسعون جاهدين لنشر المسيحية، وترسيخ مبادئ الكنيسة الكاثوليكية في بلاد المغرب.[3]

كما أن الموانئ المغربية ساحة خصبة لنشر المسيحية، إذ كانت ملقى لمختلف الفئات البشرية فأصبحت مسرحا لنشر التعاليم المسيحية داعية إلى المساواة[4]، فلقيت المسيحية تجاوبا في الطبقات الشعبية، خاصة بعد تمسح بعض الفئات اليهودية.[5]

**د. العامل السياسي:**

لقد تمكن الرومان من فرض سيادتهم على بلاد المغرب طيلة أربعة قرون مما ساعدهم على بسط نفوذهم عليها، وقد صاحبه ذلك إدخال المعتقدات الوثنية الرومانية[6]، من جهة والنصرانية من جهة أخرى والتي أصبحت فيما بعد الديانة الرسمية للإمبراطورية[7]، وهذا ما أدى إلى انتشارها داخل وخارج البلاد.[8]

---

[1]- الحسن الغرايب، مسيحيو المغرب الأقصى ي العصور الوسطى، تق: عبد العزيز عينوز، ط1، منشورات مطابع الرباطنت، الرباط، 2015، ص 27.

[2] - Fantar Decret, l'Afrique du Nord dans l'antiquité des origines au 5ème siecle, Ed Paycet, Paris, 1981, p 281.

[3] - Ibid, p 283.

[4] - Terrasse, H, Histoire du Maroc, Ed. Athlantides, Casablanca, 1949, p 77.

[5]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 255؛ Terrasse, Ibid, 241.

[6]- زينب عبد الله أحمد كرير، ألمرجع السابق، ص 60.

[7]- الكتاني محمد بن جعفر، المصدر السابق، ص ص 297-299.

[8] - Terrasse, Ibid, 168.

## ثانيا: هجرات أهل الذمة إلى بلاد المغرب من القديم إلى بداية القرن 6هـ/12م

### 1ـ الاستقرار اليهودي ببلاد المغرب:

إن تحديد البداية الأولى للوجود اليهودي ببلاد المغرب، يعد من النقاط الشائكة والصعبة التي أرقت الباحثين والمؤرخين، إذ اختلفت الآراء وتنوعت وامتزجت بين الأسطورة والخيال من جهة، ومن جهة أخرى اجتهاد الباحثين والمؤرخين، وهذا ما زاد من تعقيد الوضع وتحديد منطلق صحيح لقدوم اليهود إلى بلاد المغرب.

رغم الاختلاف وتضارب الآراء إلا أن بعض المؤرخين حاولوا ربط البداية الأولى للوجود اليهودي بالمنطقة إلى الوجود الفينيقي[1]، إذ يذكرون بأن قدوم اليهود إلى البلاد المغاربية كان مع السفن التجارية الفينيقية التي أرست على السواحل الإفريقية[2]، ويؤكد ذلك أندري شوراكي Andrée Chouragui بأن مقدم اليهود كان مع تأسيس مدينة قرطاجة[3]، في حين يرى آخرون بأن وجودهم بالمنطقة يعود لفترات أقدم من ذلك، ومن

[1]- مولود طياب، الفينيقيون، المرجع السابق، 1995، ص 155.

[2]- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج3، الرباط، 1987؛ عبد الرحمان بشير، اليهود في المغرب العربي (22-462هـ/642-1070م)، ط1، دار تابرينت للطباعة، 2001، ص 53؛ فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري/14-15م، مؤسسة كنوز الحكمة، 2011، ص 13.

[3] -Andrée Chouraqui, Marcher vers l'occident, les Juifs d'Afrique du Nord, France, P.U.F, 1952, p 13.

بينهم مارمول كاربخال الذي يذكر بأن مدينة آيت داوود[1] بإفريقيا يعود تأسيسها إلى يهودي من قبيلة يهودا.[2]

ويذكر ابن خلدون في كتابه العبر بأن: "البربر هم أبناء كنعان[3] بن حام بن نوح، اعتنقوا اليهودية عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانهم منهم.[4]

ثم توالت الهجرات اليهودية إلى بلاد المغرب القديم، لتتضح أكثر مع حملة نبوخذ نصر الثاني[5] على بيت المقدس سنة 586ق.م، إذ فر اليهود من السبي البابلي[6] متجهين إلى مصر ثم باقي بلاد العرب ومن بينها بلاد المغرب.[7]

على العموم، فاليهود المهاجرين إلى بلاد المغرب، لم يكونوا تجارا وكفى بل كان فيهم الجنود والساسة، كما كان هناك الأسرى، والنساء والأطفال، أما استقرارهم فلم يكن

---

[1]- مدينة آيت داوود: وهي مدينة قديمة شيدها الأفارقة فوق جبل عال، وبها كثير من الصناع، تميزت حياتهم بالقساوة، إذ كانوا يعيشون على الخبز المصنوع من الشعير، ولحم الماعز، لا يعرفون القمح؛ ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص ص 117-118.

[2]- مارمول كاربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد زينب، أحمد توفيق ج2، دار المعرفة، المغرب، 1984، ص 20.

[3]- محمد ضياء عبد الرحمان الأعظمي، المرجع السابق، ص ص 39-45.

[4]- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2،بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1992، ص 109.

[5]- نبوخض نصر الثاني: هو ابن نبوخذ نصر خلف أبوه، دام حكمه حوالي 45 سنة (605-562 ق.م) ويعد من أشهر ملوك الدولة الكلدانية، وتتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع، الإله نبو يحصر من الحدود؛ ينظر: فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 15.

[6]- السبي البابلي: قام البابليون بهدم هيكل سليمان وإحراقه، وقاموا بالتنكيل باليهود سواء كانوا رؤساء أو تجار وحدادين وغيرهم، ثم نقلوهم من أورشليم إلى بابل؛ زوبيدة محمد عطا، اليهود في العالم العربي، ط1، الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2003، ص 33.

[7]- إسرائيل وليفنسون، المرجع السابق، ص ص 3-14؛ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2، 1982، ص 54.

في المناطق الساحلية وحسب بل شمل حتى المناطق الداخلية، وتمكن هؤلاء من الاختلاط بسكان المنطقة بالصداقة والمصاهرة فتأثروا بهم وأثروا فيهم.

**اليهود في العهد الروماني:**

لقد حملت الهجرة اليهودية إلى بلاد المغرب القديم وشمال إفريقيا في العهد الروماني، أبعاد سياسية وعسكرية[1]، فيذكر شوراكي بأنه في القرن الأول قبل الميلاد تم تهجير حوالي 300 ألف يهودي وذلك إثر الحملة التي شنها تيتوس Titus على بيت المقدس[2]، فتضاعف عددهم حتى وصل إلى نصف مليون أواخر القرن الأول قبل الميلاد في ليبيا.[3]

يذكر معظم الباحثين والمؤرخين بأن الاستقرار اليهودي في العهد الروماني ببلاد المغرب، كان في المناطق الساحلية وكذلك المناطق الداخلية المحاذية للساحل، على امتداد من ليبيا حتى المغرب الأقصى.

إن الهجرات اليهودية إلى بلاد المغرب وصلت حتى المناطق الصحراوية وبالضبط المناطق الشمالية، ويعود ذلك إلى الحماية التي تلقاها اليهود من بربر المنطقة والذين عرفوا بحقدهم على الرومان وسياستهم الاضطهادية[4]، فنشبت ثورات وفتن بين الطرفين، ومن بينها تلك الترعة التي نشبها الحاخام عقيبا Akiba في برقة بين يهود وإغريق المدينة ضد الحكومة الرومانية[5]، وكذلك حركة جوناثان Jonathan الذي استطاع أن يجمع حوله ألفين من الثائرين متخذا الصحراء مقرا له، لكن دون جدوى إذ فشل هذا الأخير في ثورته الذي تصدى له الحاكم الروماني كاتالوس Catalus وقام بأسره وتسليمه للإمبراطور فاسباسيان

---

[1] - P. Monceant, les colonies Juives de l'Afrique Romanises, R.E.J, 1908, p 162.

[2] - Chouraqui, op cit, p 23.

[3] - Ibid, p 23.

[4] - فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 16.

[5] - أورسيوس، تاريخ العالم، تر: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ص 42.

Vaspasian[1]، الذي اتهم اليهود بسوء الخلق والمؤامرة والدسائس فقتل حوالي ثلاثة آلاف يهودي وصودرت أموالهم وأملاكهم[2]، التي كانت همهم الوحيد، فهم يجمعون الأموال والثروة بأي طريقة خاصة وأن التلموذ يبيح لهم ذلك إذ ورد فيه بأن "حياة غير اليهودي ملك لليهودي، فكيف بأمواله".[3]

وفي بداية القرن الثاني ميلادي، قام اليهود بشن ثورة على الرومان أثناء حكم الإمبراطور تراجان Trajan وتعد من أعنف الثورات، إذ شملت برقة والمناطق المحيطة بها حتى مصر، و قبرص وما بين النهرين و أنطاكيا، إذ تمكن اليهود من الوقوف في وجه الرومان، ومارسوا أبشع وسائل التعذيب، فيذكر في الكتابات التاريخية، بأن اليهود قاموا بسلخ جلود الرومان وحاكوه لباسا لهم، كما اتخذوا من أمعاء الموتى أحزمة لهم، ووصل بهم الأمر إلى أكل لحوم القتلى، فوصل عدد موتى الرومان إلى اثنتين وعشرين ألف جثة[4]، ودامت هذه الثورة حوالي ثلاث سنوات، إذ تمكن القائد الروماني ماركوس توريو Markus Tu'rho من إخماد شوكة اليهود وقمعهم في برقة.

إن هذه الثورة كانت سببا مباشرا في نمو الروح الانتقامية لدى الرومان ضد اليهود، وهذا ما أدى إلى انتقال مركزهم من برقة إلى سرت و المغرب الأقصى خاصة قرطاجة و شرشال في عهد يوبا الثاني[5]، الذي أبدى تعاطفه مع اليهود، فاختلطوا مع سكان المنطقة

[1]- مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، ط2، دار هومة، الجزائر، 2000، ص 28.

[2]- نفسه، ص 29.

[3]- عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1979، ص 74.

[4]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 29.

[5]- يوبا الثاني: هو ابن يوبا الأول، دام حكمه من 25 ق.م. إلى 23 م، عين ملكا على موريطانيا ووجب عليه تنفيذ أوامر الرومان، كان له دور فعال في إخماد الثورات التي كانت ببلاد المغرب أشهرها ثورة تاكفاريناس، تزوج من امرأة يهودية تعرف بـــ "قلافيرة" ويرى المؤرخين بأن تعاطفه مع اليهود يعود إلى

خاصة البربر البتر[1]، فاستقروا في المناطق الداخلية، واشتهروا بالتجارة والحرف، أما عن شعائرهم الدينية فكانوا يمارسونها في معبد خاص بهم عرف بمعبد أرشي سينا قوجي Archi-Synagogie.[2]

بالرغم من الصراعات والثورات التي كانت قائمة بين اليهود و الرومان و الإغريق، إلا أن الجماعات اليهودية أصبحت تنظيم تنتشر بصورة واسعة وواضحة في شمال إفريقيا، مما أدى إلى تخوف رجال الدين المسيحيين من مساعي اليهود إلى نشر ديانتهم اليهودية، خاصة بعد اعتناق بعض العناصر الوثنية الديانة اليهودية، وعملها على التحريض ضد المسيحية عن طريق الجدل الديني، والتهكم والسخرية من المسيح بامتثاله بأبشع الصور[3]، مما أدى إلى إثارة المسيحيين الذين عملوا على الدفاع عن ديانتهم وعقيدتهم، والتشهير بمساوئ اليهود واليهودية، ومن بينهم المؤلف طرطوليانوس الذي ألف مجموعة من الكتب ضد اليهود ومن بينها كتابه الشهير L'apologique والذي من خلاله عمل على توطيد أركان المسيحية ووصف اليهود بحب المال وجمعه بأي وسيلة حتى لو كانت بطرق بخسة ورخيصة.[4]

أما في فترة حكم الإمبراطور قسطنطين 306-367م فقد أصدر قرارا بمنح اليهود حق المواطنة من الدرجة الثانية، مع ضرورة اعتناق الديانة المسيحية لكل من الوثنيين واليهود.[5] وفي ظل هذه التغيرات التي حدثت تم إصدار حوالي 66 قانون في الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى القرن الخامس، ومن بينها قانون 399 الذي ينص على إعدام كل

---

مصاهرته معهم، ينظر: البشير الشنتي، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا، الجزائر، ش.و.ن.ت، 198، ص 82.

[1]- البتر: سموا بذلك نسبة إلى جدهم مادغيس الأبتر، وأقسامهم، نفوسة، أداسة، لواتة، مكناسة، زناتة، جراوة قوم الكاهنة، وبنو خزر ، وبنو يفرت، وبنو زيان، وبنو مرين، ولكل قبلية منهم بطون وأحفاد؛ ينظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ، 1889م، ص 90.

[2] - P. Monceanx, op cit, p 161.

[3] - P. Monceanx, op cit, p 161.

[4]- عبد الله التل، المرجع السابق، ص 29، P. Monceanx, op cit, p 175.

[5]- عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، القاهرة، 1983، ص 230.

يهودي يتزوج من مسيحية أو العكس، ومرتكب الزنا وكذلك منع الختان لغير اليهودي مع معاقبة الوثنيين إذا تم ختانهم وذلك بمصادرة ممتلكاتهم والنفي أما عقابه هو الإعدام وذلك لمخالفته القانون.[1]

بالإضافة إلى هذا فقد تم منع اليهود من ممارسة شعائرهم الدينية وفقا لقانون ثيودوسيوس Codes Theodosianus سنة 714م، وطردوا من وظائفهم، ليزداد اضطهاد اليهود سنة 723م إذ تم منعهم من تشييد معابدهم وترميمها باستثناء القلة منها خاصة تلك التي آلت للسقوط.[2]

رغم السياسة التعسفية والقوانين التي أصدرت للضغط على اليهود وكسر شوكتهم، إلا أنهم ظلوا ينشطون دينيا ويمارسون التهويدية سرا، وخاصة بعد عتق العبيد الذين دانوا اليهودية كل هذا أدى إلى تضاعف عددهم وتزايدهم في بلاد المغرب القديم.

**اليهود في العهد الوندالي:**

إن بداية القرن الخامس ميلادي، هي بداية الضعف والانهيار للإمبراطورية الرومانية، الناتجة عن الانقسامات التي شهدتها والفتن الداخلية والخارجية التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية، بين مختلف القبائل[3]، وهذا ما جعلها مطمعا للساعين للوصول إلى بلاد المغرب ومن بينهم الوندال.

في سنة 429م وصل الملك جنسريك إلى شمال إفريقيا، فدخل طنجة و سبتة، ليتمكن من السيطرة على شمال إفريقيا سنة 430م[4]، واستولوا على قرطاجة سنة 439م[5]،

[1]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 18.

[2]- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة، الجزائر، د.ت، ص 38.

[3]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 36.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية، 1981، ص 02؛ فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 25.

[5]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ط2، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1984، ص 63.

وأول ما قام به هو محاولة تجسيد المذهب الأريوسي[1]، في مختلف البلاد المغربية[2]، مع اضطهاد المذهب المسيحي ومعتنقيه، و حين لقي اليهود معاملة طيبة من الوندال الذين استعانوا بهم في حربهم ضد الرومان[3]، كما رفعوا عنهم الإجراءات الاستثنائية، وأصبحت لهم كل الحرية بممارسة شعائرهم الدينية، أما اليعاقبة والملكانيين فقد انشغلوا بمحاولة الخروج من الاضطهاد الذي واجهوه من قبل الوندال.

**اليهود في العهد البيزنطي:**

بعد اعتلاء جستنيان العرش عمل جاهدا على إعادة البابوية ببلاد المغرب بصفة خاصة وفي شمال إفريقيا بصفة عامة، إذ تمكن سنة 533م من القضاء على الوندال بالقرب من مدينة قرطاجة[4]، وبهذا تعود بلاد المغرب من جديد إلى التبعية للإمبراطورية الرومانية[5]، مما جعل اليهود يتجهون مجددا إلى البربر والاختلاط بهم خوفا من جشع واضطهاد الرومان لهم.[6]

إن من اهتمامات جيستنيان هو رد هبة الكنيسة الكاثوليكية، لذا أصدر قانون عرف بقانون Novelle[7] نص على محاربة اليهودية ومختلف العقائد الأخرى كالأريوسية والدوناتية والوثنية[8]، كما عمل على التضييق على المحاكم اليهودية ومنع الزواج بين اليهودي والمسيحي والعكس، ومخالفي القانون فكانت عقوبتهم الإعدام[9]، إن هذه القوانين ضيقت

---

[1]- تعريف الأريوسية: هو مذهب مسيحي، يدعو إلى تخفيف منزلة الابن والروح القدس، والأب عندهم هو الإله؛ ينظر: أحمد السحمراني، موسوعة الأديان المبشرة، دار النفائس، ط3، بيروت، 2005، ص 13-14.

[2]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 25.

[3]- إبراهيم حركات، المرجع نفسه، ص 95.

[4]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص 45-48.

[5]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 58.

[6]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 25.

[7] - Chouraqui, op cit, p 41.

[8]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 103؛ Chouraqui, op cit, p 42.

[9] - Chouraqui, op cit, p 78.

بشدة على اليهود الذين أبعدوا عن وظائفهم العامة في الدولة، ومنعوا من ممارسة أعمالهم الحرة، وكذلك الجيش والنظام العسكري، أما عن بيعهم فتم تحويلها إلى كنائس، وحرموا من القيام بالاجتماعات فيما بينهم وذلك تجنبا لأي مناورات ضد السلطة الحاكمة.[1]

وفي بداية القرن السادس للميلاد وباعتلاء الإمبراطور موريس "Maurice" لعرش الإمبراطورية عرفت هذه القوانين تراجعا واضحا في تطبيقها، إذ خف هذا الأخير من تضييق الخناق على اليهود وذلك بإعادة البيع لأصحابها مع منع تمسيح اليهود بالقوة[2]، أما فترة حكم هرقل فقد عرفت نوعا من الأمان والطمأنينة عند اليهود خاصة وأن البابا جريجوري الأول[3] قام بإرسال بعثات تنصيرية واستمالة البربر القاطنين بالمناطق الجبلية[4]، وقد شهدت بلاد المغرب هجرة يهودية من إسبانيا في القرن السابع وكانوا يعرفون بالسفرديم[5] "Saphardim"، وقد طرد هؤلاء من طرف القوط الغربيين وذلك أما في فترة حكم ابن يوسف، فتمتعوا بسياسة التسامح فاستوطنوا مختلف المدن المغربية والأندلسية، باستثناء القلة القليلة التي سكنت البوادي.[6]

لقد أدى اليهود دورا هاما في عهد المرابطين خاصة بعد المعاملة الحسنة التي حظوا بها، فكان لهم دورا في الجانب الثقافي إذ برز عدد من المفكرين ومن بينهم إسحاق الفاسي "497هـ/1163م" وهو حجة الدراسات التلموذية كان بقلعة بني حماد ثم هاجر إلى فاس

---

[1] - P. Monceanx, op cit, p 183.

[2] - op cit, p 184-185.

[3]- هو واحد من الباباوات الذين حملوا على عاتقهم إصلاح الكنيسة والمحافظة على استقرارها، عرف جريجوري الأول بالتسامح النسبي مع اليهود في إيطاليا خاصة سردينيا وصقلية، اعتلى كرسي البابوية في روما بين 590-604م؛ ينظر: العريني، المرجع السابق، ص ص 179-180.

[4]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 75.

[5]- السفرديم: وهم يهود إسبانيا وحوض البحر الأبيض المتوسط، ووصلوا إليها بعد سقوط مدينة أورشليم والتي على إثرها انتشر اليهود في كل بقاع العالم؛ ينظر: المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات المسيحية، 1975، ص 213؛ دانيال شروتر، يهود السلطان المغرب وعالم اليهود السفرد، ص 18.

[6] - Sloush (N), Etude sur l'histoire des Juifs du Maroc, Archiver Marocaines, V4, 1905, p 56.

واستقر بها، لينتهي به المطاف إلى مدينة أليسانة أين أسس أهم المراكز التلموذية[1] وغيرهم، كما اهتموا بالعلوم العربية ومن أشهرهم إبراهيم بن سهل الإسرائيلي[2] واهتموا بالترجمة من العربية إلى العبرية واللاتينية.[3]

أما الدور السياسي فقد بلغ بهم الأمر إلى الكتابة وبلوغ منصب صاحب الشرطة[4] وجباية الضرائب، وقد وجدوا في الجيش المرابطي إذ انحصر دورهم على اقتناء الأسرى وبيعهم رقيقا.[5]

وفيما يخص الجانب الاقتصادي، فقد برع اليهود في التجارة خاصة تجارة الرقيق[6]، وفضلوا شراء المحاصيل الزراعية والاتجار بها.[7]

إن اليهود في العهد المرابطي قد شهدوا عدة تغيرات ففي بداية التأسيس والهرم، عرفوا نوعا من الاضطهاد والقهر، أما في أواسط الدولة المرابطية، فقد تمتعوا بسياسة التسامح الديني إلى درجة أن حضوا بأحياء لهم تتوافر على جميع المرافق الخاصة بهم وهذا لم يمنعهم من الاختلاط مع المسلمين أثناء معاملتهم التجارية والدينية.

## 2. الاستقرار المسيحي ببلاد المغرب:

عرفت بلاد المغرب في القرن الأول قبل الميلاد انتشارا واسعا للديانة اليهودية، وكان ذلك عن طريق اليهود الذين هاجروا من مختلف بقاع العالم، خاصة بعد الاضطهاد

---

[1]- القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 108؛ Sloush, ibid, p p 102-105.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص 223-225.

[3]- القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص 108.

[4]- ابن عذارى، المرجع السابق، ص 76-77.

[5]- القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص 110.

[6]- حابيم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود في المغرب الأقصى، ص 10.

[7]- إيمان عبد الرحمن حسن العثمان، التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500هـ-537هـ/1106م-1142م)، العدد الثاني، مجلة كلية العلوم الإسلامية.

الذي شهده هؤلاء من طرف الرومان الذين كان همهم التوسع ونشر معتقداتهم الدينية في مختلف بلدان العالم.

**أ. العهد الروماني:**

تمكن الرومان من بسط نفوذهم على الشمال الإفريقي منذ سنة 146ق.م، أي بعد سقوط قرطاج، وأصبحت إفريقيا الشمالية شمل ثلاث أقاليم، تمثلت أساسا في إفريقية وطرابلس، نوميديا الجزائر الشرقية و موريطانيا التي تضم موريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجية.[1] وقد وصلت المسيحية إلى بلاد المغرب ابتدا من القرن الثاني للميلاد، واعتنقه البربر كدين مستقل عن الإمبراطورية الرومانية[2]، خاصة وأن روما كانت تمجد الأباطرة وتحتفل بذلك، وقد صحبه ذلك بتعدد المعتقدات الدينية، فحاولت روما استمالة البربر و لم تفرض عليهم أي معتقد[3]، فانتشرت الوثنية كما وجدت بها المجوسية[4] أما أهل فاس فكانوا أهل أهواء فمنهم من يدين النصرانية ومنهم من يدين باليهودية.[5]

كانت البداية الأولى لانتشار المسيحية من قرطاج خاصة بالموانئ فانتشر بالمناطق الساحلية عن طريق الرهبان القادمين من مصر و إيطاليا، ثم انتقل إلى المناطق الداخلية عن طريق الجنود[6]، فانتشرت الكنائس وامتدت على طول الشريط الساحلي للمغربين الأوسط والأقصى حتى بلوغه طنجة[7]، وقد وجدت المسيحية استجابة طيبة من طرف البربر الذي

---

[1]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 145-146.

[2]- عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، تر: فضيلة الحكيم، دار الحداثة، ط1، 1982، ص 21؛ مولود طياب، المرجع السابق، ص 158.

[3]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 174؛ CAMPS, Ibid, p 168.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 106.

[5]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999، ص 39.

[6]- بديعة الخرازي، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2007، ص 28.

[7]- نفسه، ص 14.

كان إيمانهم بها فقط سطحيا[1]، إذ ارتد الكثير منهم عن الديانة نتيجة الاضطهاد الذي عرفه النصارى من طرف الرومان خاصة زمن الإمبراطور دكيوس Decius والإمبراطور دقلديانوس "270م/275م"[2]، ونتج عن هذا هدم الكنائس وإحراق الكتب المقدسة مع سجن القساوسة وإقالتهم من المناصب الإدارية[3]، ورغم هذا العنف والاضطهاد إلا أن بعض الفرق من معتنقي الديانة المسيحية ظلوا يدافعون عنها حتى وصلت ذروتها وأصبحت الديانة الرسمية للبلاد خاصة زمن الإمبراطور قسطنطين (306-336م) الذي ترأس أول مجمع كنيسي في نيقية سنة 325م[4]، للقضاء على الدوناتية، مما أدى إلى ثورة العامة ضد المستعمرين والطبقة الأرستقراطية طالبين بالمساواة وتحرير العبيد، وظلت بلاد المغرب على ذلك الحال إلى أن انفصلت إفريقية عن روما بعد انقسامها وهي بدورها عملت على قمع الحركة الدوناتية وأجبرت روادها وأتباعها إلى العودة إلى الكاثوليكية، مستخدمة العنف والقوة ضدهم بدعوة من القديس أوغسطين (304هـ-430هـ) الذي حمل على عاتقه لواء نصرة الكنيسة الإفريقية.[5]

**ب. العهد الوندالي:**

بعد انقسام روما، بدأ الضعف يشب في الإمبراطورية الرومانية مما جعلها مطمعا للكثير من القبائل وعلى رأسها الوندال الذين عاشوا الضغط من طرف القوط بأسبانيا، فتمكن هؤلاء من الاستيلاء على إفريقية بزعامة الملك جنسريق سنة 435هـ، وهاجموا الكنيسة واستولوا على مختلف ممتلكاتهم، إذ تمكنت هذه القبائل من احتلال جزئي للبلاد

[1]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 175.

[2]- عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، نشأة المعارف، الإسكندرية، ج1، 1995، ص ص 117-118.

[3] - Georges Marcais, les villes d'Art célèbres, Tlemcen, Edition tell, Blida, Algeria, 2003, p 09.

[4]- سعد زغلول، المرجع السابق، ص 117؛ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 255.

[5]- نفسه، ص 119؛ رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2007، ص 175.

الإفريقية وقضوا على النفوذ الروماني[1]، هدفهم هو ترسيخ مبادئ الأريوسية واللغة الجرمانية بالبلاد[2]، أما عن انعكاسات الحكم الوندالي بالمغرب فكانت جد سلبية نتيجة السياسة اللينة التي انتهجها ملوك الوندال، إذ أثرت على الحياة الأوضاع الاقتصادية والسياسية، هذا ما أدى إلى سقوطهم سنة 535م على يد البيزانطيين.[3]

**جـــ. العهد البيزنطي:**

دخل البيزنطيين إلى بلاد المغرب[4] واستقبله السكان المحليين بحفاوة وترحيب، وساهموا معهم في استرجاع الكنائس وضرب الملل الأخرى بما فيهم اليهود الذين فصلوا من مناصبهم[5]، وظهر المذهب الآخر الذي يدعو إلى ثنائية طبيعة المسيح أي الإلهية والبشرية معا، هذا ما أدى إلى الخلاف بين البيزنطيين وأهالي المغرب قائمة، إذ انتشر الفساد، وانحلت الأخلاق، كما أن القساوسة كان لهم دور سلبي إذ ارتكبوا المعاصي، وهذا ما أدى إلى ضعف المسيحية ونتج عنها ارتداد الكثير من المتمسحين[6]، لكن القائد جستنيان لم يستسلم وعمل جاهدا على نشر المسيحية من جديد إذ شجع البعثات التنصيرية كما قام بتشييد العديد من المعابد، و لم يمنع هذا من انشطار الكنيسة الكاثوليكية إذ تعددت المذاهب

[1]- صقر أحمد، مدينة المغرب في التاريخ، دار أبو سلامة للنشر، تونس، 1959، ج1، ص 400.

[2]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 122-123؛ بديعة الخرازي، المرجع السابق، ص 18.

[3]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 372.

[4]- أرشيبالذر، لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، تر: أحمد محمد عيسى، محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص 163.

[5]- زينب كرير، المرجع السابق، ص 65.

[6]- بديعة الخرازي، المرجع السابق، ص 18؛ أرشيالذر، المرجع السابق، ص 157-158.

وتنوعت[1] فظهرت اليعاقية[2] والنسطورية[3] وغيرها من المذاهب.

وأمام هذا التباين في زمن القسطنطين الرابع (667م-685م) عقد مجلسا دينيا سنة 680م هدفه خلق الوئام بين الأفارقة والمحليين مع البيزنطيين، وقد نتج عنه التحالف بين البربر المسيحيين والبيزنطيين باستثناء البربر البتر.[4]

إذن فالدين المسيحي نما في نفوس البربر كدين ومعتقد بعيدا عن المنهج السياسي الذي تبنته الإمبراطورية البيزنطية، وهذا ما أدى إلى أن تكون بلاد المغرب قبل القدوم الإسلامي عبارة عن مذاهب ومعتقدات منشقة فيما بينها، وهذا ما دفع الجيش الإسلامي للتوجه نحو شمال إفريقيا لنشر الأمن والأمان والإسلام بين سكانها.

**د.النصارى في ظل الحكم الإسلامي:**

لم تكن بلاد المغرب بالأرض الهينة أو السهلة المنال أمام الجيش الإسلامي، إذ لما استأذن عمرو بن العاص الخليفة عمر لمواصلة الفتح نحو إفريقية، فأسدى له نصيحة قائلا: "إنما ليست بإفريقية ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها".[5]

وفي زمن عثمان بن عفان 24هـ/644م، تمكن عبد الله بن أبي سرح من القضاء على البيزنطيين، ودخلوا مدينة قفصة، وكان أغلب سكانها من البربر والروم الذين طالبوا

---

[1]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 379؛ المرجع السابق، ص 211-293.

[2]- اليعاقية: هم أصحاب الطبيعة الواحدة للمسيح وعرفت أيضا أو دعت إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى أسقف مدينة أوديسا "يعقوب برادايوس" لها علاقات طيبة مع الكنيسة القبطية؛ ينظر: هنري كريمونا، موسوعة الأديان، إع: مجموعة من الباحثين، ط2، دار النفائس، بيروت، 2002، ص 502؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ص 181-182.

[3]- النسطورية: ظهرت زمن المأمون وهم أصحاب نسطور الحكيم، كان يتصرف في الأناجيل؛ ينظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ص 181-182.

[4]- رضوان البارودي، المرجع السابق، ص 177.

[5]- البلاذري، المصدر السابق، ص 227؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 156.

بالصلح مقابل الجزية[1]، كما أن سكان السواحل كان معظمهم رومانيين مسيحيين أو مترومنين مسيحيين، تحت حكم السلطة البيزنطية، بالإضافة إلى المناطق الداخلية التي سكنها المسيحيين الذين فروا من الاضطهادات التي عرفوها قبل الحكم الإسلامي، وهذا ما يؤكده ابن خلدون الذي يذكر أن: "كان البربر بإفريقية والمغرب قبل الإسلام تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية الذي اجتمعوا عليه مع الروم".[2]

وفي ولاية أبي المهاجر دينار "55-62ه/676-682م" تحالف الروم مع البربر لضرب المسلمين، وعلى رأسهم كسيلة بن لمزم الأوربي زعيم قبيلة أوربية[3]، ليشكل فيما بعد عقبة بن نافع سيفا حادا على الروم والنصارى ببلاد المغرب إذ شتت صفوفهم، وانتصر على الروم، لكن أثناء عودته، اجتمع الروم والبربر بزعامة كسيلة، واعترضوه أمام حصن رومي يعرف بتهودة، قتل أثناءها عقبة والكثير من أصحابه"[4] ونفس المصير لقيه زهير ابن قيس البلوي، الذي في زمنه استعاد الروم نشاطهم وتحالفوا من جديد مع كسيلة لمنرم البربري لقتله وكان ذلك سنة 71هـ[5]، كما تمكن حسان بن النعام من محاصرة مدينة قرطاجة التي شهدت وجود الروم والبربر المسيحيين الذين فروا إلى صقلية والأندلس، وكان هناك مواجهات عدة بين الروم وحسان بن النعمان الذي تصدى لهم ففروا إلى مدينة باجة وتحصنوا بها، كما لجأ البعض إلى الهروب عبر السفن[6]، كما تمكن من القضاء على الكاهنة التي عاثت في البلاد تخريبا وفسادا[7]، وتمكن القائد حسان بن النعمان من فرض الخراج على

[1]- عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية ، تح: أحمد بن ميلاد وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1987، ص 23.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 114.

[3]- رضوان البارودي، المرجع السابق، ص 179.

[4]- الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، تح: عبد الله الزيدان وعمر موسى، بيروت، 1980، ص 42-43، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 24-25.

[5]- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 65-66؛ الرفيق القيرواني، المصدر نفسه، ص 45-46.

[6]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص 45-46؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 241.

[7]- الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص 48-49.

العجم وكل من يدين بالنصرانية بإفريقية[1]، وكان حسان بن النعمان دائم المواجهة مع الروم هذا ما دفعه إلى بناء مدينة تقف كحاجز أمام الروم وإنشاء أسطول للدفاع عن الإسلام والمسلمين بإفريقية[2]، وأسلم أهل أغمات في عهد موسى بن النصير، وقد كانوا يدينون النصرانية، أما القبائل الأخرى التي كانت بأصيلا وطنجة وتطاوين وغيرها من المدن المغربية، فقد فرت من الحصار ولجأت إلى القوط رافضين دفع الجزية.[3]

أما بعد الفتح الإسلامي، فقد ظلت بعض الفئات النصرانية محافظة على ديانتها المسيحية، مقابل جزية تدفعها، كما حرص على مراقبتهم، والسهر على حمايتهم وتوفير الأمن والأمان لهم وقد وجد لهم شارات معينة يلبسونها تميزهم عن غيرهم، ولهم الحرية في ممارسة التجارة والبيع باستثناء بيع المحرمات كالخمر ولحم الخنزير.[4]

وفي عهد الأمير إبراهيم بن أحمد بن محمد (267هـ/****) أقر عليهم وضع الرقاع على أكافهم وفي كل رقعة صورة قرد، وأيضا على أبوابهم، وأصبحت مدينة تهودة في القرن الرابع والخامس مركزا أسقفيا، فانتشروا بمدينة طنجة وتطاوين ومدينة سبتة التي كانت بها كنيسة وهي حاليا مكانها جامع سبتة[5]، كما وجد باب بمدينة فاس في القرن السابع ميلادي عرف باسم باب الكنيسة.[6]

---

[1]- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 64.

[2]- رضوان البارودي، المرجع السابق، ص 184.

[3]- بديعة الخرازي، المرجع السابق، ص 19؛ رضوان البارودي، نفسه، ص 185.

[4]- موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ص 27؛ رضوان البارودي، المرجع السابق، ص 185.

[5]- الحميري، المصدر السابق، ص 305.

[6]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 18؛ ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 50.

**ه.النصارى في الحكم المرابطي:**

لقد لقي أهل الذمة معاملة خاصة من طرف المرابطين، فكانت لها مهاما ومكانة طيبة في الجهاد الإداري للدولة، إذ تقلدوا مناصب سامية في القصر[1]، وأول من استخدمهم في الجيش هو الأمير يوسف[2]، كما تم استخدامهم في الحرس الخاص، ووصل عددهم إلى حوالي أربعة آلاف كان أغلبهم في فاس[3]، ووصل بعضهم إلى مركز القيادة في الجيش مثل الروبرتير، وهو قائد يعود أصله إلى برشلونة كان له دور فعال في الدفاع عن الدولة المرابطية كما أوكلت له مهام جباية الخراج.[4]

أما على المستوى الاجتماعي فقد كان للنصارى أحياء خاصة بهم مرفوقة بالحانات والأسواق الخاصة بهم، دون أن نغفل عن دور الأسرى النصارى الذين أدوا دورا تقنيا مهما إذ حفروا أربع مائة قناة كانت تمر عبرها مياه جبل درب على مبنى خاص فيه المياه ب مراكش، كما نقلوا بعض العادات الاجتماعية والاحتفالات التي تأثر بها المغاربة، وقد أدت الجاليات المسيحية دورا مهما في الجانب الاقتصادي إذ كان لهم دورا فعال في تنشيط الموانئ التجارية، وساهم النصارى المبعدون إلى المغرب الأقصى في تطوير النشاط الزراعي خاصة مدينة فاس، بفضل الخبرة التي كانوا يتمتعون بها في هذا المجال.

**ثالثا: مناطق استقرار اليهود والنصارى بالمغربين الأدنى والأقصى**

**1. منازل اليهود:**

كما ذكرنا سابقا فبلاد المغرب الإسلامي شهدت توافد اليهود إليها من مختلف بقاع العالم، فسكنوا السواحل واتجهوا نحو الداخل.

---

[1]- ليفي بروفنسال، الإسلام في الغرب والأندلس، تر: السيد محمود عبد العزيز سالم، القاهرة، 1956، ص 122؛ إيمان عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 04.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 78.

[3]- ياقوت الحمري، المصدر السابق، ج4، ص 330.

[4]- إيمان عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 04.

**منازل اليهود بالمغرب الأدنى:**

سكن اليهود إقليم برقة[1]، وهو من أهم الأقاليم التي انتشروا بها[2] إذ هو الوجهة التي توصل القادمين من مصر إلى القيروان[3]، عرفت المدينة بنشاطها التجاري[4]، فهي مدينة عامرة بالعرب واليهود الذين كانوا يدفعون الجزية[5]، وقد شهدوا ظلما واضطهادا من طرف الروم الذين زرعوا الفساد في البلاد[6]، واستقر اليهود أيضا في مدينة طلمثية ومدينة الرمادة.[7]

كما سكن الرقيق مدينة زويلة وهي مدينة متاخمة لبلاد السودان، تواجد بها اليهود وانتشروا على طول الطريق التجاري بينها وبين ساحل البحر المتوسط، اشتهرت المدينة بتوزيع الرقيق، وهي التجارة الرائجة عند اليهود[8]،ويقال بأن يهود المدينة كانوا يجالسون تجار وشيوخ المذهب الإباضي.[9]

ومن المعلوم والمعروف أن اليهود منذ القدم يميلون إلى الجانب الاقتصادي هذا ما جعلهم يتجهون نحو المدن والأقاليم التجارية فسكنوا إقليم طرابلس الذي كان قبلتهم منذ

---

[1]- برقة: مدينة كبيرة بين الإسكندرية وإفريقية بينها وبين البحر ستة أميال، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 92، الاستبصار، ص 143، البكري، المصدر السابق، ص 46.

[2]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص 13؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، تج: حسن مؤنس، القاهرة، ص 13.

[3]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 310.

[4]- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 69.

[5]- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 272؛ البلاذري، فتوح البلدان، بيروت، 1973، ص ص 221-222.

[6] - Hirschberg, A history of the Jewis in North Africa, Peiden, 1974, p 97.

[7]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 66؛ ابن خرزادية، المسالك والممالك، ص ص 85-86-224.

[8]- ياقوت الحموي، المصجر نفسه، ج3، ص ص 159-260.

[9]- ابن أبي زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، 1979، ص 163.

العهد الروماني[1]، إذ أخذت بعض المدن أسماءهم كمدينة اليهوديتين أو مرسى اليهودية[2]، وسكنوا مدينة سرت[3] و لبدة[4]، واتجهوا أيضا نحو المدن الداخلية فسكنوا جبل نفوسة[5] ومدينة شروس وجادوا التي تقع بالقرب من نفزاوة.[6]

وسكن اليهود أيضا مدينة جربة[7] المتميزة بموقعها الجغرافي والقريبة من مدينة قابس، اشتهرت المدينة بالصناعة الحريرية وكثرة الأسواق والفنادق مما أدى إلى تضاعف عدد اليهود بها.[8] واشتهر يهود مدينة نفزاوة بالغنى والثراء[9]، وسكنوا مدينة صفاقس المعروفة بثروتها السمكية وزراعة الزيتون واستخراج الزيت.[10]

أما مدينة القيروان فهي عاصمة دينية ليهود شمال إفريقيا، وبها المدرسة التلموذية التي جعلتها مركز للعلوم الدينية[11]، واستقطبت مدينة المهدية عدد كبير من اليهود التي تعد من

---

[1]- ابن خرذادبة، المصدر السابق، ص 24.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص 85.

[3]- سرت: مدينة في برقة، بينها وبين طرابلس مائتا ميل وثلاثون ميلا وبينها وبين البحر ميلان، وهي قديمة أهلها أخس الناس خلقا وأسوأ معاملة؛ ينظر: الحميري، المصدر السابق، 312، البكري، ص 06؛ مجهول، الاستبصار، ص 109.

[4]- لبدة: مدينة قديمة بناحية طرابلس الغرب، كانت عظيمة الشأن مبنية بالرخام؛ ينظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 508؛ البكري، نفسه، ص 09، اليعقوبي، المصدر السابق، ص 346.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 07؛ Hirschberg, op cit, p 131 .

[6]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 97، ياقوت الحمري، المصدر السابق، ج5، ص 297.

[7]- جربة: جزيرة في إفريقية أقرب بلادها إلى قابس؛ ينظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 158.

[8]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 72؛ هوبكتر، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ص 289.

[9]- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 300.

[10]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 73؛ البكري، المصدر السابق، ص 20؛ اليعقوبي، البلدان، ص 347.

[11]- ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 73؛ البكري؛ Chouraqui, op cit, p 79.

أهم موانئ إفريقية[1]، ومدينة سوسة المعروفة بأسواقها وفنادقها[2] ومدينة تونس بالإضافة إلى بلزمة و طبنة الواقعتين على خطوط التجارة مع السودان الغربي[3]، كما لزم اليهود الجبال فسكنوا جبال الأوراس.[4]

**منازل اليهود بالمغرب الأقصى:**

من خلال المصادر الجغرافية والكتابات التاريخية، يتبين أن منطقة المغرب الأقصى كانت أكثر استقطابا لليهود، فسكنوا إلى جانب البربر خاصة أولئك الذين كانوا يدينون الديانة اليهودية.[5] فسكنوا مدينة فاس والتي وصفها الجغرافيين "فاس بلاناس"، كما يقول البكري بأنها أكثر البلاد يهودا[6] ويؤكد ذلك صاحب الحلل الموشية الذي يذكر بأن عددهم بالمغرب الأقصى تزايد زمن المرابطين وعرفوا بالثراء والغنى.[7]

فسكنوا إقليم تامسنا وتادلا[8] وجبال فزازا[9]، وسكنوا النكور التي عرف أحد أبوابها

---

[1]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 192؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 167؛ البكري، المصدر السابق، ص 09؛ ياقوت الحموي، ج5، ص 230.

[2]- ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 74.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 141.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 107.

[5]- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل ذكار، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، المغرب، 1979، ص 25؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 107؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 31.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص 115، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 230؛ القزويني، المصدر السابق، ص 103.

[7]- مجهول، الحلل الموشية...، ص 05.

[8]- ابن خلدون، العبر...، ج6، ص 12؛ أبو الفدا، المصدر السابق، ص 135؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 183-184.

[9]- مؤلف مجهول، الاستبصار...، ص 20؛ الحميري، المصدر السابق، ص 435.

بباب اليهود[1]، كما سكنوا مدينة سجلماسة الواقعة على طريق التجارة مع السودان الغربي[2]، ووجدوا أيضا بمنطقة درعة التي قال عنها الحموي بأن أكثر تجارها يهود[3]، وسكنوا أيضا منطقة أغمات[4] وقمنورية.[5]

## 2. منازل النصارى:

إن سكن النصارى واستقرارهم لم يقتصر فقط على المناطق الساحلية، بل وصل حتى المناطق الداخلية، وما رسوا حياتهم الاجتماعية وفق ما تمليه عليهم الشريعة الإسلامية، فسكن مسيحيو المغرب الأدنى ببرقة وطرابلس[6]، وانتشروا في الواحات الليبية ومن بينها واحة البهنسي، أجدابية، سرت، وإفريقية وغيرها من المدن الساحلية[7] ومدينة باجة التي وجد بها عدد من الكنائس.[8]

بالإضافة إلى بلاد الجريد التي فتحها المسلمون وبنى بها مسجدا إلى جانبه كنيسة[9]، وسكنوا بمدينة قابس وصفاقس، و سوسة التي بها درب عرف بزقاق الروم.[10]

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص 90.

[2]- نفسه، ص 148؛ مؤلف مجهول، الاستبصار...، ص 202.

[3]- الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 451؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 359؛ ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 88.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 235.

[5]- ابن زرع، المصدر السابق، ص 121؛ الإدريسي، المصدر نفسه، ص 105.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص 182؛ سعد زغلول، المرجع السابق، ص 125-126.

[7]- نفسه، ص 37؛ مؤلف مجهول، الاستبصار...، ص 144-160-161.

[8]- مؤلف مجهول، الاستبصار...، ص 160-161؛ إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 25.

[9]- التجاني محمد بن أحمد، رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981، ص 262.

[10]- البكري، المصدر السابق، ص 12-13، التجاني، المصدر نفسه، ص 162.

أما التواجد النصراني بالمغرب الأقصى فيعود إلى القرن الثالث ميلادي إذ وجدوا بكثرة في موريطانيا الطنجية، وأصبحت فيما بعد منطقة تهودة مركزا أسقفيا، كما انتشروا بمدينة طنجة وتطاوين، بالإضافة إلى مدينة سبتة التي بها كنيسة أصبحت فيما بعد جامعا.[1]وتعد مدينة مراكش من أهم المراكز النصرانية[2]، إذ خصص لهم حي خاص بهم يتوافر على مختلف المرافق الحياتية[3]، ومدينة مكناسة تكونت بها حوالي ثلاثة آلاف من النصارى معظم أولئك المبعدين من الأندلس[4]، وخص لهم حي عرف بحي الفتيان، ودرب فيرو[5]، كما سكنوا مدينة سلا[6]، كما تواجدوا بمدينة فاس[7] التي عرف أحد أبوابها بباب الكنيسة.[8]

[1]- الحميري، المصدر السابق، ص 305.

[2]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 131.

[3]- القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 72.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص 24.

[5]- القادري بوتشيش، المصدر نفسه، ص 72.

[6]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية....، ص 90.

[7]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 20.

[8]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 18.

# الفصل الثاني

## الدور الاجتماعي لأهل الذمة

## (6ـ10هـ/12ـ16م)

**أولا: الحياة العامة لأهل الذمة بالمغربين الأدنى والأقصى.**

**ثانيا: دور اليهود والنصارى في التنظيم الاجتماعي.**

**ثالثا: الحركة العلمية لأهل الذمة بالمغربين الأدنى والأقصى(6-10ه/13-16م).**

## أولا: الحياة العامة لأهل الذمة بالمغربين الأدنى والأقصى

### 1-تركيب المجتمع اليهودي والنصراني:

### ا_ تركيب المجتمع اليهودي:

ان اليهود هم فئة من فئات المجتمع الذمي، وإحدى فئات المجتمع الإسلامي، وقد حفظت لهم الشريعة الإسلامية ذلك مقابل جزية يدفعونها كما ان سياسة التسامح الديني ونظام الجوار منح لهم الحماية والأمان في أواسط القبائل البربرية بمختلف شرائحها،ويظهر ذلك جليا في مدينة وارجلان عندما انحازت فئة من اليهود للخوارج وأخرى للفرقة المعادية[1]، وقد كانت اليهودية قلة قليلة في المجتمع الإسلامي الذي عرف بالتنظيم القبلي[2].

وقد كان يترأس المجتمع اليهودي شيخا كان يعرف بالجاون (gaon)[3]، وفي شمال افريقية عرف بالناجد وكان يمارس غليهم كل الصلاحيات السياسية والدينية[4] وفي الأندلس عرف بالحاخام[5]. بالإضافة الى مركز الحبر الذي كان يتولى القضاء وحل النزاعات بين اليهود، كما أوكلت له مهمة الفتوى.

اما في عهد الدولة الموحدية "520ه-668ه/1127م-1275م"[6] فقد قامت مهام المراتب الاجتماعية، ان لم تقل انعدمت، وذلك للسياسة التي انتهجوها ضد فئة أهل الذمة، فقل نشاطهم ببلاد المغرب الإسلامي، و لم تبقى منهم الا قلة قليلة اظهروا

---

[1]-ابو زكرياء سير الائمة،ص162

[2]-ابن خلدون ، العبر،ج6،ص106، عبد الرحمان بشير اليهود في المغرب العربي(22.462ه/ 642.1070م)س، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الهرم، ط1،2001، ص112.

[3]-مسعود كواتي، المرجع السابق، ص115

[4]-الدباغ، المصدر السابق، ص161،ج3

[5]-ابن الخطيب، الاحاطة...،ص439.

[6]-الدولة الموحدية،524/668ه/1130-1269م، ظهرت على يد محمد بن تومرت الذي دخل بجاية، والتقى بعبد المومن بن علي في تلمسان حوالي510ه/1116م لتوجيه نحو المغرب الاقصى توجيه نحو قبائل مصمود وهاجم المرابطين ، ينظر: الزركشي ، تاريخ الدولتين، ص3-18.

إسلامهم وكانوا يصلون الى جانب المسلمين. ويقراون القران، مستنيرين على نواياهم.[1]كما ان الموحدين قاموا بطرد اليهود الذين شك في أمرهم خاصة بالمغرب والأندلس الى بلاد أوروبا[2].

ولما دخل عبد المؤمن بن علي (524-558ه/1130-1163م) الى درعة وإقليم سوس، قضى على الجماعات اليهودية وكذلك بمدينة سجلماسة كما قام بإعدام عدد من اليهود الذين رفضوا الدخول للإسلام[3]، كما اجبر البعض منهم على الإسلام عنوة وهذا يتنافى مع الشريعة الإسلامية[4]. وفي أواخر الحكم الموحدي تحسنت أوضاع اليهود وفتحت من جديد معابدهم وكنائس النصارى، وأزهرت تجارتهم وتجددت العائلات والمجموعات اليهودية من بينها عائلة الحبر موسى الغدامسي، التي استقرت في منطقة بين طرابلس وتونس625ه/1211م[5].

اذن فالعائلات اليهودية في الفترة الموحدية كانت جد قليلة، وذلك يعود بالدرجة الأولى لعقيدة ابن تومرت التي تدعوا للاعتماد على العقل في الوصول الى التوحيد والعبادة الصحيحة، وقد عممت في كل بلاد المغرب دون استثناء[6]. كما مارسوا الاضطهاد الديني ضد فقهاء المالكية ولم يسلم منه حتى أهل الذمة وأدى ذلك الى قلة نشاطهم في المنطقة وزوال الجماعات اليهودية[7] وفي 15صفر 609ه/1212م، انهزم

[1]-المراكشي، الحلل الموشية، ص383.

[2]-فاطمة بوعمامة، المرجع السابق،ص35.

[3]-ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص16.

[4]-الشهر ستاني، الملل والنحل، ص102

[5]-عبد الرحمان ياغي، حياة القيروان وموقف ابن رشيق، بيروت، دار الثقافة،1961، ص74: البكري، المصدر السابق،ص9

[6]-علام، قيام الدولة الموحدية، ص133.

[7]-الفردبل، الفرق الاسللامية في الشمال الافريقي، ترجم عبد الرحمان بدمي، بنغازي،1969،ص32

الموحدون أمام جيش النصارى في جبل الشارات الجنوبي(navas de tolosa)، فانقسمت الدولة الموحدية على إثرها الى ثلاث دويلات[1]:

دولة بني حفص[2] بتونس ودولة بنو زيان[3] بالمغرب الأوسط ودولة بني مرين[4]بالمغرب الأقصى.

بعد الانقسام الذي شهدته بلاد المغرب الإسلامي بعد انهزام الموحدين واستلام سلاطين الدويلات الناتجة عنه، لم يتدخل حاكم البلاد المغاربية في تسيير او تنظيم شؤون المجتمع اليهودي، بل ظلوا محافظين على سياستهم، اما تنظيم الجماعات اليهودية فكان من اختصاص شيخ اليهود الأكبر سنا بينهم وهو يعرف بالنكيد" zaken ha yehudim" كما ذكره[5] الحسن الوزان[6]، لكن بعد سقوط غرناطة سنة 1492م

[1]-ابن ابي زرع ، المصدر الساربق

[2]-بني حفص، يعود نسبهم الى ابي حفص عمر الهنتاتي، احد العشرة من اصحاب المهدي، كانت لهم مكانة كبيرة في الدولة الموحدية،تقلدوا مناصب هامة في الدولة، مؤسسها ابي زكرياء الحفصي، ينظر:ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقدنح: محمد الشاذلي الشيفر، عبد المجيد التركي، الدار التو نسية للنشر، 1948، ص ص103-104، ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص197،الفرديل،المرجعالسابق، ص287

[3]-دولة بني زيان: تعود التسمية الى زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكسن بن طاع الله من بطون بني القاسم من قبيل بني عبد الواد، ينظر:ابو عبد الله التنسي، نظم الدار والعفيان، تح: محمود بو عياد، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبية الوطنية الجزائرية،1985.، ص186

[4]-دولة بنو مرين: وفد من قبيلة زناتة، ينتسبون الى مرين بن وزناجة بن ماخوخ بن حديج بن فاتن بن يادر بن يخفت بن عبد الله بن ورتانيس بن المغز بن ابراهيم بن ساحيك بن واسين اخوه بنو يلومي ومديونة، ينظر، اسماعيل بن الاحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، مطبوعات القصر الملكي الرباط، 1962،ص ص8-10، ابن خلدون، العبر....،ص196، مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، ط1، الرباط،2005، ص41.

[5]-لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار عرناطة،ص83

[6]-الحسن الوزان، المصدر السابق، ص113، فاطمة بوعمامة، االمرجع السابق، ص61

عرفت بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأدنى والأقصى بصفة خاصة هجرات يهود الأندلس فارين إليها من الاضطهاد الذي شهدوه من طرف النصارى[1]، هذا ما أدى إلى ظهور فئتين متمايزتين فيما بينهما وهما اليهود الأهالي ويهود الأندلس.

## 1-اليهود الأهالي"tochabim":

وهم اليهود الذي استقروا ببلاد المغرب منذ القديم، يمارسون حياتهم الاجتماعية بصفة طبيعية[2]،وبعد الفتح الإسلامي دفعوا الجزية للمسلمين، وطالبوا بنظام الجوار[3]، وذلك لقلتهم بالمقارنة مع السكان المحليين بالمغرب، تناقص عددهم في فترة الموحدين اما كنيتهم بالتوشابيم اي الأهالي، فكانت بداية من القرن9ه/15م[4].

## 2اليهود المطرودين"megorachim":

وهم اليهود الذين جاءوا الى بلاد المغرب فارين من الاضطهاد الذي واجهوه من طرف النصارى في بلاد الأندلس وكان ذلك بداية من القرن 7ه/13م[5]ليتضاعف عددهم مع نهاية القرن التاسع هجري /الخامس عشر ميلادي، وذلك لما بلغهم من معاملة طيبة من الدول الإسلامية في هذه الفترة، فتواجدوا بصفة اكبر بالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى اما المغرب الأدنى فكانوا بنسب ضئيلة، وعرف اليهود المطرودين بتفوقهم في مختلف المجالات الحياتية، بالإضافة الى الغنى والثقافة، وهذا ما ادى الى التوتر والنزاع مع اليهود الأهالي اذ اختلفوا في المسائل الدينية، كما ان نظرة التعالي ليهود الميغوراشيم تجاه tochabim اذ كانوا يرون بان يهود الأهالي اقل شان منهم والعكس فاليهود المحليين كانوا يرون بان اليهود القادمين متأثرين بالثقافة المسيحية والنصرانية وهذا لم يرق لهم،

---

[1]-مصطفى ابن حموش، يهود الاندلس في تلمسان( قصة التزوح والاقامة، مجلة الوعي، العدد4/3، مطبعة الديوان، الجزائر، 2011، ص173

[2]-وهيبة بونداوي، المرجع السابق،ص160

[3]-عبد الرحمان بشير، المرجع السابق،ص112

[4]-عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ح2، القاهرة، 1971،ص51، عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص113

[5]-esienbsth ; opcit ;p8-9 :ibid ;p-10-11

ووصل بهم الأمر لدرجة ان قام كل واحد منهما بالصلاة بعيدا عن الأخر ، لكن التفوق العلمي لليهود المطرودين وملكة الجاه جعلتهم يترأسون المجموعات اليهودية في المغربين الأدنى والأقصى خلال القرن 9و10ه/15-16م".

أما عن توزيع الجماعات اليهودية فيذكر شوراكي، بأن أكبر عدد منهم كان بمدينة مراكش، والباقي موزع على مختلف بلاد المغرب الإسلامي[1] وهذا ما سنوضحه في الدائرة النسبية المبينة أدناه:

**الدائرة النسبية**

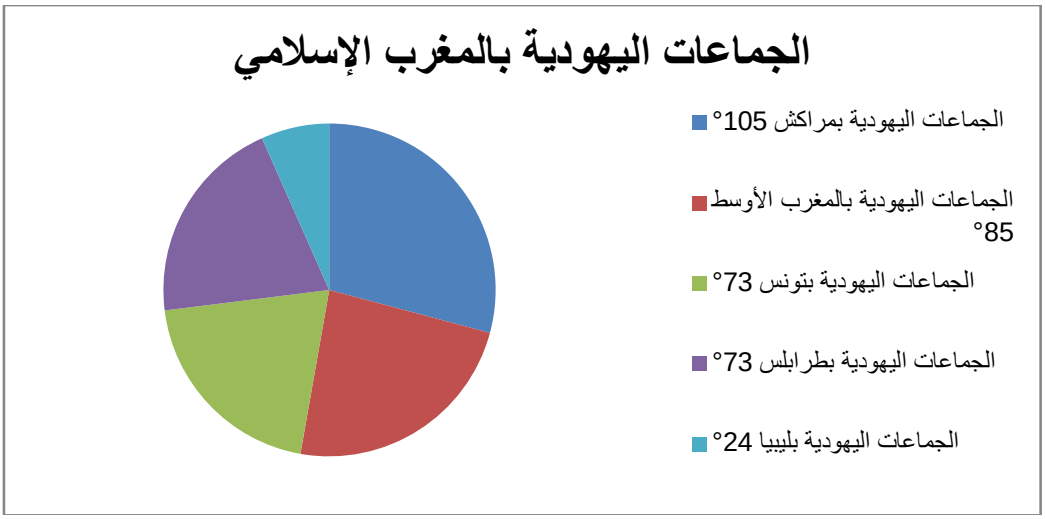


**استنتاج:**

من الدائرة النسبية الموضحة أعلاه يتبين ان عددا كبيرا من الجماعات اليهودية كان بالمغرب الأقصى اذ وصل عددهم الى حوالي 17 ألف بمدينة مراكش ولعل ذلك يعود الى سياسة الدولة الحاكمة التي سمحت لهم بالاستقرار بالبلاد وممارسة نشاطهم الاقتصادي بكل حرية ووفق ما تمليه عليهم الشريعة الإسلامية، لتحتل المغرب الأوسط المرتبة الثانية في وجود الجماعات اليهودية اذ وصل عددها الى 14 جماعة، وكان ذلك قبل سنة 1254م، وذلك لطبيعة المجتمع المغاربي الذي مارس سياسة اللين تجاه الذميين

[1]- chouraqui ; opait ;p124

بالبلاد،حتى وصل بهم الأمر إلى التحكم في الدولاب الاقتصادي وذلك لبراعتهم في التجارة ومواردها،كما وجدت حوالي 12جماعة يهودية بتونس و12 جماعة أخرى بطرابلس و4 جماعات بليبيا،ولعل عدم استقرار اليهود بالمدن الشرقية للمغرب يعود إلى بعد المساحة وصعوبة التنقل، هذا ما أدى إلى استقرارها بالمغرب الأقصى والأوسط على العموم.

## ب-تركيب المجتمع المسيحي:

ان المصادر التاريخية لم تشير بصورة واضحة الى المجموعات او الجماعات النصرانية التي كانت ببلاد المغرب الإسلامي خاصة في بداية القرن السادس الثاني عشر ميلادي، وان ذلك او أشارت فقط كانت بعض الإشارات الخفيفة للأسقفيات والكنائس والأديرة، وما هذا إلا دليل على مكانة الدين الإسلامي في المجتمع المغربي، وهذا لا يعني انعدام هذه الفئة في المجتمع المغاربي وإنما وجدوا ولكن بصورة ضعيفة، فكان مجتمعهم يتركب من:

### ب-1-المرتزقة:

في أواخر الحكم المرابطي انظم جند النصارى إلى جيش يوسف عند ما خرج لقتال الموحدين سنة534ه/1139م[1]، وأيضا في سنة 540ه/1154م[2] في مدينة فاس وبعد انهزام المرابطين أمام الموحدين انظم هؤلاء إلى الجيش الموحدي الذين سهلوا على عبد المؤمن بن علي الدخول لمدينة مراكش سنة 541ه/1146م كما استعان بهم الموحدين في إخماد ثورة محمد بن هود الماسي[3]، ليتحزر وجودهم في فترة حكم المأمون سنة 624-630ه/1227-1232م[4]، وازداد عدد النصارى في أواخر الحكم

[1]-علام، المرجع السابق، ص25

[2]-نفسه، ص47

[3]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص183

[4]-محمد حمام، الغرب المسيحي والغرب الاسلامي خلال القرون الوسطى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط،(د.ت)، ص ص117-118.

الموحدي، خاصة وان خلفاء الموحدين كانوا يستعينون بهم في إخماد الثورات التي كانت تثيرها القبائل[1].

أما في فترة حكم بني حفص في المغرب الأدنى، فقد كان لفرقة المرتزقة دور هام بظهور طبقة عرفت باسم العلوح[2]، إذ اسلم بعضهم والبعض الآخر ظل محافظا على ديانتهم، وبلغ عددهم حوالي 26000 ساكن سنة 942ه/1535معرفوا بإخلاصهم الحفصيين إذ استعان بهم أبي زكرياء الحفصي سنة 896ه/1490م لدخول مدينة تونس[3]، وتقلدوا هؤلاء مناصب سامية حتى أنهم أصبحوا يقومون بأشياء منعت عليهم وحقت على المسلمين فقط[4].

أما في دولة بني مرين فقد وجدت فئة المرتزقة بعد انهزام الموحدين إذ لم يتقاضوا أجورهم فانفصلوا عنها والتحقوا بالمرينيين، بالإضافة إلى تلك الاتفاقيات التي أبرمت بين المغرب الأقصى وملك الاراغون[5]، فالمرتزقة في عهد بني مرين كانوا فئتين مختلفتين جمعت بين الفارين والمرتدين للحكام والصنف الآخر كانوا في خدمة البلاط المريني وفق اتفاقيات مع الدول الأوربية [6].

[1]-ابن عذارى، المصدر السابق، ص150، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص37، ليون الإفريقي، المصدر السابق، ص152

[2]-الاعلاح: ابن عذارى، المصدر السابق، ح3، ص162

[3]-برنشفيك روبار، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي، تح: حمادي الساحلي، دار المغرب الإسلامي، ط1، ، ح1، بيروت، 1988، ص480

[4]-عمر سعيدان، علاقات اسبانيا القطلانية بالحفصيين في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي، منشورات سعيدان، سوسة، تونس، 2003

[5] -dufourcq ; hespagne catalane et le Maghreb au xiii exiv siecle ; puf ; p166

[6]-محمد حمام، المرجع السابق، ص122

إذن فالمرتزقة هم فئة من فئات المجتمع المغربي عن عهد المرابطين الى أواخر حكم الدويلات الناتجة عن سقوط الدولة الموحدية، وقد عزز تواجدهم ببلوغهم مناصب سامية في بلاط الدولة الحفصية والمرينية وهذا ما سنلمحه في الفصل الأخير من الدراسة.

**ب-2-القناصل والموثقون:**

إن فئة القنصل هي من أهم الفئات الاجتماعية في المجتمع النصراني وذلك لدورها الفعال في ربط العلاقات ورصد الآراء في البلاد المغربية كذلك عقد الاتفاقيات، وتسهيل أمر التواصل بين حكام بلاد المغرب الإسلامي و حكام الدول المسيحية، وقد كان للقنصل مهمة تعيين النواب عنه بالمدن الساحلية والموانئ، إذ كان هو يقيم بالفنادق[1]، كما كان يتولى مهام القضاء بين التجار و المقيمين بالفندق، ومن أشهر القناصل الذين عرفتهم بلاد المغرب نجد"كوكوكريفي""Coco GRIFFI"[2]،ووظيفة القنصل لوحده غير كافية لحماية كل المسيحيين خاصة التجار منهم بالبلاد المغربية، هذا ما أدى إلى ظهور وظيفة الموثق الذي يهتم بتسجيل كافة المبادلات، ويبين الأرباح، التي تحصل عليها الدول جراء المبادلات، ومن أشهر الموثقين التي عرفتهم البلاد المغربية نجد "جيوفاني سكريبا""Giovanni Scriba"[3]، وقد كان الموثق يخضع لسلطة رؤساء الجاليات المسيحية[4] .

إن مهمة الموثق تعد من المناصب المغربية، وذلك أوساطة هذا الأخير مع مختلف شرائح المجتمع، مما يساعده على بناء علاقات وطيدة مع السكان بالإضافة إلى إتقانه اللغة العربية.

[1]-الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص ص244-245.

[2] Dufourcq,opcit, p98

[3] الحسن الغرايب، المرجع نفسه ص 249.

[4]برنشفيك، المرجع السابق، ج1 ص 469.

**ب_3_العبيد والأسرى المسيحيون:**

إن وجود هذه الفئة في المجتمع المغربي،يعود إلى فترات سابقة لكن تضاعف العدد بعد المواجهات التي شنها الجيش الموحدي مع نصارى الأندلس وغيرهم من البلدان الأوروبية، بالإضافة إلى ذلك نظام القرصنة الذي عرف به النصارى كان له دور في ظهور السجناء بالسجون المغربية من جهة، وسوق العبيد من جهة أخرى، وكانوا يستغلون إما في الجيش أو في خدمة البيوت[1]، وقد كان لهذه الفئة دور في نقل الثقافة النصرانية إلى البلاد الإسلامية، مما ولد نوع من الانفتاح، وهذا ما سيظهر حاليا في الاحتفالات بالأعياد وبعض العادات و التقاليد، كما إن الاتصال الدائم مع الروميات في القصور خلق زيجات مختلطة، كما حدث في دولة بني حفص إذ تزوج الأمير أبي عبد الله المنصور أبي فارس من الجارية "ماريه" والتي أنجبت له المستنصر الحفصي"839_837ه/1435_1434م" وأبو عمرو عثمان " 894_839ه /1488 _ 1435م"، وغيرهم من سلاطين بني حفص[2].

إن الوجود الذمي ببلاد المغرب الإسلامي، كانت بصورة واضحة وجلية خاصة وان سماحة الدين الإسلامي ساعدهم على ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، كما سمحت لهم بتوفير المرافق الخاصة بهم، وهذا ما أدى إلى انتشار بعض المظاهر اللااخلاقية، كظهور الحانات التي ساعدت على شيوع ظاهرة شرب الخمر، إذ انتشر بين أرباب الدويلات الإسلامية ومختلف شرائح المجتمع، مما أدى بالفقهاء إلى إشارة الموضوع وعلى رأسهم البر زلي الذي طالب بهدم هذه الديار وإغلاقها[3]، كما انتشرت فكرة المخدرات التي تذهب العقل، وقد وجد في القيروان حي عرف "بحومة النباذة" أو النباذية حيث كان

---

[1] _ابراهيم القادري بوتشيش،المرجع السابق، ص194.

[2] _ابن أبي دينار، المصدر السابق،ص 166_168

[3] البرزلي أبو القاسم بن احمد بن إسماعيل القيرواني، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام،تح:محمد الحبيب الهنئة، ج2، بيروت 2004، ص145.

فيها الخمر جهرا، ولا يستثنى فيها الليل والنهار[1]، كما شاعت ظاهرة الزنا خاصة عند التجار والقناصل[2].

**_ثانيا: دور اليهود والنصارى في المحافظة على العادات والتقاليد :**

إن مجتمع أهل الذمة كغيره من المجتمعات البشرية، له أعياد دينية يحتفلون بها من الحين والآخر وتمسكه بالعادات والتقاليد الخاص بهم جعلتها تتوارث بين مختلف الأجيال.

**ا_الأعياد الدينية:**

ا1_أعياد اليهود:

إن اليهود كغيرهم من الملل الأخرى يحتفلون بأعيادهم الخاصة في المجتمع الإسلامي بصفة عامة، والمجتمع المغربي بصفة خاصة،إذ يذكر الونشريسي بأنهم كانوا يحتفلون بأعيادهم وفي أوقات معينة، إذ كانت لهم أعياد شرعية جاءت في التوراة وأعياد غير شرعية[3].

(_)الأعياد الشرعية:

ويذكر بأنها خمسة أعياد نصت عليها التوراة[4] وهي كالتالي:

**رأس هيشا:**

وهو عيد رأس السنة العبرية أيضا باسم روش هاشا ناه يحتفل به في شهر أكتوبر ويدوم ثلاثة أيام، وهو شبيه لعيد الأضحى عند المسلمين[5]و له طقوس خاصة ففي تونس يكثرون من أكل الثوم أما المغرب الأقصى فيأكلون التمر[6]

---

[1] ابن ناجي، المصدر السابق،ح2، ص92.

[2]الزركشي، المصدر السابق،ص51.

[3]الونشريسي، المصدر السابق،ح11، ص111.

[4]القلقشندي، المصدر السابق،ح2، ص436، النويري، المصدر السابق ،ح8، ص187_189.

[5]حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت،ط1، 1999، ص 201 _202 ، مسعود كواتي، المرجع السابق، ص112، فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص142.

[6] Chouraqui ;Opcit ;P173

**الكبور:**

ويعرف أيضا بعيد حوما ريا وهو عيد يوم الغفران في التاسع من شهر أكتوبر ويعد من أقدس أيام السنة، إذ يصومون فيه ليلا ونهارا ويتفرغون فيه للعبادة، يذبح فيه الدجاج ذات الريش الأبيض، ويفطرون على الحلويات ومن أشهرها حلوة "البولو"بتونس وخبز الجوز بالمغرب الأقصى[1]،أما عقوبة تاركها فهي القتل[2].

**عيد المظلة:**

ويسمى بالعبرية سكوت، يحتفل به في الخامس من شهر أكتوبر يدوم سبعة أيام، وهو عيد زراعي يحتفل فيه بتخزين المنتوجات الزراعية لذلك يسمى بعيد الحصاد، وسمي بذلك الاسم لبقاء اليهود أو بنو إسرائيل تحت المظل فرارا من فرعون[3]، ويطاق عليه أيضا"حجاسيب" أي عيد التخزين[4] وكان يهود المغرب الأقصى يأكلون فيه شربة اليقطين أما الخبز فيدق و يمزج بالحليب والعسل، وكانوا يأخذون الأغصان ويضربون بها على الكراسي داخل المعبد حتى تتساقط ذنوبهم بسقوط أوراق الغصن[5]

**بيساح "عيد الفصح":**

ويعرف أيضا بعيد الفسح،أي عهد الفرح بعيد الصيف يحتفل به في الخامس من شهر افريل يحتفل به على الأغلب ثمانية أيام، تسمى ب"البيصح" وهو إحياء لذكرى نجاة بنو إسرائيل من فرعون، يأكل فيه يهود المغرب الفطير وينظفون البيوت من خبز الخمير

[1] القلقشندى، المصدر السابق، ص436،النويري، المصدر نفسه،ح1، ص195.

[2] حسن ظاظا، المرجع السابق،ص203.

[3] زكي شودى،المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص275.

أبو الحسن على القايسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تح وتع:احمد

[4]خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،ط1986،1،ص154.

[5] حسن ظاظا، المرجع السابق، ص170 ، Chouraqui,Opcit,P173

ويأكلون الدجاج المحشي بالبيض واللحم، كما كان يهود تونس يقومون بتجديد جميع الأواني[1].

**عيد الشلفوعوت:**

ويعرف بعيد العنصرة أو عيد الأسابيع، يحتفل به في آخر شهر ماي وبداية جوان ويكون بسبعة أيام بعد عيد الفطر، يصنع اليهود فيه القطائف ويتفنون في صنعها ويأكلونها تذكارا للمن والسلوى الذي انزل على أسلافهم ويعرف بعيد الخطاب[2]

**(ـ)الأعياد الغير شرعية:**

**البور يم"عيد الفوز":**

ويسمى أيضا بعيد استر يحتفل به في الثالث عشر من شهر مارس إلى غاية الخامس عشر

من نفس الشهر، ويصومون قبله ثلاثة أيام[3]، وتوزع فيه الحلويات على الفقراء والأصدقاء وحتى المسلمين، فكانوا يحضرون الفطير المحشي بالتمر، والقمح المدقوق الممزوج باللبن أما في بلدان المغرب الإسلامي فكانوا يحظرون رغايف صغيرة محشية ببيضة مسلوقة عرفت بعين عمان[4].

**عيد الحنوكة:**

ويدوم هذا العيد ثمانية أيام،إذ توقد الشموع أمام البيت من اليوم الأول شمعة واحدة إلى غاية الثامن يوم لتكتمل الشموع الثمانية، يقومون بالصلاة و قراءة سفر

---

[1] مسعود كواتي، المرجع السابق، ص113،فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص144، زينب كرير، المرجع السابق، ص198

[2] القلقشندى، المصدر السابق، ح2، ص466

[3] القلقشندى، المصدر السابق، ح2، ص438.س

[4] Chouraqui , Opcit, 174

الخروج كما يهتمون بصناعة الأكل المميز له إذ يكون من القمح والزيت المحروق، والكسكس بالدجاج وسفيري وهو نوع من السفنج بالعسل[1].

بالإضافة إلى هذه الأعياد التي احتفلوا بها واشتركوا بها مع يهود العلم، فقد خص يهود المغرب الإسلاميين بعيدين و هما،الهيلولة والتي يحتفل بها أصحاب الكرامات ويكون ذلك في 18 من شهر ماي إذ يتوجهون إلى مدافن الأولياء ويحجون إليها كمقبرة اليهود بتلمسان، فيسهرون ليلا في قراءة الزومار والأناشيد والصلاة والتصدق لما بعد الحج[2]، أما الميمونة وهي مباشرة بعد عيد الفصح، إذ يتركون أبوابهم مفتوحة، آملين في دخول السعادة إليهم[3].

**ا2_أعياد النصارى:**

تشير المصدر الفقهية والنوازل بان النصارى كانوا يحتفلون بأعيادهم الدينية التي كان يطغى عليها نوع من البهجة والسرور، وكانوا يشاركون المسلمين فيها، وهي على الأرجح ثلاثة أعياد:

**1 عيد الميلاد:**

ويعرف بيوم عيد المسيح عيسى عليه السلام وهو في يوم 25 من شهر ديسمبر إذ كان النصارى يصومون أربعين يوم تبدأ من 16 ديسمبر و تنتهي في 24 من شهر جانفي أو يناير[4].

**2 النيرون "عيد الربيع":**

يعرف بعيد يناير وهو يصادف أول أيام السنة الميلادية ما يتوافق مع يوم ختان المسيح[5]،وقد شارك المسلمون النصارى في هذا العيد إذ كانوا يتهادون الأطعمة فيما بينهم

---

[1] فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 145_146.

[2] Chouraqui, Opcit, P80

[3] Hischberg, Opcit , 174 Chouraqui ,Ikid, P217

[4] البيروني، المصدر السابق، ص309_111.

[5] القلقشندى، المصدر السابق، ح1، ص491.

والهدايا[1]، وهذا ما أثار بعض فقهاء العصر المر يني إذ انه لا يحل للمسلمين أن "يبيعوا للنصارى شيئا من مصلحة عيدهم لا لحما و لا أدما ولا ثوبا...."[2] وكانوا يحضرون فيه الحلويات مثل الزلابية و الهريسة و يأكلون البطيخ الأخضر والخوخ و البلح[3].

### 3 عيد العنصرة "يوم ميلاد القديس":

ويصادف هذا العيد يوم 25 جوان عرف بشيوعة واشتراكية الاحتفال، فيحتفلون ببداية الصيف معا[4].

### 4 عيد الغطاس "يوم الغطاس":

وتكون هذه المناسبة في اليوم الثامن من ميلاد الطفل إذ يغطسون الطفل في حوض رخامي مملوء بالماء في الكنيسة تحت إشراف رجال الدين،[5]ويقرا عليه بعض من الإنجيل، وبعدها يعلن عن تنصر الصغير.[6]

على العموم فالنصارى لهم سبعة أعياد كبرى وسبعة أعياد صغرى، إلا أنهم في بلاد المغرب الإسلامي وبالضبط في دولة بني مرين اقتصرت أعيادهم على الأربع الكان السابقة.

### ب_العادات و التقاليد:

من أشهر العادات التي حافظ اليهود عليها طيلة قرون في مجتمع المغرب الإسلامي هي التحديد ويخص الذكر دون الأنثى إذ يوضع خط من الرماد على جبين

---

[1] ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري، مدخل الشرع الشريف على المذاهب، ح2، دار التراث، القاهرة،(دت)، ص48.

[2] ابن الحاج، المصدرنفسه، ح2، ص49.

[3] نفسه، ح2، ص48.

[4] أبو الفدا عماد الدين، المختصري أخبار البشر، علق:محمود ديب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997. ح1، 143_145.

[5] نفسه، ص146.

[6] الترجمان عبد الله، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تح: محمود على حمايته، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص81.

المولود، وتستمر هذه المناسبة أسبوعا كاملا مع ضرورة غلق الباب بإحكام على النافس وإدخال امرأة مسنة معها بشرط أن تكون كفيفة، مهمتها ترتيل الأدعية لحماية الأم النافس من الجن و العين[1]،تليها مهمة اختتان المولود في اليوم الثامن وتسميته[2]،لتتبعها مرحلة التصيير وهي القياس بالشبر وانتشرت بصفة خاصة في المغرب[3]، كما كان اليهود كثيري الخوف من العين والحسد ولهم ألفاظ خاصة يذكرونها إذ أعرب المسلم عن إعجابه بالشخص[4].

أما النصارى فمن أشهر عاداتهم هي تقديم العصيدة للمسلمين في يوم الميلاد[5]،فكان المسلمون يرددون وراء المسيح كلام دون أن يدركوا معناه خاصة و أن أعيادهم كانت مزيج من الابتهاج والسرور[6] دون أن نغفل على عادة سميت بدانتيستا عرف بها النصارى، وهي وليمة تقام على شرف الطفل الذي برزت أسنانه الأولى[7]،كل هذه العادات كان لها بعض الآثار السلبية على أطفال المغرب الإسلامي، إذ أصبح الصغار في هذه المناسبات يقدمون لمعلميهم في الكتاتيب النقود، كدليل على فرحة مشتركة[8].

ظلت هذه العادات الشعبية التي خلفها اليهود في المغربين الأدنى والأقصى، راسخة في الأوساط الاجتماعية توارثها الأجيال، وساعد في ذلك سماحة الدين الإسلامي، وامتزاج المسلمين في أوساط أهل الذمة.

---

[1] Chouraqui, Opcit, P 203_204

[2] حابيم الزعفراني، يهود المغرب و الأندلس، تر:احمد شحلان، ح2، مطبعة النجاح الجديد، المغرب 2000، ص427.

[3] فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص151.

[4] نفسه، ص 152.

[5] ابن الحاج، المصدر السابق، ص61.

[6] الحسن الوزان، المصدر السابق، ح1، ص258.

[7] الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص295.

[8] البر زلي، المصدر السابق، ح4، ص211.

## ثانيا: دور اليهود والنصارى في التنظيم الاجتماعي:

### 1 تنظيم الأسرة الذمية:

إن الأسرة هي اللبنة الأساسية لتنظيم الحياة الاجتماعية، فأهل الذمة بدورهم كان لهم مبادئ رئيسية للتكوين الأسري، إذ سعى كل من اليهود والنصارى على المحافظة عليها طيلة عصور من الزمن ومكن أهم الخطوات والركائز الأساسية للبناء الأسري نجد:

**ا-الزواج:**

يعد الزواج من الفروض الواجبة على كل شرائح المجتمع استثناء الرهبان عند النصارى، وكما انه لا تراعى الحالة الاجتماعية وإنما هو رباط مقدس وجب على الكل، والرجل العازب عند اليهود يعد إنسانا منحرفا وليس برجل[1]، وتسبق هذه المرحلة عند اليهود مرحلة الشيدوخين[2]"shiddukhin" وفيها يتم الاتفاق المبدئي بين الطرفين لتليها مرحلة الملاك أو ما يعرف "الايروسيم"erussim وهي من أهم مراحل الزواج.

وقد كان عقد الزواج يخضع لشروط وقوانين وان حدثت منازعات تضطر الحكومة القضائية لإلغائه، وهذا ما أشار إليه البر زلي عندما سئل عن أمور تخص أهل الذمة.[3] ونجد حالات الزواج الطفولي عند اليهود وعرف بحوبان بزعير ابنيم"إي"[4]، وفي المغرب الأقصى اشتهر سنظامان من الزواج أهمها الزواج القشتالي، وهو ينص على المساواة بين الرجل والمرأة[5].

وشاعت في بلاد المغرب الإسلامي ظاهرة الزواج المختلط، خاصة في القصور فمثلا في دولة بني حفص يذكر الزر كسي بان المستنصر كانت تزف له في كل ليلة

---

[1]-مسعود كواتي، المرجع السابق، ص110

[2]- haim-zafrani ; les juifs du maroc ; vie social ; economique et religieuse ; paris ;1973 ;p36 chouraqui opcit ;p87

[3]-البر زلي، المصدر السابق، ح2، ص295-294، ح4، ص107،106.

[4]-حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ح2، ص433.

[5]-عطا علي محمد شحاتة ريه، اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، ط1، دار الكلمة للطباعة والنشر، سوريا، 1999، ص102.

جارية[1]، كما امتلك السلطان أبو يحيى أبو بكر الثاني (747-718ه/1346-1318م) أربع جاريات روميات[2].

كما ارتبط الخلفاء المغاربة بزوجات مسيحيات، سواء تعلق الأمر من نسوى من مسيحي الأندلس ساو عن طريق الشراء في أسواق العبيد[3]، ومن أشهر الزيجات بالمغرب الأقصى زواج الأمير المأمون بحباب التي أخذت البيعة لأنبه الرشيد بعد وفاة أبيه (630ه-1232م)[4]، وعرفت هؤلاء النسوة بالدسائس لصالح حكامهم[5]،

وقد أشارت بعض المصادر الفقهية إلى زواج المسلمين من المسيحيات وفق عقود وعهود استلزمت شروط الزواج بما فيها الخطبة والصداق.[6]

**ب-تعدد الزوجات:**

من مميزات التلمود[7]انه يسمح بتعدد الزوجات إذ يحق للرجل الزواج من اثنين إلى ثلاث أو أربع، ويحق له ميراث زوجته إن توفيت لكن فيما بعد وخاصة في فترة حكم الحفصيين و المرينيين أصبح الميراث من حق أهل الزوجة[8]، وهذه الظاهرة لم تكن منتشرة بكثرة بين يهود شمال إفريقيا، إذ كانت العائلة اليهودية تأخذ ضمانات من الزواج قبل

---

[1]-الزر كشي، المصدر السابق، ص134.

[2]-ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص166؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ح6، ص105-106

[3]- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عُرِف من العُلماء في المائة السابعة ببجاية،تح: عادل نويهض، منشورات التأليف الترجمة والنشر – بيروت،ط1، 1969، ص45.

[4]- مؤلف جهول، الحلل الموشية...، ص254

[5]-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص241

[6]-البر زلي، المصدر السابق، ح2، صdufourcq ; opcit ; p108.293

[7]-التلمود: ويعني به التعليم والتعلم والدرس وهي كلمة مشتقة من كلمة لمد lamad وهو العلم ويعني به تعليم التوراة أو دراسة الشريعة اليهودية، وهو من أهم الكتب المقدسة عند اليهود، ينظر: اسعد رزوق، التلمود والصهيونية، بيروت، 1970، ص112

[8]-برنشفيك، المرجع السابق، ح2، ص458

ذلك ففي تونس الحفصية تزوج رجل يهودي بعد مرض زوجته، كما تزوج آخر بزوجة ثانية بحجة أن الأولى لم تنجب له الذكر فرحلت الأولى وأخذت كل ممتلكات زوجها[1].

أما في المغرب الأقصى وفي القرن الخامس عشر منع منعا باتا تعدد الزوجات وهذا ما أدى إلى خلاف بين الفرق الدينية اليهودية[2]، كما منع اليهود من الزواج من أي امرأة خارج ملتهم وانتشرت هذه الفكرة خاصة في العهد المر يني والو طاسي[3].

أما النصارى فلم تكن فكرة تعدد الزوجات منتشرة في وسطهم الاجتماعي إذ وجب على النصراني الزواج من امرأة واحدة، والوفاء لها طيلة الحياة مع حفظ كرامتها.[4]

إذن فقضية تعدد الزوجات قضية شائكة في المجتمع اليهودي إذ ترتب عنها ظهور فرق معارضة ومؤيدة على خلاف النصارى الذين ظلوا متمسكين بمبدأ الزواج بامرأة واحدة والتمسك بها طيلة الحياة.

**ج-الطلاق:**

لقد اختلفت فكرة الطلاق بين النصارى واليهود، إذ شرعت الشريعة اليهودية الطلاق،[5] وحصرت حالاته في سبعة أسباب ما زالت سارية إلى يومنا الحالي وهي:

- عدم القدرة على مضاجعة الزوجة
- تغيير الدين
- إسراف الزوج في الفجور والفساد
- الامتناع عن الإنفاق على الزوجة
- هروب الزوج من البلاد لجريمة ارتكبها

---

[1]-نفسه، ص456

[2]-حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ح2، ص80، عطا علي محمد، المرجع السابق، ص101-102

[3]-روجيه لوتورنو، المرجع السابق، ص114

[4]-سوزان السعيد يوسف، المرأة في الشريعة اليهودية، حقوقها وواجباتها، دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2005، ص104

[5]-حسن ظاظا، المرجع السابق، ص194

ـ سوء معاملة الزوجة باستمرار

إصابة الزوج بمرض خبيث أو ممارسة عملا أو تجارة محرمة

أما إجراءات الطلاق فهي تتم في مراحل وهي:

ـ أن يكتب الزوج ورقة يثبت فيها طلاق زوجته

ـ أن يسلم زوجته ورقة الطلاق به

ـ أن يطلب منها مغادرة البيت

هذه أهم النقاط التي نصت عليها الشريعة اليهودية سفي كتبهم المقدسة، كما أن ليس من حق الزوج إعادة زوجته مرة أخرى، وعليها أن تقوم بالعدة لمدة تسعين يوما.[1]

أما المسيحية فتنظر للزواج على انه علاقة بداية، والطلاق فكرة مستحيل الحصول عليها لان الزواج عقد غي منحل، إذ قيدته الكنيسة بعدة قيود يصعب إلغاؤها على مر العصور، وظهرت أول فكرة له في بداية القرن 10ه/16م بأوربا أما البلاد المغربية فلم تشير إليه في المصادر الفقهية والنوازل.

**2-التنظيمات السكنية:**

إن طبيعة الدين الإسلامي وسماحته كانت حافزا هاما أمام اليهود والنصارى الذين اختلطوا بالمسلمين وبادلوهم التجارة، فاستقروا بالمدن الساحلية، كما توغلوا إلى الداخل وسكنوا المدن الداخلية والقرى والأرياف.

لقد سكن اليهود والنصارى بلاد المغربين الأدنى والأقصى وسمح لهم بالإقامة بينهم والاختلاط بهم بشرط أن لا تعلو منازلهم منازل المسلمين كما نصت عليه الشريعة الإسلامية.[2]

---

[1]-سوزان السعيد يوسف، المرجع السابق، ص129، فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص ص122.123، haim tafrani ; les juifs du Maroc ; p98s

[2]-الونشريسي، المصدر السابق، ح7، ص59،60

**ا- التنظيمات السكنية عند اليهود:**

يذكر ابن سهل أن اليهود يميلون إلى سياسة الانعزال،[1] فوجدوا بأحياء خاصة بهم اختلفت أسماؤها من منطقة إلى أخرى نذكرها على النحو التالي:

ا1-الملاح:

وهي كلمة من أصل مغربي مشتقة من لفظة الملح، انتشرت هذه العبارة في المغرب الأقصى خاصة ويقال بأنها كانت مصدر انزعاج المسلمين المتشددين بالمنطقة، إذ كانوا يسدون أنوفهم عند المرور ناحيتها[2]، واتخذ الملاح مجموعة من التسميات في البلاد العربية، كحارة اليهود في مصر وقاعة اليهود في اليمن واليود يريا في الأندلس"juderia"[3].

أما عن ظروف بنائه في بلاد المغرب الأقصى فيعود إلى عهد أبي يوسف المر يني، وفي هذا السياق يقول ابن زرع في كتابه روض القرطاس"في سبع وسبعين (يعني وستمائة)، انزل اليهود بالملاح حول فاس الجديدة، وأخرجهم من فاس الادريسية بعد نهب أمتعتهم وقتل منهم عدد كثير"[4]، ويذكر بان أبو يوسف يعقوب هو أول من أمر ببناءه سنة 674ه/1274م حماية لهم من أهل فاس، وذلك بعد قيام بعض اليهود بتدنيس المسجد ووضع خمر داخل فوانيسه، فطردوا منها سنة1438م[5]، أما صاحب الذخيرة السنية فيذكر أن سبب النقل والطرد مفاده أن جارية مسلمة ادعت أن احد اليهود اقتضاها قهرا في داره[6].

---

[1]- أبي الأصبع عيسى بن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام المعروفة بالأحكام الكبرى،تح،نورة محمد عبد العزيز التو يجري، ط1،ح1995،1، ص97

[2]-فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص65

[3]-محمد الوادي، الوجود اليهودي بالمغرب، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، 2007، ص106،107

[4]-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص53-54

[5]-فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق، ص66

[6]-الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1972، ص91

أما المنوفي فيذكر أن السلطان أبا سعيد المر يني جعل من مدينة حمص[1]التي أسسها إزاء البلد الجديد،مسكنا لليهود[2].

وفي سنة 869ه/1465م اقتحم ملاح فاس من طرف السواد الأعظم من المدينة وقضوا على اليهود و لم يسلم منهم إلا خمسة من الذكور وست إناث أو اقل وكانت هذه اشد المحن التي شهدها اليهود ببلاد المغرب[3].

ويذكر أحبار من عائلة ابن دندان الغرناطية الفاسية ، أن اليهود طردوا من فاس القديمة وسكنوا الملاح بفاس الجديدة سنة198 وفي سنة 525 حدثت مذبحة عظيمة وقتلوهم لم ينجوا منهم إلا عشرين رجلا متزوجا والقليل من النسوة والصبيان، وعلى تقديرهم فانه أعظم اقتتال شهد بحق اليهود إلى تلك الفترة[4]،ويذكرون بأنهم شهدوا الكثير من المحن في مدينة فاس من أشهرها مذبحة الخصة(النافورة)[5].

ونذكر سلوش بان اليهود الذين قتلوا بملاح فاس سنة 896ه/1465م دفنوا إلى جانبه وبني عليهم سور[6]، و لم يكن بالملاح فقط مساكن وإنما وجدت به دير ودكاكين،

---

[1]-حمص: سميت بهذا الاسم لان معظم ساكنيها كانوا رماة قدموا من سوريا، عوضوا فيما بعد بعناصر يهودية ،ينظر:احمد بن فضل الله العمري،مسالك الأمصار في ممالك الأمصار، تح،مصطفى أبو طيق، ط1، منشورات سوس بريس ،1988،ص114

[2]-محمد المنوني، ورقات من الحضارة المغربية في عهد بني مرين ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1979، ص47-48

[3]- عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص49

[4]-أحبار من عائلة بن دندان الغرناطية الفاسية، كتاب التواريخ، تر: عبد العزيز شهير، ط1، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، 2002، ص7.

[5]- مذبحة الخصة: حدثت هذه المذبحة بخمس وعشرين قبل المحنة التي شهدوها بفاس الجديدة، إذ أن اليهود اجتمعوا وساروا حتى الجامع الكبير وسدوا نبع الماء بالجامع وملؤوا مجاري الرخام الذي تجري فيها المياه بالخمر، وبقوا طيلة الليل يشربون حتى ثملوا، وعند الفجر خرجوا من الجامع، وبقي يهودي ثملا لم يتمكن من الخروج، فوجده المسلمون فأخرجوه من المسجد وقتلوا كل اليهود و لم يسلم حتى الصبية والنساء، ينظر: كتاب التواريخ، ص8

[6]-shouchz ; opcit ; p148

وازداد عدد اليهود به حتى أصبح البيت الواحد يضم خمسة اسر خاصة بعد مجيئ يهود الأندلس [1] .انتشرت هذه الأحياء خاصة في ازمور[2] ، تفترة[3]، تازة[4] و باد يس[5].وظلت معابد الملاح قائمة إلى غاية 790م حيث تم هدمها[6]، كما وجدت لهم أحياء أخرى من أبرزها حي بمراكش يحوي أكثر من ثلاثة آلاف أسرة يهودية [7]، وأيضا بمدينة تكاووست[8]، ومدينة تدنست[9]،ومدينة اديكيس[10]، ومدينة ترغالة[11].

2-الحارة:

انتشر هذا المصطلح خاصة في المغرب الأدنى وهو نفسه ما يعرف بالملاح في المغرب الأقصى، ويذكر بان قنفد بان هذه التسمية أطلقت على حي اليهودية بجبل نفوسة[12].

توزعت الجماعات اليهودية بالمغرب الأدنى على المدن الساحلية فسكنوا تونس و بجاية و طرابلس ، كما توجهوا نحو الداخل وسكنوا مدينة قسنطينة، وانتشروا بالقرى فسكنوا زغوان وقرية صرمان بالقرب من طرابلس[13] .

---

[1]-مار بول كربخال، المصدر السابق، ح2، ص156

[2]-نفسه،ص87

[3]-الحسن الوزان، المصدر السابق، ص184، مار مول كاربخال ، المصدر نفسه، ح2، ص117

[4]-الحسن الوزان، نفسه، ص351

[5]-مار مول كاربخال، نفسه، ج2، ص31

[6]-حسن ظاظا، المرجع السابق، ص162؛ فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص67

[7]-مار مول كاربخال، نفسه، ج2، ص55

[8]-نفسه،ج2، ص58

[9]-الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص111

[10]-نفسه، ص113

[11]-مار مول كاربخال، نفسه،ج2، ص139

[12]-ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفرو عبد المجيد التركي، تونس،1968، ص346

[13]-برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص430.

وكلمة حارة[1]انتشرت بصفة خاصة بين يهود طرابلس وجربه، حيث كانت بها جماعات يهودية تسكن بها فأضحى يطلق عليها اسم الحارة الكبيرة والحارة الصغيرة، وباقي المدن الأخرى فتعرف بالأحياء مثل"بلاد اليهود" بتونس الذي كان في عهد الموحدين أي منذ السادس هجري 12م[2]. ويقال بان اليهود استقروا بالقرب من جامع سيدي محرز بن خلف بن زيري البكري الصنهاجي[3]، الذي يذكر شورا كي بأنه هو سمح لليهود بالإقامة في تونس وبنا لهم حارة على مرأى من القصر والمسجد الكبير، وساعدهم على الحفاظ على بيعهم وممتلكاتهم[4]، ويذكر الأنصاري بان اليهود قبل هذا كانوا يسكنون بقرية الملا سن خارج سور تونس، وحاليا هي متواجدة بباب السويقية[5].

تمتع اليهود بحريتهم في ظل الحكم الإسلامي خاصة في العهد الحفصي إذ أدى إلى انتشار الحارات كحارة اليهود بطرابلس في سنة 864ه/1460م التي توافد عليها اليهود خاصة الأندلس[6].وظلت حارات اليهود بالمغرب الأدنى في تزايد مستمر حيث وجد حوالي ثمانين صائغا بحارة جاد وبجبل نفوسة[7]وفي سنة 942ه/1535م توجهوا نحو

---

[1]-حارة: هي حي دائري الشكل تتقارب فيه الديار ببعضها البعض، وتعرف أيضا بحرة أو حويرة؟ ينظر: الزمخشري أبي القاسم الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1977، ص346

[2]-جدله إبراهيم، المجتمع الحضري بإفريقيا في العهد الحفصي، أطروحة دكتورا، ح2، جامعة تونس، 1988م، ص309.

[3]-محرز بن خلف بن زيري البكري الصنهاجي من كبار الزهاد بالمغرب الأدنى، اشتهر بتعليمه للقران، وهو من ناهضه العبيديين في تونس سنة 406ه؟ ينظر: السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج1، ص484؛ الزر كشي، االمصدر السابق، ص284.

[4]-chouraquui ; opcit ;p122

[5]-الأنصاري، أبو عبد الله محمد، فهرست الرصاع، محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص173-174

[6]-صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية،تونس،2006، ص444

[7]-فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص70

طرابلس[1]وذلك لسوء الأحوال الاجتماعية بنفوسة ، فوصل عددهم بهذه الحارة إلى حوالي 2500 يهودي[2] ، واستقروا أيضا بمدينة القيروان عند باب أبي الربيع كما ذكرها الدباغ[3].

رغم ميل اليهود إلى سياسة الانعزال إلا أنهم اختلطوا بالمسلمين فكانوا يستسقون من بئر واحدة معهم كما أشار إليها ابن رشد[4]،ويذكر الونشريسي بان بعض دور اليهود كانت ملاصقة لمساجد المسلمين [5]، وفي مدينة القيروان وضع القاضي "احمد بن طالب" على دور اليهود ألواحا مسمرة عليها صورة قرد[6]، ومنع اليهود من رفع منازلهم على منازل المسلمين، وأجاز القايسي في معاملة الجار اليهودي في حدود الشرع[7].

على العموم فنظام الملاح أو الحارة والأحياء كان خاصة في المدن الكبرى، على غرار البادية والريف، إذا اختلط اليهود بالأهالي وسكنوا إلى جانبهم، فهناك من استقر وهناك من واصل الترحال من مكان إلى آخر.

**ب- التنظيمات السكنية عند النصارى:**

استقر النصارى ببلاد المغرب الإسلامي منذ فترات سابقة، ومارسوا حياتهم الطبيعية بحرية تامة ووفق ما تمليه عليهم الشريعة الإسلامية فكانت لهم مساكنهم ومعابدهم، وهم كغيرهم كانت لهم أحياء خاصة بهم تميزهم عن الملل الأخرى فوجدت القيصارية بالمغرب الأقصى والمغرب الأوسط، وربض النصارى بالمغرب الأدنى.

---

[1]-الزمخشري، المصدر السابق، ص16

[2]-جدله إبراهيم، المرجع السابق، ص309.ح2

[3]-الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص38

[4]-ابن رشد، المصدر السابق، ص143

[5]-الونشريسي، ج7،ص53

[6]- نفسه، ج11، ص300-301.

[7]-نفسه، ج11 ، ص300-301

### ب1- القيصارية:

من المعلوم أن معظم النصارى الذين سكنوا بلاد المغرب الأقصى إما تجارا أو أسرى حروب، لذلك حرص هؤلاء التجار على الإقامة في فنادق خاصة بهم، تتوفر على جميع مرافق الحياة اليومية من أماكن للعبادة أو مطاعم ومقبرة وحمامات، فوصل عددها في مدينة فاس إلى حوالي أربع مائة فندق وسبعة وستون فندقا[1]، ويذكر الجز نائي بان عدد الفنادق زمن الموحدين كانت حوالي تسعة وستون فندقا، وهي تمثل أحياء سكنية للمسيحيين بها[2]. وظهرت القيصارية في بلاد المغرب في القرن السادس وبالضبط سنة 585ه/1189م[3]، ويذكر الوزان بان عدد الأحياء السكنية أو الفنادق عرف تراجعا في السنوات الأخيرة إذ وصل إلى مائتا فندق[4].

إلا أن النصارى في أواخر الحكم الموحدي حاولوا احتلال مدينة سبته ودخلوا في مشادات عنيفة مع القبائل البربرية التي قتلت النصارى ونهبت أموالهم التي كانت بفنادقهم.[5]

ويذكر الحسن الغرايب بان الأحياء السكنية بالمغرب الأقصى كانت مستقلة عن الأحياء العامة للمسلمين بالبلاد، وأثناء الاضطرابات يقومون بغلق الباب الرئيسي للمدينة مما يوجب على النصارى المكوث بأحيائهم طيلة الأزمة أو التزاع[6].

---

[1] ابن أبي زرع، روض القرطاس،ص48

[2] -الجز نائي، جنى زهرة الاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط،1991، ص44

[3] -مؤلف مجهول، الاستبصار...،ص210

[4] -الحسن الوزان، المصدر السابق، ح1، ص27

[5] -ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قمع الموحدين). تح: إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنيبر، عبد القادر زمامه، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985،ص350

[6] -الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص ص241-242

أما في عهد بني مرين فقد تم عقد اتفاقيات بين السلطان يعقوب المريني وملكي فرنسا و قشالة، ضمنت للتجار بناء كنيسة وإقامة الصلوات في الفنادق[1].

### ب2- ربض النصارى:

يذكر التجاني بان عدد النصارى في الفترة الموحدية قد قل وتناقص ويعود بالدرجة الأولى إلى السياسة التي انتهجها الموحدين تجاه أهل الذمة[2]. إذ لم يبقى بها إلا عدد قليل في كل من نفزاوة والجريد وطرابلس[3].

أما في ما عهد بني حفص فكانت منطقة المغرب الأدنى وجهة للنصارى القادمين من صقلية وايطاليا وألمانيا نتيجة الصراع الذي كان قائما بجنوب ايطاليا[4]. وقد سكن معظم النصارى بربضين قرب القصبة[5]، واحد شرفها والثاني غرب باب القصبة إلى جانب باب المنارة،به مائة بيت، تعددت مناهجه التي تنتهي بأبواب[6]، بالإضافة إلى وجود ربض صغير جنوب مدينة تونس[7]، وربض بجاية الذي كان يسكنه فئة من الجند والأسرى المسيحيين[8].

### ج-اللباس:

إن الأزياء أو اللباس عند أهل الذمة في المغرب الإسلامي اختلف من فئة إلى أخرى، فنجد أن المصادر التاريخية لم تذكر لباس خاص بالنصارى في بلاد المغرب

---

[1]-احمد عزاوي، العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط، ط1،مطبعة الرباط، المغرب،2011، ص ص52-54

[2]-التيجاني، المصدر السابق، ص347

[3]-dufourcq Ocit p105

[4]-جدله، المرجع السابق، ح2، ص394

[5]-السراج، المصدر السابق، ص195

[6]-الحسن الوزان، المصدر السابق، ح2، ص74، برنشفيك، المرجع السابق، ح1، ص477

[7]-جدله، المرجع السابق، ص ص30-28

[8]-صالح يعبريق، المرجع السابق، ص455

الإسلامي من القرن السادس إلى القرن العاشر هجري، وغالبا ما كان لباسهم لا يختلف عن لباس المسلمين ، أما اليهود فقد اختلفت ألبستهم عن المسلمين ففي العصر الموحدي وفي فترة حكم المأمون طالب البابا هونوريوس الثالث"626ه-1229م بتغيير لباس النصارى، وإطالة اللحى فسمح لهم الخليفة الموحدي بذلك.

أما اليهود فقد اختلفت ألبستهم عن المسلمين ففي زمن الموحدين فرض عليهم لباس خاص وهي عبارة عن ثياب سوداء وأكمام طويلة تصل إلى أقدامهم وأمرهم بوضع كلوتات بدل العمائم [1].وقد أثارت هذه الألبسة الحقد في نفوس اليهود الذين ظلوا ينتظرون الفرصة للانتقام من الموحدين[2].

ويذكر المراكشي بأنه فرضت عليهم هذه الألبسة في كل من المغرب الأدنى والأقصى خلال القرن 7ه/13م[3].

وفي المغرب الأدنى وفي فترة حكم بني حفص كان اليهود يلبسون خرقة من القماش الأصفر على رؤوسهم أو أعناقهم، وأجبرت النساء على عدم انتعال الأحذية[4]، أما في حكم بني مرين في المغرب الأقصى فكان اليهود يضعون على رؤوسهم عمامات سوداء وتوضع عليها خرقة ملونة تميزهم عن غيرهم[5]، أما نعال اليهود في المغرب الأدنى فكانت تختلف عنها في المغرب الأقصى، إذ كانوا يلبسون نعالا من قش كما ذكرها الحسن بن الوزان[6].

---

[1]-عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تع:محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1950، ص304-305

[2]-علي احمد، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع57-58، 1996،ص182

[3]-المراكشي، المصدر نفسه، ص223

[4]-ابن قنفد القسنطيني، المصدر السابق، ص322

[5]-مار مول كاريخال، المصدر نفسه، ص156

[6]-الحسن الوزان، المصدر السابق، ح1، ص ص284-285

أما في المغرب الأدنى فكانوا يلبسون نعالا خشبية مغلفة بالجلد[1]، كما لبس يهود المغرب الأقصى رداء من ألياف[2].

أما في أواخر حكم بني حفص وبني مرين فأصبح اليهود والنصارى يتشبهون في ألبستهم بالمسلمين، فيذكر الونشريسي أن بعض من اليهود في المغرب الأقصى أصبح يركب السروج التي كانت محرمة عنهم، ويضع العمامة، ويلبس لباس فاخر حتى أصبح ينعت به[3].

**د-دور المرأة الذمية بالمغربين الأدنى والأقصى:**

لقد نصت الشريعة اليهودية على المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة، فحواء خلقت من ضلع ادم لتكون أنيسا له، وترى فئة أخرى أن المرأة خلقت من طين مساوية للرجل وأعلنت تمردها عليه.[4] أما التلمود فكان يشير دائما إلى جوانب المرأة السلبية، إذ وصفها علماء اليهود بأنها إبريق مليء بالقاذورات وفمها مليء بالدم ، ومع ذلك يجري وراءها الجميع[5]، لكن رغم ذلك لها أدوار ايجابية في المجتمع اليهودي ، أما عملها فهو مترلي محظ إذ وجب عليها الاهتمام بشؤون الأطفال ، وتحضير الخبز وغسل الملابس، ولن تعفى من هذه الأعمال إلا إذا أحضرت خدما من بيت أبيها[6].

أما عن دور المرأة اليهودية في المغربين الأدنى والأقصى، فلم ترد عنها إلا بعض الشذرات عن إمرة يهودية تسمى"حنة" دخل عليها "يحى بن يحيى بن محمد الإدريسي"

---

[1]-برنشفيك، المرجع السابق، ص ص437-438

[2]-أحبار اليهود، كتاب التواريخ، ص8

[3]-الونشريسي، المصدر السابق، ح2، ص284

[4]-فاطمة بوعمامة، المرأة المعلقة في اليهودية والإسلام ، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد السادس، مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية، بوزريعة، 2012، ص79

[5]-نفسه، ص ص79-80

[6]-محمد شكري سرور، نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979، ص59

وهي في الحمام [1]، إذ يذكر التنسي بان الكلام كثر عنه، وتم نقله من عدوة القروين إلى عدوة الأندلس ، فمات متحسرا على نفسه في نفس الليلة[2].

على غرار ذلك فالمرأة النصرانية كان لها دور هام في بلاط السلطان ، وذلك لما قامت به الجواري النصرانيات في القصور المغربية حتى أصبحن يتدخلن في الأمور السياسية، فحاولت "قمر" زوجة علي بن يوسف تولية إسحاق بن علي بدل تاشفين[3]، وما هذا إلا دليل على قوة شخصية المرأة ومكانتها عند الأمير ومعرفتها السابقة بأمر الولاية[4].

أما في دولة بني حفص ، فقد حظيت الجارية النصرانية بمكانة هامة خاصة إن أنجبت ذكرا من السلطان ، ومن أشهرهن الجارية" ضرب"[5]، والدة الواثق وزوجة المستنصر بالله (675-647ه/1277-1249م) ، ويذكر الزركشي بان والدة المستنصر هي "عطف"[6] التي انشأ لها المدرسة التوفيقية وجامع التوفيق650ه-1252م[7]و"سعد السعود" والدة أبي العباس احمد بن أبي بكر الحفصي[8].

فقد كان للمرأة النصرانية دورا كبيرا في استقطاب النصارى إلى دولة بني حفص ففي فترة حكم أبو عمرو عثمان (894-839ه/1488-1435م) أكرم النصارى

---

[1]-البكري، المصدر السابق، ص124، ابن عذارى، البيان ، المغرب، ح1، ص ص211-212

[2]-التنسي، تاريخ دولة الادارسة من نظم الدر والعقيان، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ص44-45، مسعود كواتي، المرجع السابق، ص136،هوبكنز، المرجع السابق، ص120

[3]-ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص97

[4]-الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص255

[5]-زينب كرير، المرجع السابق، ص208

[6]-الزركشي، المصدر السابق، ص41

[7]-ابن خلدون، المصدر السابق،ج 6، ص ص105--106

[8]-الزركشي، نفسه، ص134

الوافدين إليه وأسكنهم بربض بجانب القصبة ابن يقيم هو ووالدته حتى أصبح يعرف فيما بعد"بحي العلوح"[1].

إلى جانب هذا فقد لعبت المرأة الذمية دورا هاما في الجوسسة لصالح عرقها، فسكنت القصور ،وخالطت نساء وأمهات الملوك وتمكنت من إقناعهن بالوفاء والإخلاص.

**ثالثا: الحركة العلمية لأهل الذمة بالمغربين الأدنى والأقصى(6-10ه/13-16م):**

إن الحديث عن الحركة العلمية لأهل الذمة بالشمال الإفريقي في هذه الفترة يعد من المواضيع الهامة والشائكة، التي يصعب البحث فيها، وذلك لغياب المصادر العربية المتخصصة وكذلك غفلت الكتابات اليهودية عنها ، ولعل ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى سياسة الموحدين التي انتهجوها مع أهل الذمة.

**ا- الحركة العلمية عند اليهود(6هـ-10هـ/12ـ16م):**

تذكر المصادر التاريخية أن اليهود ببلاد المغرب الإسلامي في القرن( 5-6هـ/11-12م)، كانوا متأثرين بالمسلمين في عاداتهم وتقاليدهم، خاصة وأنهم كانوا يميلون إلى سياسة العزلة من جهة، بالإضافة إلى افتقارهم للعلوم والعلماء الذين اهتموا بالتلمود ، فغالبا ما كان يلجؤون إلى القضاء الإسلامي لحل مشاكلهم[2]، وفي بداية القرن السابع انكب اليهود على تعلم أمور دينهم فأصبح المعبد الخاص بهم مكانا للالتقاء والتعلم، فانكبوا على دراسة كتبهم المقدسة، كما حرصوا على اللغة العبرية كمنهجا أساسيا للتعليم والتعلم[3].

وقد عرفت الحركة العلمية تقدما وازدهارا في القرن التاسع هجري خاصة مع قدوم يهود اسبانيا، واستقرارهم ببلاد المغرب الإسلامي، فقد كانت هذه التجمعات

[1]-ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص166

[2]-فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص158، زينب كرير ، المرجع السابق، ص25

[3]-حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ح2، ص362

اليهودية أولا بالقيروان ثم فاس التي كانت شبيهة بالمعابد.[1]وقد مر التعليم عند اليهود بالمغربين الأدنى والأقصى بثلاث مراحل أساسية:

## 1- حيدر:

تعرف أيضا بالمسيد أو المدرسة[2]وكلمة حيدر هي كلمة عبرية تعني حجرة يتعلم فيها الأطفال أسس الدين اليهودي[3]، ويتعلمون الصلوات والعبادات ويعدونهم للمشاركة في الشعائر الدينية ويلقب المعلم بالحزان، يرتدي جلباب اسود وهو مكلف بأخذ الأطفال من بيوتهم وإرجاعهم إليها بعد إتمام الدرس، كما وجب على المعلم أن يكون متمتعا بأسلوب الترهيب، ويعاقب الأطفال بما يعرف بالفلاقة وهي ما تعادل تسعة وتسعون ضربة وطريقة التعليم شفهية[4]، فكانت لغة التعلم العبرية أما لغة الحوار فهي اللغة السائدة بين الأهالي وتنتهي هذه المرحلة بحفل عرف بحفل بار المطوع" bar mitiva"[5].

## 2- بيت همد راش:

وهي المدرسة الدينية أو مدرسة التلمود، مخصصة للتلاميذ الذين سيصبحون حاخامات مستقبلا، إذ يتعلم الطالب الكتاب المقدس والتلمود والقوانين الفقهية وغالبا ما كانت هذه المدارس تقام إلى جانب المعابد اليهودية[6] ، وانتشرت الهمدراش خاصة في فاس وقابس والقيروان ومهدية ويعرف المعلم أو المدرس بلقب روش هاسدر[7].

---

[1]-عطا علي، المرجع السابق، ص190

[2]-حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ح2، ص61

[3]-عبد الرزاق احمد قنديل، الأثر الاسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار التراث،القاهرة،1984، ص162؛ محمد المسيري، الموسوعة، ص171

[4]-haim zafrani ; les juifs du maroc ;p107o

[5]-opcit ; p109

[6]-عبد الرزاق احمد قنديل، المرجع نفسه، ص163

[7]-فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص161، على طه، المرجع السابق، ص ص190-191

### 3ا-الياشيفاه:

وهي مرحلة التعلم العالي، يتخرج منها الأحبار يتعلم الطالب فيها الجدل وأسلوب التأويل، ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي خاصة مع هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب[1]، ومن أشهرها مدرسة اشربن يحيل (8ه/14م) وتعد إرثا للمدرسة الأندلسية التي نقل أفكارها الربيون القشتاليون الذين جاءوا إلى بلاد المغرب[2]. وقد ساعدت هذه المرحلة في ازدهار الحركة الفكرية إذ لم تقتصر فقط على العلوم الشرعية بل ظهرت علوم أخرى كالفلك، والرياضيات والطب والنحو وغيرها من العلوم.[3]

إذن فالتعليم اليهودي في مراحله الثلاث ارتكز على الديانة اليهودية وأسسها ، خاصة دراسة التلمود التي تعد من أعلى مراحل التعليم بالإضافة إلى هذا عرف اليهود التعليم المهني للصبيان إذ يتعلمون فيه مبادئ الصناعة أو الحرفة، كما يتعلمون أسس التجارة[4]، أما الفتيات فيتعلمن أصول التدبير المنزلي ومبادئ التربية على يد نساء متخصصات وان كان المعلم رجلا فيشترط أن يكون أعمى[5]، وحرص اليهود على ضرورة تعلم اللغة العربية وإتقانها[6].

وقد ظهرت في المغربين الأدنى والأقصى مراكز تعليمية كبرى مثل مدرسة القيروان التي انشات في القرن 5ه-10م والتي بلغت درجة عالية وأضحت لها مكانة هامة في الدراسات التلمودية [7]، والأخرى بمدينة فاس التي ظهرت بداية من القرن 5ه-11م[8].

---

[1]-عبد الرزاق احمد قنديل، المرجع السابق، ص163

[2]-hhaim zafrani ;opcit ;p p 173-176

[3]-فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص162

[4]-جواتياينن،س،د، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تع وتح: عطية القومي، وكالة المطبوعات، ط1،الكويت،1980، ص117

[5]-نفسه، ص177

[6]-مسعود كواتي، المرجع السابق، ص150

[7]-فاطمة بوعمامة، المرجع نفسه، ص162

[8]-نفسه،ص163

والجدول الموالي يوضح أشهر العلماء الذين عرفتهم بلاد المغربين الأدنى والأقصى:

| العلماء | العلوم | المغرب الأقصى | المغرب الأدنى | مصادر ومراجع الترجمة |
|---|---|---|---|---|
| إسحاق بن عمران | الطب | | القيروان(3ه) | ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء |
| إسحاق الإسرائيلي | الطب | | القيروان(4ه) | ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء |
| ابن الجزار | الطب | | القيروان نهاية القرن 4ه وبداية الخامس | ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء |
| دوناش بن لبراط | النحو | فاس4ه | | الحنفي، الموسوعة النقدية ص26<br>Aissa chenouf ;les juifs d algerie ; p19 |
| دوناش بن تميم | الطب، الرياضيات،النحو | القيروان 4ه | القيروان(4ه) | انخل بالا شيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص490 |
| نسيم بن يعقوب القيرواني | الفلسفة، العلوم الدينية | القيروان 4ه-5ه/11م | القيروان 4ه-5ه/11م | الحنفي، الموسوعة النقدية |
| يوسف بن يهودا بن عقنين | الفلسفة، علم الفلك | فاس 5ه-6ه/11م | | موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ح2،ص20 |
| موسى بن ميمون القرطبي | الفلسفة، الطب | فاس 6ه/12م | | ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص583 |
| داوود بن إبراهيم الفاسي | العلوم الدينية | فاس 6ه/12م | | إسرائيل ولفنسون |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| إسحاق بن إبراهيم بن سهل الأندلسي | الأدب والشعر | سبته 6ه/12م | | المقري، نفح الطيب، ح2، ص523-525<br>ابن سعيد، المغرب،ح2، ص269 |
| ؟ مترجم الجنويين 666ه/1270م | الترجمة | القرن 7ه/13م | | Haim zafrani ;les juifs du Maroc |
| موسى اليهودي المترجم | الترجمة للجنويين ومن العربية إلى الايطالية والألمانية | | القرن السابع الهجري وبداية الثامن هجري | Haim zafrani ;les juifs du Maroc |
| يهودا إسرائيل بن الديان الثاني بن صموئيل المغربي | الطب والفلسفة | فاس 7ه/13م | | موسى بن ميمون، دلالة الحائزين |
| يهودا بن نسيم بن مالكة | الفلسفة | فاس 8ه/14م | | Chouracqi ; les juifs ….p225 |
| إبراهيم فافا | الترجمة | القيروان 9ه/15م | القيروان9ه/15م | |
| يهودا ابن حيوح | الدراسات الدينية | فاس القرن10ه/ 15م | | Haim zafrani |
| إسحاق بن يعقوب الفاسي | الفقه والدراسة التشريعية | فاس | | ابن رشد، فصل المقال |
| الراب يهودا بن أبون | العلوم الدينية | فاس | | ابن أبي اصيبعة، دلالة الحائرين،ص582 |

من الجدول السابق يوضح أشهر العلماء واهم العلوم التي برعوا فيها في بلاد المغربين الأدنى والأقصى،فبرعوا في الفلسفة والطب كما اهتموا بالعلوم الدينية ودراسة

التلمود، خاصة وان المراكز العلمية بفاس والقيروان ظلت تحافظ على خصوصيتها، كما كانت مركز للانتقال الثقافة الإسلامية إلى أوربا، خاصة وان معظم الفلاسفة عاشوا بين المسلمين وتأثروا بالمبادئ الإسلامية، حتى ظهرت فرق يهودية أخذت نفس نهج المعتزلة.

أما اللغة المستعملة فكانت اللغة العبرية مع اللغة العربية التي استعملوها في جميع مجالاتهم الفكرية وكتاباتهم الدينية، وهذا ما دفع أحبار اليهود إلى التحذير من الاستعمال المكثف للغة العربية[1].

## ب-الحركة العلمية والدينية عند نصارى المغربين"6-10ه/12-16م"

تشير معظم المصادر التاريخية إلى أن النصارى ببلاد المغرب الإسلامي لم يكن لهم دورا كبيرا في الجانب الثقافي والعلمي، وإنما برعوا خاصة في الجانب الاقتصادي ، فكان لرجال الدين دورا هاما في المحافظة على الديانة المسيحية اذ كان المشرف الأول على المراقبة وذلك تحت السلطة الرسمية في بلاد المغرب، وفي الدول الأوربية.

### ب1-إتقان اللغة العربية:

حرصت السلطات المسيحية على ضرورة تعلم اللغة العربية، خاصة فئة التجار، إذ أن معظم الاتفاقيات كانت تتم بها ويكون ملحق تابع لها باللاتينية[2]، كما رأى الرهبان بأن تعلم العربية من الأساسيات حتى تسهل عملية التمسيح مع المسلمين، لهذا تم وضع برنامج لدراسة اللغة العربية في القرن (6-7ه/12-13م)، يشرف عليها les frères prêcheur الذين اهتموا بدراسة الحضارة الإسلامية وطريقة التفكير عند المغاربة المسلمين[3] فانشأ معهد "مرمار"الذي يضم ثلاثة عشر راهبا، حيث سهر les frères mineurs على تنظيم المعهد ووضع مبادئ أساسية لتعلم اللغة العربية وعلى إثرها انتشرت المدارس المسيحية التي كان هدفها تمسيح المسلمين والبربر بالمناطق

[1]-محمد حمام ، المرجع السابق، ص224

[2]-الحسن الغرايب، المرجع السابق،ص298

[3]-dufoucq ; l Espagne catalane ; t1 ;p108

المغربية[1]، فقام الأسقف ميقائيل بن عبد العزيز بكتابة الإنجيل باللغة العربية، لتسخيره للتبشير بالمسيحية بين المسلمين خلال القرن9-10ه/15-16م[2].

**ب2-دور النصارى في نشر المسيحية بالمغربين الأدنى والأقصى:**

عرفت الكنيسة في المغربين الأدنى والأقصى بداية من القرن6هـــ/12م، نوعا من التقهقر والضعف، وذلك نتيجة الظروف التي شهدتها الطوائف الدينية في مختلف بقاع العالم الإسلامي، زد عن ذلك سياسة الموحدين التي اضطهدت النصارى واليهود وإجبارهم على الإسلام.

يشير البيدق إلى ا ن اول كنيسة كانت ببلاد المغرب هي كنيسة القديسة اولاليا بمراكش[3]"sainte Eulalie"، ويؤكد ذلك البرزلي إذ سئل أحد القضاة عن شروع المسيحي الذي اسلم على بناء شبيه للكنيسة[4]، ثم مدينة مكناسة إذ طالب النصارى القادمين من الأندلس بناء أماكن يتعبدون فيها ويستقرون بها[5]، وكانت مسؤولية تنظيم النصارى في دور العبادة تعود للقساوسة الذي دخلوا بلاد المغرب الإسلامي مع التجار، أما الأحياء الخاصة بهم فتعود للسلطة المحلية.

وفي فترة الموحدين شهدت الكنيسة النصرانية نوعا من التراجع إذ تراجع عدد الأسقفيات من مئة أسقفية إلى خمس أسقفيات فقط في بلاد المغرب الإسلامي كما أنهم لم يقوموا بتخريب الكنائس التي كانت قائمة مثل مدينة مراكش[6]،

وفي نهاية الحكم الموحدي ازداد تدفق النصارى غلى بلاد المغرب وذلك إما بالتغريب الأسر أو الخدمة في الجيش الموحدي، هذا ما دفع البابوية إلى توفير قساوسة

---

[1]- ipid ;p108

[2]- القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص115

[3]-البيدق، المصدر السابق، ص79

[4]-البر زلي، ح6، ص262

[5]-العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق، 1967، ص ص171-172

[6]-البيدق، المصدر نفسه، ص79س

يسهرون على تنظيم الجاليات النصرانية ببلاد المغرب من جهة وكان يتم اختيارهم على معيار صحة التخاطب مع البربر المسيحيين وقوة الإقناع[1].

ومن أشهر الأساقفة الذين وجدوا ببلاد المغرب الأسقف انيلوسagnellus الذي عين بمدينة فاس[2]، والأسقف "ميغيل Miguel" الذي قام بتعريب الإنجيل، وظلت فاس مركزا كنيسيا وذلك لقربها من ميناء سبته الذي كان يلج إليه التجار النصارى من أوربا[3]... في حين أن إفريقيا لم تكن بها أسقفية وذلك لكونها جزءا لا يتجزأ من الدولة الموحدية[4]. لكن بعد نهاية الحكم الموحدي طالب نصارى المغرب الأدنى بالاستقلال الكامل عن المجمع الكنيسي المعروف بروتردام بمراكش، فكتبت المراسلات وكثرت الاتفاقيات لحدوث الاستقلال[5].

ومع قيام بني حفص بتونس وبني مرين بالمغرب الأقصى ، ظهر ما يعرف برجال الدين الذين تنوعت أهدافهم ومن أشهرها فرقة سان جاك، وفرقة نوتردام دي مونجوا، وفرقة الثالوث المقدس، وفرقة عذراء الرحمة، والتي كانت في حد ذاتها موردا هاما للسلطات الرسمية[6].

ولإنجاح سياسة التبشير ببلاد المغرب ظهرت فرقتان مهمتان برزت خلال القرن 7ه/ 13م تمثلت في:

**فرقة الفرنسيسكيين:**

عقد أول مجلس لهم في بداية القرن 7ه/13م وذلك لتقسيم العمل وتوزيعهم على مناطق العالم التي لم تستنصر ومن بينها تونس والمغرب والفرقة الموجهة إلى بلاد

---

[1]-الونشريسي، المصدر السابق، ح11، ص ص155-156

[2]- godard leon ; description et histiore du maroc ; edition chtanera editeur ; paris 1860 ; p434 ;opcit ; p435

[3]- opcit ; p435

[4]-برنشفيك، المرجع السابق، ح1، ص483

[5]- dufuocq ; opcit ; p105-106

[6]-برنشفيك، المرجع السابق، ح1، ص484

المغرب اعدم أصحابها أما بعثة تونس بزعامة الراهب"جيل" شهدت نوعا من الضغوطات خاصة التجار التي أوكلت إليهم مهمة التبشير، وقد كانت هذه الفرقة مدعمة من طرف الدولة والكنيسة وذلك لدورها البارز في الاتفاقيات التي كانت تقام بين تونس الحفصية والدول الأوربية[1].

**فرقة الدومنكيين:**

ظهرت هذه الفرقة بعد فرقة الفرنسيسكيين وبرزت بصفة خاصة في تونس، وقد حظيت هذه الفرقة باهتمام البابا الاسكندر الذي منحهم امتيازات مع نهاية القرن السابع هجري، وبعث لهم الدعم بإرسال أخرى خاصة وأنهم كانوا يزعمون بأنهم نجحوا في تنصير الحاكم[2].

ومن أشهر الرهبان الذين برعوا في تنشيط حملات التبشير نجد الراهب" ريمون لول"[3] الذي أسس معهد "مرمار"[4].

رغم الاندفاع الذي مارسته هذه الفرق إلا أنها لم تنجح، إذ تعرضت هذه الفرق للثورة من طرف المسلمين الذين رفضوا التنصير وقاموا بتحريض القبائل على قتل المبشرين الذين يعملون على ردة الناس عن دينهم، مثلما حدث مع الراهب لول زمن السلطان أبا حفص عمرو(683ه-694ه/1284-1295م)[5].

---

[1]-زينب كرير، المرجع السابق، ص ص263-264

[2]-نفسه، ص65

[3]-محمد حمام، المرجع السابق، ص195

[4]-dufoucq ; opcit ;p109

[5]-البارودي رضوان، أضواء على المسيحية والمسيحيين في المغرب في العصر الوسيط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990، ص55

والمنحنى الموالي يمثل دور الرهبان والمبشرين في عتق الأسرى والعبيد، بداية من العهد المرابطي إلى الحكم المريني.

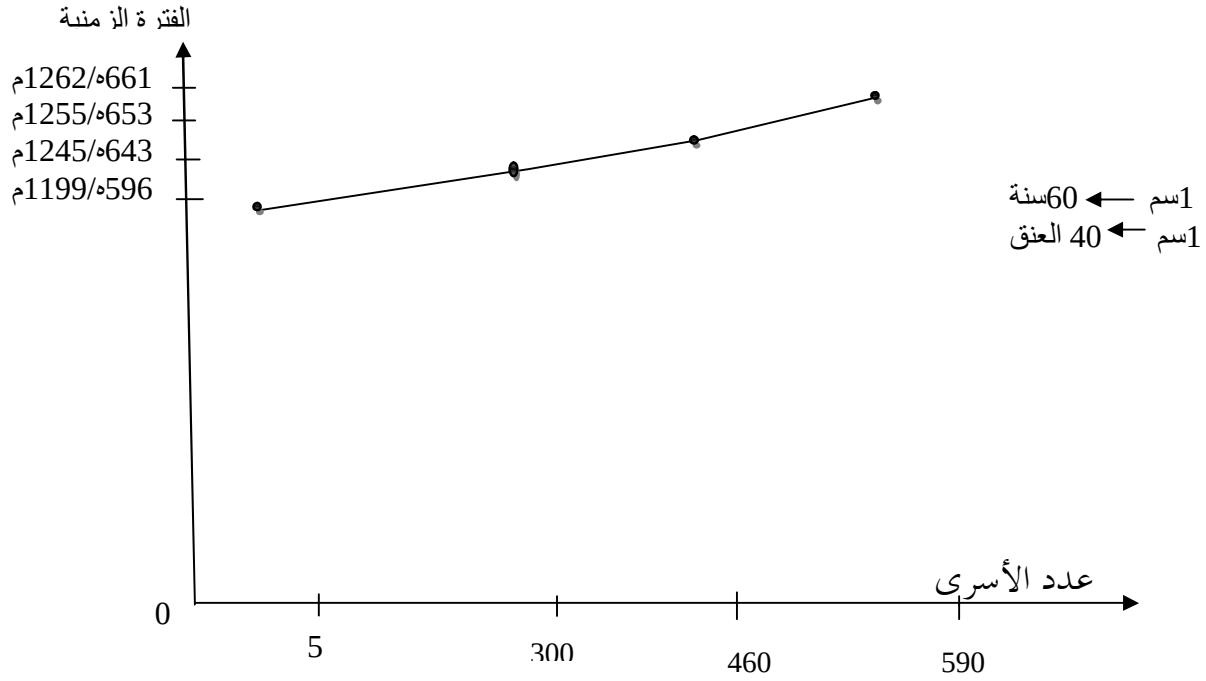


**المنحنى البياني يمثل عدد الأسرى المعتوقين زمن الموحدين**

من المنحنى البياني يتضح أن الحركة التبشيرية في بلاد المغرب الإسلامي بدأت بقوة إذ تمكن الرهبان من تحرير الأسرى والعبيد النصارى وهذا إلا دليل على سياسة الموحدين خاصة في أواخر الحكم إذ وجدت اتفاقيات ومعاهدات بين حكام أوروبا وسلاطين أواخر الحكم الموحدي للسماح للنصارى بالقيام بأعمالهم بحرية وفق بنود مبرمة بين الطرفين، وهذا ما سيظهر وبوضوح في خطر النصارى على حكام بلاد المغرب في أواخر القرن10ه/16م.

# الفصل الثالث:

## الدور الاقتصادي لأهل الذمة

## (6ـ10هـ/12ـ16م)

اولا:الوضعية الاقتصادية لأهل الذمة خلال الحكم الموحدي:

ثانيا:النشاط الاقتصادي لأهل الذمة:

ثالثا:الدور التجاري لليهود والنصارى بالمغربين الأدنى والأقصى.

إن الوجود الذمي ببلاد المغرب الإسلامي كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بأنشطتهم التي كانوا يمارسونها، إذ أن السلطات الرسمية لم تقيدهم بحواجز أو عوائق تعيقهم على ممارسة حياتهم الاقتصادية، فبرعوا وتفننوا في مختلف الأنشطة، فبرز منهم الصناع وأصحاب الحرف، كما تألق التجار منهم مستغلين بذلك سياسة التسامح وحسن الجوار ببلاد المغرب الإسلامي.

**أولا:الوضعية الاقتصادية لأهل الذمة خلال الحكم الموحدي:**

## 1_الوضعية الاقتصادية لليهود:

من خلال المصادر التاريخية يتبين أن اليهود كانت له مشاركة فعالة في النشاط الاقتصادي، فتعددت اتجاهاتهم و تنوعت، لكنهم تركوا صبغة خاصة في الجانب التجاري، وقد برع اليهود أثناء الحكم الموحدي في الصناعات التعدينية، خاصة وأن السلطة الرسمية أولتها أهمية كبرى، إذ كان الاقتصاد الموحدي قائما عليها كضرب السكة النقدية والمصنوعات المعدنية[1].

أما عن الوضعية العامة لليهود في الفترة الموحدية فقد تضاربت الآراء عن ما آل إليه اليهود، بين اضطهاد ومعاملة حسنة، وهذا ما ذهب إليه سلوش في كتابه عن تاريخ اليهود واليهودية بالمغرب، إذ يذكر بأن الموحدين لم يضطهدوا اليهود الذين كان لهم دور في الصناعات الحرفية وأيضا دور السكة[2].

كما يؤكد المراكشي ذلك ويشير أيضا في كتابه المعجب، بأن اليهود الذين اعتنقوا الدين الإسلامي مارسوا حياتهم الاجتماعية والاقتصادية بكل حرية ووفق ما تمليه الشريعة الإسلامية[3].

---

[1]_ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 23 وص 82؛ البيدق،المصدر السابق، ص 114.115.

[2] études sur histoire des Juifs et de Judassme au Nahum Slouch, Maroc, Tome 2,Publication de la mission scientifique ,Paris,1905_1906,P139

[3]_عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص 304 _305.

إذن فاليهود الذين كان لهم دور في انتعاش الاقتصاد الموحدي كانت لهم حياة حسنة وطيبة إذ امتهنوا الحرف، وأبدعوا في الصناعات المعدنية التي كان لها دخل كبير في الاقتصاد الموحدي.

## 2_الوضعية الاقتصادية للنصارى:

إن الوجود المسيحي ببلاد المغرب الإسلامي كان منذ فترات قديمة فاستقروا بالمدن الساحلية، كما وجدوا بعض المناطق الداخلية، وقد كان ذلك تبعا لطريقة معاشهم، وأنشطتهم التي يمارسونها، خاصة بعد ظاهرة التغريب، إذ مارس المسيحيون أنشطتهم الاقتصادية بكل حرية واستقلالية وذلك وفق ما تمليه عليهم الشريعة الإسلامية. وتشير بعض الكتابات التاريخية إلى أن التجارة كان لها دور كبير في التطور والتبادل التجاري الذي كانت له أهمية كبرى في طبيعة الأسواق وبنائها، وهذا ما جعل الدول الأخرى توجه أنظارها نحو بلاد المغرب الإسلامي، فسعى كبار التجار بأوروبا وإيطاليا إلى ربط علاقات مع نصارى بلاد المغرب الإسلامي[1] .

إن الظاهرة الاقتصادية التي شهدتها أوربا والدول الإيطالية في القرنين الخامس والسادس هجري/11 و12م، كان لها أثر كبير في خلق منافسة شديدة بين تجار المغرب الإسلامي خاصة أولئك الذين كانوا يقومون بدور الوساطة مع السودان الغربي للحصول على العبيد والتبر المادة الرائجة آنذاك[2].

وقد كانت كل من سجلماسة، مراكش، فاس وتلمسان معبرا هاما لمرور القوافل التجارية الكبرى، والتي ساعدتها أن تكون قوة اقتصادية وهذا ما أشار إليه غواتين في

[1] _أحمد عزاوي، العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط (القرن 6_8 ه/12_14 م)، ج1، ط1، مطبعة الرباط نت، المغرب، ص 18_29.

[2] _كريم عاتي الخزاعي، أسواق بلاد المغرب من القرن السادس هجري حتى نهاية القرن التاسع هجري، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، 1432/2011، ص 112_113.

رسائله[1]، وفي زمن المرابطين كانت العملة المرابطية الأكثر تداولا في حوض البحر المتوسط[2]. كما ارتفعت العملة الموحدية خاصة زمن عبد المؤمن بن علي[3].

كما كان لموانئ بلاد المغرب الإسلامي أهمية كبرى عند تجار المدن الإيطالية ومدينة مرسيليا، مما أدى الى انتشار الشراكات المسيحية مع المسلمين واليهود، الذي نتج عنه الانفتاح على الأسواق الخارجية كأسواق أوربا والسودان الغربي وأسواق الأندلس.[4]

**ثانيا:النشاط الاقتصادي لأهل الذمة:**

**أ_الفلاحة والزراعة عند اليهود والنصارى:**

**1_المحاصيل الزراعية:**

إن الكتابة عن دور اليهود والنصارى في الميدان الفلاحي، يعد من المواضيع الشائكة وذلك لسكوت المصادر التاريخية والجغرافية عن فعاليتهم في هذا المجال، بالرغم من أن المؤرخ حسن ظاظا يذكر بأن اليهود كانوا في الأصل رعاة ثم انتقلوا بعد ذلك للزراعة، وظلوا على ذلك الحال إلى غاية القرن الأول للميلاد[5] .

فالاشتغال بالزراعة والفلاحة، يستدعي وجود أراضي فلاحية خاصة، فهل كان اليهود ملاك للأراضي الفلاحية في المغربين الأدنى والأقصى ؟ .

---

[1] S.D.GOITEIN, Lettre of Medival Jewish trades, Princeton University Press,1973, P325

[2] الهرفي محمد سليمان سلامة، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة، بيروت، 1980، ص 289.

[3] الحكيم أبو الحسن علي بن يوسف، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح: حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، 1960، ص 49.

[4] الخزاعي، المرجع السابق، ص 102_105_110_113.

[5] حسن ظاظا، اليهود ليسو تجارا بالنشأة، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1975، ص 47.

لقد ورث اليهود حب امتلاك الأراضي، خاصة وأن التلموذ كان يرى بأن الرجل الذي لا يملك أرضا ليس إنسانا[1]، فكان امتلاكهم إما فرديا أو جماعيا في الحكم الروماني[2]، كما كانت في عهد الفاتحين أراضي خراج، أما في عهد "يوسف بن تاشفين " فيذكر أنه لما أراد توسيع مسجد فاس، اشترى المسلمون كل الأراضي التي كانت في قبلة المسجد ومعظمها كانت لليهود[3].

كما يذكر الونشريسي قضية المسلم الذي ابتاع جنه من يهودي وحبسها[4]، وما هذا إلا دليل قطعي على اشتغال اليهودي في هذه الأرض التي وضعت بالجنة أي تتوفر على أنواع المزروعات والأشجار قبل بيعها للمسلم.

كما امتلك اليهود الأراضي عن طريق القرض، حيث يستمر في استغلالها إلى أن يقوم المقرض بالتسديد، وعندها تعود الأرض لصاحبها[5]، بشرط أن يحصل على الفائدة أو الربا[6].

وفي القرن السابع وبعد توافد اليهود من الأندلس، قام المهاجرون الأثرياء بكراء بعض الأراضي الزراعية،كما امتلكوا بعض القرى التي كانت تتوفر على الحقول والبساتين، في حين كان اليهود الأهالي خاصة أصحاب الدخل القليل يعملون بأنفسهم ويبيعون المحاصيل الزراعية[7].

---

[1] عطا علي، المرجع السابق، ص 133.

[2] مارمول كاربخال، حول الهند والجزائر، تعريف: شريف الدنوني، دار ابن خلدون، بيروت، 1980، ص 104.

[3] الهرفي محمد سليمان، المرجع السابق، ص 179؛ أبو الحسن علي الجزنائي، زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص 57.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 238_239؛ البرزلي، المصدر السابق، ج5، ص ص244ـ245.

[5] Hirschberg ,Opcit, P 236

[6] عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1991، ص 368.

[7] عطا علي، المرجع السابق، ص 132.

إن الطبيعة المادية لليهود جعلتهم يهتمون بزراعة المحاصيل الزراعية ذات الدخل الكبير، ففي الجنوب المغربي كانوا يقومون بغرس الكروم، وبعد نضج العنب يقومون بعصره وصناعة الخمور التي تعد من أكثر المنتوجات ربحا لهم[1]. كما اهتم النصارى في كل من دولة بني حفص وبني مرين بتسويق الخمور وتصديرها إلى الدول الأوربية، وهذا ما دعا فقهاء بلاد المغرب الاسلامي إلى تحريم بيع الكروم إلى النصارى وهذا ما أشار إليه الونشريسي في فتاويه[2]، كما اهتم اليهود بزراعة الذرة والدخان، وغرس أشجار النيلج الذي تستخلص عصارته وتستعمل لدباغة الجلود[3]، بالإضافة إلى الحناء التي كانت تستعمل للخضاب، فكان اليهود يبيعونها في الدور لنساء المسلمين[4]، كما اهتم النصارى بالمغرب الإسلامي بزراعة أشجار الزيتون التي كان يستخلص منها الزيت ويتاجرون به[5].

وقد اهتم يهود بني حفص بنظام المغارسة أو الزراعة وهو عقد شراكة يتم بين طرفين فالأول يقدم الأرض والثاني هو الغارس الذي يقدم العمل وغراسة الأشجار مقابل نسبة متفق عليها، وتكون القسمة في فترة الإطعام، ولا يمكن للغارس التصرف في نصيبه قبل المدة المعلومة[6]. وغالبا ما كانت هذه الشراكة بين المسلمين واليهود، وغالبا ما كانت هذه الشراكة تنتج عنها نزاعات بين اليهود ذاتهم، خاصة إذا تعلق الأمر بالمياه أو القنوات[7].

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 709.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج 6، ص 69.

[3] مؤلف مجهول، الاستبصار...، ص 207.

[4] أبو مصطفى كمال، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي، من خلال نوازل وفتاوى المعيار للونشريسي، الإسكندرية، 1996، ص 71.

[5] القادري بوتشيش، المصدر السابق، ص 88.

[6] محمد حسن، المدنية والبادية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، تونس، 1999، ص 411_416.

[7] Hirschberg, Opcit , P 262

## 2_الري:

اهتم اليهود والنصارى بحفر الخطارات والآبار، ومد قنوات المياه نحو المناطق التي سكنوا بها، ففي القرن 5_ 6هـ/11_12 م، حفر الأسرى من حروب المرابطين بعدوة الأندلس قنوات لمراكش من جبال درن إلى داخل الأسوار[1]، كما اهتم اليهود والبربر بإعداد السواقي لري المحاصيل الزراعية وإعداد قنوات مائية تصل إلى المجمعات السكنية أو إلى داخل المباني والقصور، كما قام النصارى ببناء قصبة النصراني بمنطقة زرهون وحصن أمركو شمال فاس[2].

## 3_تربية الحيوانات:

يذكر البرزلي أن يهود المغرب كانوا يكسبون بعرق جبينهم من ملكيات زراعية صغيرة، ويحصلون على قوتهم بالعمل في الزراعة وتربية المواشي التي كانت عندهم اجتماعيا تعد من المهن الدونية[3]، فاستقرار اليهود في القرى والمناطق الجبلية ألزمهم بتربية الحيوانات ذات الفائدة من حيث اللحوم والألبان، فاشتهر يهود القيروان بصناعة الجبنة[4]، وغالبا ماكانوا يضعون على أغنامهم أختام تحمل كلمة "بركة"[5]، واشتهر يهود بني حفص بالمغرب الأدنى ويهود بني مرين بالمغرب الأقصى في الفترة الممتدة من القرن 7_10 هـ/13_16 م بتربية الأبقار، حتى بلغ بهم الأمر إلى المناصفة في الرأس الواحد[6]، وعنيوا أيضا بتربية الحمير والبغال التي استعانوا بها في أسفارهم.

---

[1] مارمول كاربخال، إفريقيا، ج 2، ص 56.

[2] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، ص 244 .

[3] Hirschberg, Opcit, P 262

.البرزلي، المصدر السابق، ج 5، ص 316

[4] Gotein, Opcit, P252

[5] Ibid. P 262

[6] Gotein, Opcit, P 263

اهتم يهود تونس بتربية دودة القز خاصة مدينة قابس التي عرفت بجودة حريرها، وهذا ما أشار إليه الرحالة والجغرافيون[1]. كما يشير الونشريسي إلى أن تربية دودة الحرير كانت بالمشاركة بين اليهود والمسلمين بشرط اقتسام المنتوج[2]، واهتم يهود المغرب بصيد المرجان الذي احتل الريادة في المواد المصدرة نحو المشرق وأوربا[3].

مما سبق ينتج أنه رغم قلة المصادر التاريخية التي أشارت إلى الجانب الفلاحي لليهود والنصارى ببلاد المغرب الإسلامي،الا أنهم اهتموا بالجانب الرعوي، على عكس النصارى الذين ورد ذكرهم فقط في مواطن قليلة وهذا نتيجة قلة الجماعات النصرانية بالمغرب الأقصى والأدنى، كما اعتبرتهم الكتابات مجرد نصارى ينتمون إلى "دار الحرب ".

## ب_الحرف والصنائع عند اليهود والنصارى:

عرفت بلاد المغرب الإسلامي بتعدد المهن وتنوعها، فلم تقتصر على العنصر المحلي بل شملت حتى فئة أهل الذمة من اليهود والنصارى الذين برعوا في أنواع شتى من الصناعات نذكر منها:

### 1_الصناعة التعدينية:

إن الصناعة التعدينية في بلاد المغرب الإسلامي، كانت تعد جزء هاما في الاقتصاد خاصة ضرب السكة والمصنوعات المعدنية[4]، فاهتم كل من اليهود والنصارى بهذه الصنائع لما لها من أهمية في الجانب الاقتصادي. على العموم اختص اليهود بهذه المهن دون غيرهم من أصحاب الملل الأخرى، ويرى سلوش هيرشبرج Hisgberg Slouch، بأن احترافهم

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 67، البكري، المصدر السابق، ص 17؛ مؤلف مجهول، الاستبصار...، ص 113.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج5 ، ص 59_60.

[3] الوزان، المصدر نفسه،ج 2، ص 62؛ Mas Latrie, opcit, P 223

[4] سعاد الكتبية، البنية الاقتصادية لطوائف يهود المغرب الأقصى في القرون الوسطى، مجلة كلية الآداب بني ملال، العدد3، المغرب، 2001 ، ص 37 .

لهذه المهن يعود إلى مناطق تمركزهم[1]، ففي المغرب الأقصى اشتهرت مدينة تامدولت[2] بهذه الصناعة خاصة صناعة الفضة التي كانت تستخرج من منجم "عدانة" [3]، وقد عرفت هذه الصناعة بالمنطقة تراجعا في القرن 10 هـ/16 م نتيجة استهلاك معادن المنطقة الذي أثر سلبا على التجارة الرابطة بين تامدولت وبلاد السودان.

وتوفر المنطقة على منجم الفضة أدى الى استقطاب العديد من اليهود إلى المنطقة، اذ اشتهرت منطقة سوس بهذا النوع من الصناعات فيشير الكتاني بأنها أول من ظهرت بها، وقد اعتمد يهودها على نظام المقايضة فكانوا يتبادلون السلع المعدنية بسلع أخرى دون الحاجة إلى استخدام النقود للبيع والشراء، وهذا ما أشار إليه البكري[4].

وفي بداية حكم بني مرين بدأت تجارة المعدن تتراجع نوعا ما وذلك لنفاذها من المناجم، كما أن اليهود أصبحوا يستغلون مادة النحاس ويقومون بتصديرها إلى بلاد السودان بداية من سجلماسة مقابل الحصول على الذهب[5]، واختص اليهود بهذه الصناعة دون غيرهم في حكم بني مرين[6]، وذلك لاعتمادهم على الربا في القروض[7].

أما في المغرب الأدنى فاشتهرت مدينة تونس بالصناعات كالصناعات التعدينية خاصة الذهب والفضة، وعرف يهودها بصهر القطع الفضية[8]، فكانت هناك جماعات يهودية يشرف على كل جماعة رجل يعرف بالنقيب الذي يسهر على تنظيم الحرف والحرفيين.[9]

---

[1] Slouch, Hirschberg, Opcit, P168

[2] "تامدولت من الأهمية بمكانه، تتوفر على منجم للفضة، معلوم من طرف سكان المنطقة"، ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 308.

[3] سعاد الكتبية، المرجع نفسه، ص 33.

[4] البكري، المصدر السابق، ص 162.

[5] العمري أحمد بن يحيى بن فضل الله، المصدر السابق، ص.

[6] يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص 16_18.

[7] الونشريسي،المصدر السابق، ج12، ص 376؛ فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 205،.

[8] ابن خلدون، العبر...،ج 2، ص 354.

[9] حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ج 2، ص 399.

أما النصارى فقد اهتموا بهذا النوع من الصناعات إلا أن اليهود كانوا بالدرجة الأولى، إذ قام نصارى بني مرين بالاتجار بالمعادن وذلك بالوساطة مع اليهود، لأنهم كانوا بارعين في السمسرة خاصة في أوائل حكم بني حفص وبني مرين، وقد تميزت صناعاتهم بالغش هذا ما دفع حكام بلاد المغرب الإسلامي لتخصيص صناعة معينة لأهل الذمة، ومنعوا من الاشتغال بغيرها كما حدث في عهد بني مرين في فترة حكم أبي الحسن المريني[1].

تذكر المصادر التاريخية أن الصناعة التعدينية اختص بها أهل الذمة خاصة اليهود، و لم يذكر بأن المسلمين اهتموا بها ولعل ذلك يعود الى مجموعة من العوامل أهمها:

قلة اليد العاملة وهذا ما استدعى السلطات إلى توفير الحرفيين والصناع المتخصصين خاصة اليهود الذين برعوا في هذا المجال ومن بينهم يهود الأندلس الذين استقروا ببلاد المغرب بعد تهجيرهم سنة 1492 م، و تفننوا في صناعات أخرى أثرت سلبا على السكان المحليين، مما أدى الى ظهور نزاعات بين المسلمين واليهود تطلب تدخل السلطان أبي يوسف يعقوب إلى التدخل لحل النزاع، وكان ذلك بإصدار مرسوم ضد الصناع والحرفيين اليهود، نتج عنه منعهم من ممارسة المهن التي تستعمل فيها المعادن النفيسة[2].

## 2_صناعة الأقمشة (الكتان):

إلى جانب الصناعة التعدينية اهتم اليهود والنصارى بصناعة الأثواب والقماش، فنجد أن يهود المغرب الأدنى اهتموا بالصناعات الصوفية التي انقسمت بدورها الى مهن **"الخلاص"** الذي اهتم بصناعة كباب الغزل، أما **"النساج"** فاهتم بصناعة الحائك، أما **الصباغة** فكانت على حسب نوع القماش[3]، اشتهرت هذه الصناعة خاصة في مدينة قابس[4]، أما **صناعة**

[1] المنوني، المصدر السابق، ص 147.

[2] الحكيم، المصدر السابق، ص 19.

[3] محمد حسن، المدينة والبادية في العهد الحفصي، ج 1، ص 459.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 72.

**السجاد** فكانت بجبل نفوسة بمدينة طرابلس[1]، واختص يهود منطقة سوس بصناعة القماش السوسي[2].

أما المغرب الأقصى فقد اشتهرت فيه الصناعات النسيجية[3] التي كانت تصدر إلى السودان الغربي، والدول الأوربية، فبرع النصارى في هذا النوع من الصناعات منذ العهد المرابطي، وهذا ما أشار إليه الونشريسي، إذ كانت هناك نازلة بخصوص الثوب المحاك من طرف النصارى، الذي أوجب غسله قبل لبسه حتى تجوز صلاة المسلم[4].

واهتم النصارى بصناعة الكتان وبيعه بأسواق المدن والأرياف وحتى في منازل المسلمين، خاصة في دولة بني حفص التي انتشرت فيها هذه الظاهرة مما أدى إلى إثارة الفقهاء خاصة وأن نساء المغرب كن يخرجن للباعة سافرات الوجوه[5]، أما يهود المغرب الأقصى فاختصوا بالصناعات الحريرية وصباغتها[6].

وقد انتشرت الصناعة النسيجية في المغرب الأقصى في كل من مدينة سبتة التي قال عنها ابن الخطيب " محطة قوافل الحرير والكتان "[7]، وقال عنها أيضا " صنعاء الحلل الحسان"[8]، كما انتشرت في مدينة فاس[9] وسجلماسة وغيرها من المدن المغربية التي عرفت بالصناعات الصوفية[10].

---

[1] Mas Latrie, Opcit, p 221

[2] مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 128.

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 48.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج 6، ص 53.

[5] موسى عز الدين، المرجع السابق، ص 112.

[6] الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص 229.

[7] ابن الخطيب لسان الدين، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح: محمد كمال شبانة، المحمدية، المغرب، 1976، ص 145.

[8] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 181.

[9] عز الدين موسى، المرجع السابق، ص 218.

[10] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 85_86؛ عطا علي، المرجع السابق، ص 144.

إذن صناعة الأقمشة والكتان لقيت رواجا في المغربين الأدنى والأقصى، إذ أنها تعد من المواد المصدرة إلى بلاد السودان والدول الإفرنجية وحتى بلدان المشرق العربي خاصة مصر.

## 3_صناعة الخمور:

إن الخمر من المواد المسكرة التي حرمت شرعا على المسلمين، وهي من أهم الصناعات التي اهتم بها كل من اليهود والنصارى، نظرا لتفشي ظاهرة شرب الخمر في مجتمع المغرب الاسلامي، مما أدى إلى إثارة المحتسبين والقضاة على صانعي الخمور، بتكسير قدورهم وتحويلها إلى نحاس خاصة في مدينة قابس التي انتشرت فيها هذه الظاهرة[1]، وكذلك مختلف الحانات التي يسكنها النصارى[2]. وأهم مدن المغرب الأدنى التي ظهرت بها هي: مدينة إفريقية، بجاية التي كانت مركزا هاما لولوج التجار إليها من مختلف بقاع العالم[3].

و في المغرب الأقصى اشتهر النصارى بصناعة الخمور منذ القرن 6 هـ_7 هـ/12_13 م، خاصة وأن الفقهاء أفتوا للمسلمين بترك استهلاك الخمور للنصارى[4]، ففي زمن المنصور الموحدي اتخذت إجراءات حاسمة ضد المسلمين الذين يقومون باستهلاك الخمور[5]، وأمر الأمير الموحدي عبد المؤمن بمواجهة أنواع المناكر بما فيها بيع لحوم الخنازير وصنع الخمور فحثهم على إراقتها وكسر دنانها[6]، ورأى بعض الفقهاء من أنه لا حرج في كراء محل للنصراني من المسلم بشرط أن يعمل له كما للناس من غير أن يستبد بعمله[7]، وما

[1] البرزلي، المصدر السابق، ص 220_223

[2] Mas Latrie, Opcit,

[3] صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص 187، ص 194.

[4] ابن الحاج، المصدر السابق، ص 295.

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج 6، ص 69.

[6] ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: علي محمود مكي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 168.

[7] العقباني، المصدر السابق، ص 174.

هذا إلا دليل على سياسة التسامح التي تمتع بها أهل الذمة في بلاد المغرب الإسلامي طيلة الفترة الممتدة من القرن 6_10 هـــ/12_16م.

## 4_حرفة البناء:

لقد اشتغل أهل الذمة في حرفة البناء وتفننوا فيها، فتذكر بعض المصادر التاريخية بأن اليهود برعوا في هذا المجال، على غرار النصارى الذين اختلفت الآراء وتنوعت حول اشتغالهم بمهنة البناء خاصة في العهد المرابطي، فيشير بول بيرثيي " Paul BERTHIER "إلى أن قصبة النصراني بزرهون ليست من إنجاز النصارى الذين كانوا ببلاد المغرب الإسلامي، وإنما من إنجاز المرابطين الذين اهتموا بالتحصينات قبل استخدامهم للنصارى في مهام البناء[1]، في حين ذهب ابراهيم حركات إلى أن الحصن كان من إنجاز نصارى الأندلس[2]، أما في زمن الموحدين فلا توجد إشارات واضحة عن مساهمة النصارى في مهنة البناء إلا أولئك الذين اختلطوا بالمسلمين وشاركوهم في حياتهم العامة[3]، باستثناء الأسرى المستقدمين من الأندلس، إذ استخدمهم يعقوب المنصور الموحدي (580_596 ه/1184_1199 م) في بناء المسجد الأعظم، ويشير الحميري إلى أن الخليفة الموحدي استخدم حوالي مائة وخمسين من الكفار وأعيانهم لخدمة بناء الجامع الكبير[4]، ويذكر صاحب الاستقصاء بأنهم استخدموا فقط في نقل التراب والحجارة وهم مقيدين[5]. أما اليهود فقد اختصوا في البناء منذ فترات سابقة، إذ يذكر صاحب الاستبصار بأن عدد منهم امتهنوا

---

[1]. Paul BERTHIER, Essai sur l histoire du massif de Moulay Idris ,de la conquête musulmane a l établissement du protectorat français ,Ed .FELIX Moncho ,Rabat ,1938 ,P 81_100.

[2]ابراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 244.

[3]الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص 232.

[4]الحميري، المصدر السابق، ص 27.

[5] الناصري أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج 2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ص 197.

حرفة البناء في المغرب الأقصى[1]، كما يذكر الحميري بأن يهود سجلماسة معظمهم كانوا بنائين[2].

## 5_احترافية الطب:

يعد عصر المرابطين والموحدين من أزهى عصور الطب في حضارة المغرب الإسلامي، إذ برز عدد كبير من الأطباء الذين شاعت شهرتهم واختصوا بمهنة التدريس الطبي[3].

إن الطب لم يكن حكرا على المسلمين وحسب، بل شارك فيه أهل الذمة من يهود ونصارى، فامتهن النصارى هذه الحرفة وعالجوا سكان المغربين الأدنى والأقصى رغم الفتاوى التي أصدرت لمنع النصارى واليهود من تطبيب المسلمين[4]، كما أصدر عدم جواز الأطباء الذميين من تطبيب نساء المسلمين خاصة وأنه لا يجوز للمرأة المسلمة أن تكشف نفسها أمام النصرانية واليهودية فكيف بالطبيب الذمي[5]، ويذكر ابن الحاج بأن الأدوية تصنع من النجاسات وهذا ما يجعلها تنجس الثوب والبدن[6].

فمهنة التطبيب عند النصارى ببلاد المغرب الأقصى عرفت تطورا وازدهارا بداية من الحكم المرابطي، لتزداد تطورا وانتعاشا في الحكم المريني خاصة بعد تزايد عدد التجار الذين كان يحضر معهم الأطباء إلى المغرب الأقصى[7].

---

[1] مؤلف مجهول، الاستبصار...، ص 190.

[2] الحميري، المصدر السابق، ص306.

[3] أحمد متفكر، الطب والاطباء بمراكش عبر العصور، ط 1، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، المغرب، ط 1، 2016، ص 9_10.

[4] ابن عبدون التجيبي محمد بن أحمد، رسالة في القضاء والحسبة، تح: ليفي بروفنسل، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص 57.

[5] ابن الحاج، المصدر السابق، ج 4، ص 118.

[6] نفسه، ص 115.

[7] الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص 236.

وبرع الأطباء اليهود في المغرب الإسلامي فبرز اسحاق بن عمران طبيب الأمير الأغلبي "ابراهيم الثاني"[1]، والطبيب الخاص لعبيد الله المهدي المعروف بـ" أبي اسحاق الإسرائيلي "[2]. كما خدم ابن عطاء في بلاط المعز بن باديس[3]، واشتهر في المغرب الأقصى الطبيب اليهودي "أحمد بن المغربي الإشبيلي" الذي أسلم ومات سنة 718 هـ/1317 م[4]، وفي العهد الوطاسي استدعي طبيب يهودي لعلاج أحمد الوطاسي من جروحه أثناء حربه مع الوطاسيين[5]، كما برع الطبيب "هارون بن اسحاق ابن عزرون" صاحب أرجوزة الحميات والأورام[6].

وبالنسبة لدولة بني حفص فقد تراجع عدد الأطباء اليهود، وذلك لنبوغ المسلمين في مجال الطب والصيدلة، فأطباؤهم لم يحترفوا مهنة الطب لتحصيل العلم والعلاج، وإنما كان من أجل مناصب دنيوية، فيرى ابن مقديش بأن مهنة الطب مهنة شريفة ونبيلة لكن طلبها قوم أرذال، فرذل هذا العلم برذالتهم، فالعمل يتطلب أن يكون بطبيب الأصول والأعراق[7].

إلى جانب هذه المهن، عرف اليهود والنصارى في المغربين الأدنى والأقصى بمهن وصنائع متعددة أخرى، كمهنة الخصاء التي اشتهر بها اليهود خاصة في مدينتي وارجلان وزويلة[8]، كما اهتموا بدباغة الجلود[9]، خاصة في المغرب الأقصى الذي اشتهر بأشجار

---

[1] ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ص 479.

[2] ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار العلوم، الرياض، 1981، ص 48.

[3] نفسه، ص 49؛ الدباغ، المصدر السابق، ج 3، ص 159.

[4] عطا علي، المرجع السابق، ص 214.

[5] مار مول كار بخال، المصدر السابق، ج 1، ص 473.

[6] محمد بن خوجة، المرجع السابق، ص 82.

[7] ابن مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزاوي، محمد محفوظ، ط 1، مج 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988، ص 287.

[8] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص 160.

[9] الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص 137.

التالكوت[1]، وعرف يهود المغرب الأقصى بصناعة الجلود فكانت بها سوق نافقة تناسبت بضائعها مع أصحاب الثروات[2]، وأيضا مدينة برقة[3]، وظهرت في بلاد المغرب مهنة "قفاص" التي اختص فيها اليهود بصناعة السلال[4]، وامتهنوا أيضا صناعة الدواء ببلاد المغرب[5]، إذ انشغلوا بتحضير العقاقير والأعشاب الطبية وإنتاج الأدوية.[6]

**ج_التجارة:**

**ج 1_التجارة عند النصارى:**

إن التجارة هي من أهم المجالات التي عني بها كل من اليهود والنصارى ببلاد المغرب الإسلامي، لما لها من أهمية في الجانب الاقتصادي فكانت بلاد المغرب مسرحا واسعا للتبادل التجاري، وعقد الصفقات وربط العلاقات بين العالم الإسلامي والعالم النصراني، لما لها من دور و مكانة في المجتمع المغربي.

**وضعية التجار المسيحيين:**

**ج 1_تجارة النصارى:**

عرفت بلاد المغرب الإسلامي في أواخر القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر ميلادي، استقرار عدد من النصارى والمسيحيين في المدن المغربية، إذ استقروا بتونس وقسنطينة، ومدينة وهران وسبته، وأنشؤوا العديد من الفنادق، التي كان تتم بها الصفقات التجارية وتبادل البضائع[7]، فقام خلفاء الموحدين في أواخر عهدهم بإعطاء النصارى الجدد القادمين إليها من الجزر الإيطالية موانئ وقلاع للتحصن بها، وهذا ما أدى إلى وجود صراع

---

[1] البكري، المصدر السابق، ص 152.

[2] ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، اعتنى:مصطفى شيخ مصطفى، ط 1، مؤسسة الرسالة، ناشرون، بيروت، 2001، ص 403.

[3] الادريسي، نزهة المشتاق ،ص 301.

[4] GOITEIN, Opcit, 334

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ص 319.

[6] جواتنياين، المرجع السابق ،ص 169.

[7] شارل أندري جوليان، المرجع السابق،ج 1،ص 161_162.

بين النصارى القدامى والنصارى الجدد[1]، هذا ما دفع نيقولا الرابع سنة 1290م إلى وضع حد للخلاف في المغرب الأقصى الذي ميز بين النصارى الأوائل والنصارى القادمين إلى المغرب لغرض التجارة[2]، أما في المغرب الأدنى خاصة في بداية الحكم الحفصي فكان الخلاف قائما حول الوضعية القانونية داخل دولة بني حفص، خاصة وأن معظم النصارى كانوا إما تجارا أو رقيقا أو جنودا[3]، كما ضمنت السلطة المرينية حماية خاصة للنصارى القادمين والذين تواجدوا بكثرة في الموانئ المغربية[4].

وقد سكن تجار النصارى بالحانات والفنادق، التي كانت تتوفر على مختلف ضروريات الحياة، ومعظمها كانت للأطراف التجارية الأوربية المتوسطية المتعاملة مع بلدان الشمال الإفريقي، ففي المغرب الأدنى أصبح للنصارى من مختلف الجنسيات فنادق خاصة بهم كالجنويين والبيزيين والبنادقة، إضافة إلى القشتاليين والأراغونيين[5]، فبذلك دولة بني حفص ضمنت الاستقرار لمختلف الجاليات المسيحية[6]، حتى أصبح الفندق مقرا للقنصلية بالمغرب الأدنى، وانتشرت خاصة بالمهدية، إذ سمح أبي يعقوب يوسف الموحدي للبيزيين ببناء فندق خاص بهم وفق معاهدة مع جمهورية بيزا عام 1666م[7]، ومدينة تونس[8]، وكذلك بطرابلس و بونة وصفاقس[9].

---

[1] غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1996، ص 158.

[2] الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص 219_220.

[3] برنشفيك، المرجع السابق، ج 1، ص 464.

[4] مصطفى نشاط، المرجع السابق، ص 69.

[5] نفسه، ص 70.

[6] مريم محمد عبد الله جبودة، التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي (555هـ_980 هـ/1160_1572 م) رسالة دكتورا، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، 2008، ص 235.

[7] Mas Latrie, Opcit, P 22.

[8] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 74.

[9] الحميري، المصدر السابق، ص 366_389_390.

وأقيم بمدينة بجاية فندق دائم لهم[1].

أما في المغرب الأقصى فقد تضاعف عدد الفنادق بها لسكنى النصارى خاصة التجار منهم فوصل إلى حوالي مائتي فندق بفاس[2]، كما سكنوا مدينة العرائش، وسلا و أنفا[3].

إذن فتجار النصارى بالمغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأدنى والأقصى بصفة خاصة كان لهم دور هام في الوساطة بين بلدان المغرب والدول النصرانية وذلك من خلال ربط العلاقات التجارية، فكانوا بذاتهم عبارة عن قناصل ممثلين لبلدانهم، لكن منع حكام العالم الاسلامي هؤلاء التجار من جلب نسائهم إلى البلاد الإسلامية ساهم بنسبة كبيرة في شيوع ظاهرة الدعارة والزنا[4]، خاصة وأن معاهدة المكوث الخاصة بهم كانت تنص فقط على مدة زمنية محددة للبقاء وبعدها العودة إلى بلدانهم[5].

إن كلا من دولة بني مرين ودولة بني حفص ساهمت بنسبة كبيرة في توافد النصارى إلى بلاد المغرب الإسلامي، فكانوا إما قناصل أو وسطاء تجاريين وبذلك تحسنت وضعيتهم بداية من القرن السابع هجري العاشر ميلادي على غرار تواجدهم في العهد الموحدي.

## ج2_وضعية التجار اليهود:

إن التجارة هي من أهم المهن التي اهتم بها اليهود عبر فترات متعاقبة من الزمن، خاصة وأنهم يعانون الشتات وعدم الاستقرار،فكان همهم هو تكوين ثروة، وإقامة تجمعات يهودية في مختلف بقاع العالم.

لقد كان لتجار اليهود وضعية خاصة في بلاد المغرب الإسلامي، ويعود ذلك بالدرجة الأولى للعائدات التجارية التي كانت تساهم في الاقتصاد المغربي، فكان اليهود يبعثون أبناءهم إلى تعلم التجارة والتدرب على العمل في الوكالات التجارية الكبيرة، إذ

[1] بعيزيق، المصدر السابق، ص 243.

[2] الأنصاري، اختصار الأخبار، ص 42؛ مارمول كاربخال ، المرجع السابق، ج 2، ص 231_232.

[3] صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص 261؛ زينب كرير، المرجع السابق، ص 150.

[4] Dufonrcq, Opcit, P 465.

[5] برانشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص 252.

أرسلت عائلة يهودية أحد أبناءها إلى القاهرة من أجل تعلم أصول العمل، ثم الاستقلالية بعمله بعيدا عن المعلم[1]، ففي القيروان كان لليهود سوقا خاصة بهم عرفت بسوق اليهود[2]، وسميت بذلك لكثرة التجار اليهود بها، وقد ألحقت هذه الأسواق بفنادق خاصة للتجار الغرباء كما عرفهم ابن حوقل[3]، ومن أشهر التجار، اليهود القادمين من إيطاليا الذين كانت لهم فنادق خاصة بهم[4]في تونس، وقد اهتم تجار اليهود ببيع مختلف السلع خاصة الكتان الذي كانوا يجلبونه من مصر، خاصة وأن تجار المغرب كان لهم عناية خاصة بصناعة النسيج والكتان[5].

أما عن مناطق الاستقرار فاستقر اليهود المغاربة خاصة في المناطق الساحلية على البحر المتوسط باستثناء بعض الجماعات التي سكنت بعض المدن الصغيرة كبرقة وجبل نفوسة[6]، كما سكنوا مدينة سبته التي كان ليهودها دور فعال في التجارة مع أوربا[7]، وفي دولة بني مرين أصبحت مدينة سجلماسة أهم المراكز التجارية التي اهتم بها اليهود، خاصة وأنها محطة لمرور القوافل إلى السودان لتجارة الرقيق والذهب[8].

**ثالثا: الدور التجاري لليهود والنصارى بالمغربين الأدنى والأقصى.**

إن المعاملة الحسنة التي لقيها اليهود في بلاد المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأدنى والأقصى خاصة، ساعدتهم في حرية التنقل بين مختلف الأماكن في البلاد، إذ كانوا يبيعون الأقمشة المعروفة باسم قشتالة خاصة في مدينتي فاس ومراكش[9]، أكسبتهم هذه التجارة

---

[1] Gautier E .F, Le Passe de l Afrique du Nord, Pris, 1937, P 191.

[2] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 167.

[3] ابن حوقل، صور الارض، ص 66.

[4] عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 100.

[5] جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص 242.

[6] نفسه، ص 269.

[7] مصطفى نشاط، المرجع السابق، ص 68. Dufonrcq, Opcit, P 378

[8] Dufoncq, Opcit, P 378, Hirschberg, Opcit, P 369.

[9] مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج 2، ص 119.

رؤوس أموال هامة ساعدتهم في التحكم في بعض الأسواق المغربية، فأصبحوا الممولين الرئيسيين[1]، كما كان للزعيم الديني دور هام في الأعمال التجارية، وفي حالة تأدية مهامه الدينية فإن خسائره تعوض كلها من طرف الجالية اليهودية[2]، بالإضافة إلى دور الوسيط[3] الذي اشتهر به اليهود وغالبا ما كان بين الأجانب الوافدين وأهل البلاد المسلمين، وذلك لإتقانهم مختلف لغات العالم[4].

إذن فالوضعية الحسنة التي تمتع بها اليهود في المغربين الأدنى والأقصى كان لها أثر كبير وواضح في ربط العلاقات التجارية مع مختلف بقاع العالم، خاصة الوسطاء والسماسرة الذين ساهموا بنسبة كبيرة في ترسيخ بعض المعاهدات بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي سواء كانت في الجانب الاقتصادي أو الجانب السياسي.

## 1_المعاهدات التجارية وأثرها في تحسين وضعية النصارى بالمغربين:

عمل الموحدون خلال القرن 6 هـ/12 م على توطيد العلاقات مع الدول الأوروبية لما لها من آثار على سياسة التوسع التي انتهجها الموحدون باتجاه الشمال إلى الأندلس وحدود إفريقية، وهذا لن يكون إلا بمعاهدات أبرمت بين الخليفة الموحدي وحكام الدول المسيحية.

كان لتجار جنوه دور هام في ربط علاقات تجارية مع بلدان المغرب الإسلامي، إذ يعود لهم الفضل في استخدام أولى العقود وكان ذلك في عهد الأمير أبو عبد الله بن إسحاق بن غانية الذي عقد اتفاقا مع سفير جمهورية جنوه والتي من أهم بنودها حماية التجار الجنويين والمحافظة على أرواحهم وأموالهم في البر والبحر، مع وعدهم بإعطائهم فندقا وحماما وفرنا وكنيسة في أي جهة يختارونها هم في إفريقية[5]، فهو بذلك ضمن لهم حرية العيش

[1] الحبيب بن خوجة، المرجع السابق، ص 6.
[2] حاييم الزعفراني ،المرجع السابق، ص 126.
[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج 6، ص 157.
[4] المغيلي، مصباح الأرواح، ص 42.
[5] مريم محمد، المرجع السابق، ص 235.

والقيام بأعمالهم الاقتصادية دون قيود سابقة، وكان لتجار مرسيليا دور هام في التجارة المغربية، إذ تحصلوا على رؤوس أموال طائلة في الجانب التجاري وحركة النقل، وهذا ما نصت عليه العقود العشرين التي أمضاها أصحاب رؤوس الأموال التجار المسمون مندو وال "Man ouel " في الفترة الممتدة من (612_646 هـ/1212_1246 م) إذ باعوا النقود العربية بقيمة نصف درهم التي كانوا يضربونها في مونيليه "Montpllie" من أجل التصدير، والتي كان يتم بيعها في بجاية وسبته ووهران وتلمسان[1].

ومن أهم المعاهدات التي حسنت من وضع النصارى ببلاد المغرب، تلك المعاهدة التي عقدها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي في الفترة الممتدة ما بين 1160_1163 م والتي سمح فيها للتجار المسيحيين القادمين من جنوه وبيزا والبندقية ومرسيليا باستيطان بعض الموانئ المغربية خاصة سبته، سجلماسة ومدينة وهران[2]، كما سمح الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف لتجار بيزا ببناء فندق خاص بهم في مدينة المهدية وذلك وفقا لمعاهدة كانت مع جمهورية بيزا سنة 1166 م[3].

إن هذه المعاهدات والاتفاقيات كانت إشارة طيبة في البداية لخدمة الجانب الاقتصادي المغربي، لكن نية النصارى كانت هي محاولة الاستيلاء على مختلف الموانئ التجارية، خاصة بعد استقرار عدد لابأس به من تجار فطلانيا وجنوه، وباقي الجمهوريات الإيطالية، فتوافد هؤلاء المسيحيين إلى البلاد المغربية جعل بعض الباباوات يصرح بأن كنيسة "المغرب" تفتح أبوابها للنصارى من البربر وغيرهم، وذلك لما تتمتع به هذه الأخيرة من حرية وتفهم، وحسن علاقة مع حكام الدولة الموحدية[4].

وقد تمكن تجار جنوه من إقامة شركات مع بلدان المغرب الإسلامي، والتي سمح لهم فيها بحرية الاتجار على طول السواحل المغربية على حسب ماس لاتري[5]، والتي انتهت بعقود

---

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، د 2 ،ص 161؛ كريم عاتي الخزاعي، المرجع السابق، ص146.

[2] De Mas Latrie, Opcit, P 47_48.

[3] Opcit, p 22.

[4] الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص 221.

[5] De Mas Latrie, Opcit, P 33.

مع الخليفة عبد المؤمن بن علي بسبته 555_556 هـــ/1160 م إلى 560هـــ/1164م، وكذلك بمنطقة سلا بداية من 558 هـــ/1162 م الى 559 ه/1163 م وذلك لتفريغ ونقل وإقامة التجار[1]، وغالبا ما كان يسهر على هذه المعاهدات والاتفاقيات قناصل ورجال دين يمثلون الكنيسة المسيحية، ومن بين الشركات التي اشتهرت في المغرب الأقصى نجد شركة "Giovanni Bono"والذي أصبح فيما بعد كاتب جمارك بجاية سنة 560هـــ/1164 م والتي كانت مع التاجر الجنوي Blancardo التي عملت على استيراد مواد من موانئ المغرب خاصة بجلية والتي بلغ رأس مالها حوالي 200 ليرة جنوية[2].

إن هذه الاتفاقيات والمعاهدات ضمنت للنصارى حقوقا أخرى غير تلك التي يخضع لها أهل الذمة بالمغرب الأقصى في القرن 6 _7 هـــ/12_13م، إذ نصت بعض المعاهدات في هذه الفترة على المعاملة بالمثل مع التجار المغاربة، كاستثناء دفع الجزية خاصة تجار جنوه التي كانت تشكل أكبر قوة بالموانئ المغربية على عكس تجار مرسيليا الذين أجبروا على أداء اليمين واحترام النصوص[3].

وفي أواخر الحكم الموحدي ظهر تجار مرسيليا خاصة بمدينة سبته، واهتموا بشكل خاص بالتبادل التجاري في المدن الداخلية[4].

وقد عمل كل من تجار النصارى القادمين من إيطاليا بتوظيف أموالهم[5] في المبادلات التجارية وفق عقود أبرمت مع مدن المغرب الأقصى، والدائرة النسبية الموالية توضح نسبة المعاملات لتجار النصارى بالمغرب الأقصى في كل من مدينتي سبته وسلا في الفترة الممتدة من القرن 6 هـــ الى 7 هـــ أي 12_13 م.

---

[1] Opcit, P 89.

[2] الحسن الغرايب، المرجع السابق، ص 222.

[3] 70. Mas Latrie, Opcit, P

[4] 77_78. Mas Latrie, Opcit, P

[5] 184. Opcit, P

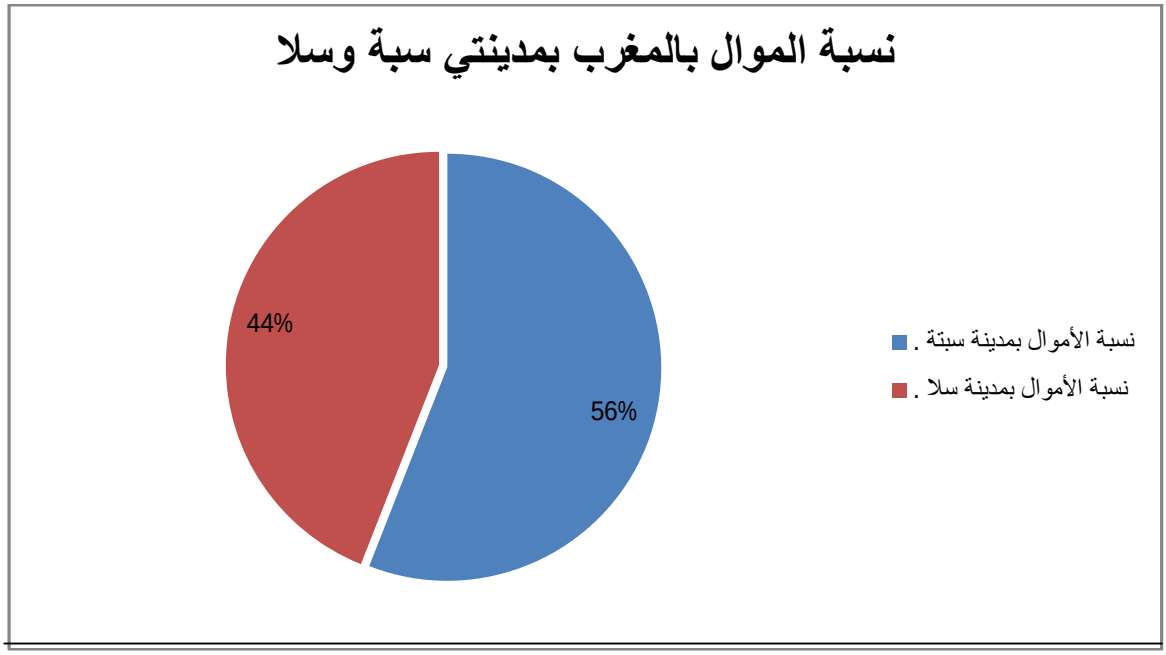


نستنتج من الدائرة النسبية أن حوالي 56% من أموال التجار النصارى خاصة الجنويين منهم خصصت للمبادلات التجارية في المدينة، والتي كانت وفق عقود وعهود أبرمت بداية من سنة 555 هـــ/1160 م إلى غاية 560 هـــ/1164 م وقد كانت لهم علاقات مع تجار فاس[1]، ولعل تفوق التجار الجنويين في هذا المجال يعود إلى طبيعة علاقتهم مع المغاربة، كما أنهم لم يكونوا ليشكلوا أي عائق سياسي مع الدولة الحاكمة آنذاك.

إن هذه الفترة هي من أزهى الفترات بالنسبة للنصارى إذ تمكنوا من إنشاء وكالات تجارية خاصة في سلا، آسفي وأصيلا وأصبحت فيما بعد عبارة عن فنادق يرتاد عليها التجار من فرنسا ومرسيليا[2]، وحرصوا دائما على عدم خرق الاتفاقيات والمعاهدات وذلك لضمان العلاقة الحسنة مع السلطة المركزية بالمغرب.

[1] عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، ص 369.

[2] عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي، ج 6، ص 219.

وفي سنة 759 هـ عقد السلطان أبي عنان المريني معاهدة سلم وتجارة مع بيزا، التي نصت في موجبها على منحهم فندق خاص بهم في أي مدينة يكونون بها مع ضمان حقوقهم الدينية وحق المتاجرة، وفي سنة 681 هـ تم عقد صداقة بين السلطان المريني أبي يعقوب وملكي فرنسا وقشتالة والتي غالبا ما كانت بنودها لخدمة الجانب الاقتصادي للبلدين[1].

وفي مطلع القرن 10 هـ/16 م أدى التجار الجنويون بالمغرب الأقصى دورا هاما ضد الغزو الإيبيري التي شهدته المنطقة، وذلك من خلال المساعدات التي كانوا يقدمونها للمغاربة من خلال القروض والأسلحة[2].

عرفت تجارة النصارى في بلاد المغرب الأقصى، في أواخر القرن 15 م/10هـ وبداية القرن 16 م، نوعا من التضييق نتيجة القوة العسكرية التي سلكها البرتغاليون في ممارسة نشاطهم الاقتصادي، فالاتفاقيات المبرمة بين الدول الأوربية والمغرب الأدنى كان لها أثر كبير على نصارى تونس، وساهمت بنسبة فعالة في تحسين وضعيتهم الاجتماعية، إذ سمح للبيزيين بإقامة فندق دائم لهم بمدينة بجاية وفق معاهدة سنة 633 هـ/1236 م[3]، وفي سنة 713 هـ/1313 م عقدت اتفاقية بين السلطان الحفصي أبو زكريا اللحياني وجمهورية بيزا سمحت للتجار للبيزيين في المغرب الأدنى بالإقامة بالمدن الساحلية، وبناء فندق خاص بهم يتوفر على كنيسة ومدفن لموتاهم، وحمام وفرن، فهي بذلك تضمن أمن الحياة وحرية النشاط الاقتصادي[4]، بالإضافة إلى مدينة قسنطينة التي توفرت أيضا على فندق خاص بالنصارى دون سواهم، فإن باقي المدن الإفريقية كان بها مكاتب دائمة غير خاضعة للضرائب، مع توفير

[1] أحمد عزاوي، العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط، ج1، ط 1، مطبعة الرباط نت، المغرب، 2011، ص 48_53.

[2]Ricard R,"Contribution a l étude de commerce génois au Maroc 4 durant la période portugais (1415_1550)", A.I.E.O, Alger, T 3,1937.

[3]صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص 243.

[4]مريم محمد، المرجع السابق، ص 236.

أماكن لتخزين السلع والبضائع[1]، وفي سنة 699 هـ/1270 م تم عقد صلح بين المستنصر أمير تونس وملك فرنسا وصقلية، ومن أهم بنود هذا الصلح هو تأمين تجارة النصارى في إفريقية والمدن الحفصية، مع إرجاع كل ممتلكاتهم التي سلبت منهم[2].

في القرن الثامن هجري كان لتجار النصارى بدولة بني حفص دور هام خاصة تجار مدن البندقية وفلورانس والأراغون، إذ تمكنوا من فتح وكالات خاصة بهم تعمل على ممارسة المهام التجارية كالتأمين على المراكب ونقل البضائع والسلع إلى مختلف الأسواق المغربية[3]، ومن أشهر الوكلاء الذين وجدوا في دولة بني حفص نجد لال أكسياولي "Acciaoli" وبروجي "Perruzzi" وهما تاجرين من فلورانسيا قدما إلى دولة بني حفص[4]، والذين ساهما في رفع القيود الجمركية ورفع الضرائب عن تجارة النصارى خاصة تجار الأرغون، وذلك بعد الاتفاقية التي أبرمت بين السلطان الحفصي أبي عبد الله[5] وحاجبه أبو يحي بن أبي العباس اللحياني مع ملوك الأرغون سنة 701 هـ والتي سمحت لهم بحرية التجارة في مختلف بلاد دولة بني حفص[6].

## 2_اليهود ودورهم التجاري:

لقد كان لليهود دور هام في الجانب الاقتصادي، خاصة الجانب التجاري إذ كان لهم واضح الأثر على المبادلات التجارية الداخلية والخارجية، ومن ساعدهم في ذلك المؤهلات الخاصة التي ساعدتهم على النشاط والوساطة بين مختلف القوى السياسية في بلاد المغرب الإسلامي، وغيرهم من اليهود في بقاع العالم الذين كانوا على دراية بتقنيات التبادل التجاري.

---

[1] Mas Latrie, Opcit, P 92.

[2] أحمد عزاوي، المرجع نفسه، ص 102_107.

[3] النويري، فيض العباب وإضافة قدح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح: محمد ابن شقرون، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990، ص 175_177.

[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج 2، ص 196.

[5] Dufoncq, Opcit, P 414.

[6] أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج 1، ص37.

ومن أهم الأدوار التي عرف بها اليهود في المغربين الأدنى والأقصى نجد:

**أ_التجارة المالية:**

أدى اليهود دورا هاما في الصيرفة، إذ كانوا يقومون بصرف النقود واستلام الودائع وتقديم القروض، كما كانوا يقومون بمختلف الأعمال فيما يخص المعاملات المالية، خاصة إذا تعلق الأمر بالذهب[1]، فمهارتهم في صناعة الذهب والمعاملات التجارية ساعدتهم في الحصول على مكانة هامة عند حكام بني حفص وبني مرين، إذ يذكر البرزلي بأن قضاة المغرب الإسلامي لم يتعرضوا لهم[2]، وقد غلب على معظم معاملاتهم الفساد والربا[3]، فالربا عند اليهود هو بمثابة السلاح القاتل دون دليل، كما جاء في تلموذهم إذ ورد ما يلي: "إذا أردت أن تقتل الأجنبي بغير أن يثبت عليك علامات القتل فاستعمل الربا."[4]ومن هذه العبارة نستنتج بأن اليهود كانوا يسعون دائما لإلحاق الأذى بالمسلمين سواء تجارا أو عامة الناس[5]، ففي إفريقية كانت بها سوق خاصة باليهود عرفت بهذا النوع من التجارة في القرن 3هـ/9م، حتى أصدر القاضي عبد الله بن طالب قرارا بمنع التعامل بالربا[6].

وقد ظهرت في مدينة القيروان حوانيت خاصة بالصيرفة[7] اشتغل بها اليهود، وتعد هذه من أخطر المهن التي برعوا فيها وذلك يعود إلى الشروط التي تتوفر في التاجر حتى يشغل هذا السلك المهني، ومن لهم أساسيات هذه المهنة هي الدراسة بمختلف ما تمليه الشريعة الإسلامية من حلال وحرام[8]، بالإضافة إلى هذا كان لليهود دور هام في الوساطة في أسواق

[1] يوسف الحكيم، المصدر السابق، ج3، ص 222.
[2] البرزلي، المصدر السابق، ج 3، ص 222.
[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج 5، ص 205.
[4] فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 205.
[5] كرير، المرجع السابق، ص 131.
[6] المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 377.
[7] الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 68.
[8] ابن الاخوة، المصدر السابق، ص 133.

بلاد المغرب الإسلامي، إذ اشتغلوا كسماسرة بين الباعة والمشترين[1]، الذين عرفوا بأنواع السلع، ويحدد السعر والمزايدة فيه[2].

وعمل اليهود التجار في المغرب الأقصى والأدنى على تمويل المشاريع المختلفة وذلك بواسطة أرباب البنوك اليهود الذين تربطهم علاقات مع الدول الأوربية وذلك بتقديم تسبيقات مالية مقابل فوائد مالية للدول المشاركة والتجار[3]، وعملوا على تموين القلاع والحصون والمدن وصرف النقود وكراء حق الجباية[4]، فنجد أن تجار اليهود بدولة بني مرين كان لهم دور هام في المفاوضات مع الدول الأوربية خاصة البرتغال التي ربطتهم معها علاقات حسنة، إذ كانوا الممون لهم للنفقات العسكرية والمروج لتجارتهم بموانئ المغرب الأقصى في أواخر القرن 15 م/9 هـ وبداية القرن 10 هـ/16 م[5].

ومن الأدوار الهامة التي عني بها تجار اليهود في المغربين الأدنى والأقصى الإشراف على المكوس وإصدار السكة، فكانت لهم دار السكة بتدنست، إذ كانوا يضربون نقود الفضة ويستخرجون من كل أوقية من الفضة مائة وستين قطعة نقدية صغيرة[6]، وفي أيام حكم الأمير أبي حفص بالمغرب الأدنى ظهرت الحندوس، إذ كان يضرب الدراهم الجديدة بدله من النحاس بغش اليهود المتناولين لصرفها[7].

إن التجارة المالية عند اليهود قد لاقت عناية فائقة من طرف تجارهم في بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأدنى والمغرب الأقصى بصفة خاصة، فأشرفوا على المكوس،

---

[1] نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشورات الجامعة التونسية، 1976، ص 53.

[2] نفسه، ص 54.

[3] Braudel F,La méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de Philippe 2,2 vol, 5eme édition, Paris 1982.

[4].Opcit, P 147

[5] عثمان المنصوري، المرجع السابق، ص 359.

[6] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 78.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 421.

وعنيوا بالجبايات، وإصدار السكة رغم كونهم أقلية دينية في مجتمع إسلامي، يضم أجناس مختلفة من بقاع العالم.

**ب ـــ التجارة الصحراوية:**

إن الطبيعة التجارية التي تميز بها اليهود دون غيرهم من الأجناس البشرية، حتمت عليهم ضرورة الانتشار في بلاد المغرب الإسلامي، فأسسوا بذلك سلسلة من التجمعات التي امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى صحراء ليبيا شرقا.

تجمع الدراسات التاريخية على أن اليهود هم المحرك الرئيسي والطرف الهام في التجارة الصحراوية، إذ يعود لهم الفضل في وضع الركائز الأساسية خاصة وأنهم كانوا رواد تجارة الرقيق والذهب[1]، فقد كانت الواحات الصحراوية ببلاد المغرب الإسلامي مركزا لاستقرار التجار اليهود الذين كانوا ينتقلون مع القوافل التجارية من منطقة السوس متجهين إلى بلاد السنغال سالكين بذلك الطريق اللمتوني الذي عرف بتواجد جماعات يهودية، كما انتشروا بمنطقتي تغاووست وجوليمين الموجودتين على الطريق الرابط بين المحيط الأطلسي والطريق إلى الصحراء[2]، كما تمكن اليهود من تأسيس شبه مملكة لهم بإقليم درعة[3]. وقد كان لليهود القاطنين بسجلماسة دورا في ربط الاتصالات مع مختلف المراكز التلموذية بالمشرق خاصة

---

[1]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص123.

[2]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص220.

[3]- درعة: تقع هذه المدينة بالمغرب بجهة سجلماسة، وهي عبارة عن قرى متصلة وعمارات متقاربة، ومزارع كثيرة وفيها أخلاط من البربر، وهي على نهر سجلماسة، وبينها وبين السوس الأقصى أربعة أيام؛ ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص257ـــ258؛ وقد عرفت هذه المدينة بالنوعية الجيدة للكتان، إذ يذكر البكري بأن تاجرا أهدى أحد ملوك الروم منديلا أتى به من المنطقة وأنه لا يتأثر بالعوامل الطبيعية، فقام بقذفه في النار ثم أخرجه منها دون أن يحترق أو يحدث له شيء، وقد بلغ هذا المنديل أهمية كبرى عند الملك إذ وضعه في الكنيسة كرمز للتفاؤل، كما يذكر بأنها مدينة ذات تجارة رابحة؛ ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 155ـــ156.

مصر والمغرب وغيرها من مدن المغرب الأوسط[1]، وذلك من أجل الاستفسار بخصوص المسائل الاقتصادية والدينية[2]، فلمع نجم اليهودي أبو زكري ها كوهين " Abu Zakri Yehuda ha Cohen" الذي شغل منصب الوساطة بين المشرق الإسلامي وبلدان المغرب الإسلامي[3]. كما سكن بعض تجار اليهود بمنطقة توات وقورارة إذ سيطروا على التجارة بها ومعظم الأسواق[4]، وقد كان ليهود جنوب تونس دور هام في تطوير التجارة الصحراوية، إذ بلغ الربي موشي ها الغدامسي "Mushi ha Gdamci" مكانة هامة في الوكالة التجارية بالمغرب الأدنى وقد سكن اليهود منطقة الجريد و توزر[5] ومطماطة ونفزاوة[6]،

---

[1]- يعتبر المغرب الأوسط منطقة جغرافية اختلف المؤرخون والرحالة في ضبط حدودها الجغرافية، فيرى ابن خلدون أن نهر ملوية هو الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى؛ ينظر ابن خلدون، العبر...، ج6، ص98؛ أما صاحب الاستبصار فيرى أن بلاد تازا هي آخر بلاد المغرب الأوسط وأول بلاد المغرب الأقصى؛ ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار...، ص186؛ في حين أن الحدود الشرقية لم تكن واضحة المعالم إذ كانت متذبذبة ومتغيرة من الفتح الإسلامي إلى آخر عهد الموحدين؛ ينظر: سميرة نميش، المرجع السابق، ص2ـ3.

[2] -Goiteine Opcit P191 192.

[3]- هو أبو زكري يهودا ها كوهين يعد من أهم التجار الذين شغلوا منصب الوساطة بين المشرق الإسلامي والمغرب خاصة مصر فكان وكيلا تجاريا للمغاربة، وساهم في حل العديد من المسائل الاقتصادية العالقة بين الحواضر الإسلامية؛ ينظر: جواتانيان، المرجع السابق، ص168.

[4]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 221.

[5]- توزر: هي قاعدة كور قصطيلية من البلاد الجريدية، وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور مبني بالحجارة والطوب وحولها أرباض واسعة ولها أربعة أبواب؛ ينظر: الحموي، المصدر السابق، ص ص144ـ 145.

[6]- نفزاوة: بينها وبين القيروان ستة أيام، ولها سور صخر وطوب، ولها ستة ابواب، وبها جامع وحمام وأسواق حافلة، وهي على نهر كثيرة النخل والثمار، وحواليها عيون كثيرة، وبينها وبين قابس ثلاث مراحل، ومن نفزاوة تسير الى بلاد قصطيلية؛ ينظر: الحموي، المصدر نفسه، ص578.

كما استقروا بمنطقة قفصة[1] وقابس[2]، كما كان إقليم شاروز من أهم المناطق التي تعبر منها القوافل التجارية العابرة من طرابلس إلى السودان الغربي، دون أن نغفل عن إقليم جادو إذ وصله التجار القادمين من كنام متجهين إلى فزان[3]، فالمدن التي ذكرنا سابقا استقرت بها جماعات يهودية اهتمت بالمهن التجارية دون غيرها من الأنشطة الاقتصادية، فكان تجار اليهود يخرجون من الأندلس ومن الأراضي الإفرنجية إلى السوس الأقصى وبعد وصولهم إلى طنجة يخرجون إلى إفريقية متجهين إلى مصر ثم الرملة دمشق والكوفة وبغداد ثم فارس ثم إلى كرمان ثم إلى السند وبعدها الهند ليصلوا إلى الصين[4]، واهتمام اليهود بتجارة المعادن الثمينة دفعهم للاستقرار ببلاد السودان والذين كان لهم دور فعال في المتاجرة مع يهود المغرب الإسلامي وتنشيط التجارة الصحراوية خاصة إذا تعلق الأمر بالذهب والرقيق.

إن الفترة الموحدية كانت ضغطا على اليهود وذلك نتيجة السياسة التي انتهجوها مع الموحدين، فأبعد اليهود من مختلف المجالات الحياتية خاصة التجارة التي أصبحت حكرا على المسلمين.

عمل تجار اليهود على الاتجار في بلاد السودان ، إذ نقلوا منها ريش النعام والعاج والشّب والذهب، كما كانوا ينقلون البعض من هذه البضائع إلى أوربا، أهمها المعادن الثمينة و على رأسها الذهب، ففي القرن 8هـ/14م وبداية القرن 9هـ/15م عرفت الصحراء عصرها الذهبي للتجارة، فاستعاد تجار اليهود نشاطهم التجاري بمساعدة سلاطين الدولة الإسلامية و على رأسهم حكام الدولة الزيانية والدولة المرينية، لما كان يعود من فائدة على

---

[1]- قفصة: مدينة من البلاد الجريدية وهي مدينة قديمة أزلية تشتهر المدينة بجنانها وبساتينها، وهي أعظم بلاد افريقية، محاطة بحوالي مائتي ألف من القصور؛ ينظر، الحموي، المصدر نفسه، ص ص277ـ279.

[2]- قابس: مدينة من بلاد افريقية بينها وبين القيروان أربع مراحل، وتعد من البلاد الجريدية، بينها وبين طرابلس ثمانية أيام...، وهي مدينة بحرية صحراوية تشتهر المدينة بالبناءات والحدائق؛ ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ص ص450ـ452.

[3]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص222.

[4]- ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص132.

خزينة الدولة من وراء هذه التجارة، دون أن ننسى بروز دولة المالي التي تمكنت من إخضاع الطرق التجارية الواقعة عل ساحل السودان للمراقبة، فتصدرت تجارة الذهب منطقة بوريه Bouréو بامبوك Bambouk بالسينغال[1]، هذا ما ساعد على توسيع التبادل التجاري خاصة مع جنوب أوربا التي كان جل اهتمامها المعادن الثمينة ألا وهي الذهب، و في نهاية القرن 8هـ/14م عرف الذهب بالغلاء و هذا ما أكده ربيوا الجزائر :" إن الذهب بالغ الثمن في بلاد إيدوم Edom وسعره معقول – بالجزائر- لأنه منها يصل..."[2].

إن استقرار اليهود على مختلف الطرق المارة عبر الصحراء مكنها من إنعاش المبادلات التجارية مع السودان، وهذا ما نتج عنه ظهور مجموعة من الحواضر والمدن التي أضحت لها مكانة اقتصادية في المغرب الإسلامي، من أشهرها سجلماسة ووركلة[3] و توات وولاتة وغيرها من المدن آنذاك، وقد انتشرت بها الفنادق والحضائر خاصة منطقة المغرب التي انتشرت بها بصفة خاصة التجارة مع السودان[4].

**ج ــ المبادلات التجارية بين إفريقية والأرغون ومايورقة "1310 ــ1331":**

لقد كان لليهود ببلاد المغرب دور هام في المبادلات التجارية مع مختلف دول المغرب الإسلامي، والجدول الموالي يوضح دور يهود العالم في تنشيط المبادلات التجارية مع كل من إفريقية والأرغون ومايورقة.

[1]- فاطمة بوعمامة، المرجع نفسه، ص251.

[2]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص74.

[3]- وركلة وورقلة: من مدن المغرب الأوسط بالجنوب، عرفت آنذاك بتوافد العديد من التجار الأجانب جاؤوا إليها من تونس وقسنطينة، اهتموا بالتبادل التجاري مع منتجات السودان الغربي؛ ينظر: الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص136.

[4]- ابن خلدون، العبر...، ج6، ص405.

| الأصل | الاسم | المهنة | الوجهة | السنة |
|---|---|---|---|---|
| مايورقة | أمرفرنسيك | ملاك | جيجل | 1331 |
| | أزفي أندري | ملاك | تونس | 1314 |
| | برشلو بناط | تاجر صاحب رأس مال | تونس | 1320 |
| | كابستا جوان | ملاك | تونس | 1317-1314 |
| | كان دانيال | ملاك | تونس | 1320 |
| | قرط برناط | ملاك تاجر | تونس | 1330 |
| | دبسليدو ولهم | ملاك | تونس | 1327-1328 |
| | فلو ولهم | ملاك | تونس | 1328 |
| | فراد | ملاك | تونس | 1319 |
| | جوم | ملاك | تونس | 1319 |
| | فرار الأب | ملاك | تونس | 1319 |
| | فرنلو | ملاك | تونس | 1314 |
| | مرتينت | ملاك | تونس | 1322 |
| | بافاطوماس | ملاك | تونس | 1314 |
| | ريمون برناط | ملاك | تونس | 1332-1331 |
| | رواق الأب | ملاك | طبرقة | 1320 |
| | ميمو بن حوني | تاجر يهودي | تونس | 1326 |
| | انبال برنقر | تاجر | تونس | 1320 |
| | لايستبد ولهم ارنو | ملاك | تونس | 1326 |
| | دوراتافرنسيسك ديرات | | تونس | 1330-1320 |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| برشلونة | رشاري جوم | تاجر ونصف قنصل | تونس | 1314-1313 |
| | ولدزينة برناط | تاجر وكاتب بفندق | تونس | 1313 |
| | فيلي برناط | تاجر + نصف قنصل | تونس | 1326 |
| | فيلي جوم | تاجر | تونس | 1320 |
| | زقيه(محمد بن ميمو) | تاجر مسلع | تونس | 1329-1319 |
| | ميموحوتي | تاجر يهودي | تونس | 1326 |
| طرطوشة | أفريسكوال | صاحب رأس مال | تونس | 1312 |
| | بن حاج يوسف | صاحب رأس مال يهودي | تونس | 1312 |
| | بن حاج يهودا | صاحب رأس مال يهودي | تونس | 1312 |
| | دابرات | تاجر مسلم | تونس | 1312 |
| | لوبو (حسن بن مرتينت) | تاجر مسلم | تونس | 1314 |
| | شلوم يوسف | يهودي | تونس | 1312 |
| بلنسية | زواق برناط | ملاك | تونس | 1310 |
| | ساتون برناط | تاجر | تونس | 1316 |

الجدول الموالي يبين أهم المبادلات التجارية التي كانت في الفترة الممتدة من سنة 1318 إلى غاية سنة 1331م، وغالبية هذه المبادلات كانت بين مايورقة وتونس بالإضافة إلى برشلونة وبلنسية، وقد يعود ذلك إلى ميناء تونس الذي انتشر فيه التجار من مختلف بقاع العالم وبجنسيات وملل مختلفة، إضافة إلى العقود والعهود التي كانت بين حكام المغرب الأدنى

والعالم المسيحي، ضف إلى ذلك حجم البضائع التي كانت تصل إلى بلاد المغرب الإسلامي، فسجلت وثائق الجنيزة أنه حوالي3.6 بالمائة كانت تصل إلى المغرب الأقصى وحوالي 11بالمائة من البضائع كانت تصل المغرب الأوسط، ومن هذا الجدول نستنتج أن مايورقة وتونس كانتا محورا للمبادلات التجارية، ثم بعدها برشلونة وطرطوشة، أما اليهود الذين كان لهم دور في هذه المبادلات التجارية لم تكن حكرا على التجار، وإنما شملت حتى ملاك الأراضي والأموال وأصحاب المراكز الادارية.

# الفصل الرابع:

## أهل الذمة ودورهم السياسي في المغربين الأدنى والأقصى

## (6ـ10هـ/12ـ16م)

أولا: الدور الدبلوماسي لأهل الذمة بالمغرب الأدنى والأقصى(6ـ10هـ/12ـ16م):

ثانيا: الجند المسيحي ودورهم العسكري بالمغربين الأدنى والأقصى

ثالثا: موقف العامة والخاصة من الوجود الذمي

تذكر المصادر التاريخية أن أهل الذمة في بلاد المغرب الإسلامي، عاشوا حسن الجوار مع المسلمين وتمتعوا بسياسة التسامح الديني وفق ما تمليه الشريعة الإسلامية من أحكام ومبادئ. فشاركوا المغاربة في الوظائف السياسية والإدارية وتقلدوا مناصب سامية باستثناء الوظائف الحساسة في البلاد الإسلامية، إذ أبعد اليهود والنصارى من تقلدها وممارستها. فما هي أهم الوظائف الإدارية والسياسية التي تقلدها اليهود والنصارى في المغربين الأدنى والأقصى؟ وهل كانت الأدوار السياسية لليهود والنصارى في المغربين متقاربة؟ أم أنها اختلفت من فئة إلى أخرى في البيئتين المدروستين؟ وما موقف العامة والخاصة من الذميين بالمغربين الأدنى والأقصى(6ـ10هـ/12ـ16م)؟

## أولا:الدور الدبلوماسي لأهل الذمة بالمغربين الأدنى والأقصى(6ـ10هـ/12ـ16م):

لقد شغل اليهود في بلاد المغرب الإسلامي مناصب سامية، ومراكز إدارية هامة، باستثناء الخلافة وإمارة الجهاد التي كانت تستدعي إسلام صاحبها[1]، فشغلوا منصب الوزارة والجباية وغيرها من المناصب الهامة:

### 1ـ الوزارة:

أجاز العلماء هذا المنصب لأهل الذمة بشرط أن لا يباشر الحكم ولا ينظر في المظالم وعدم انفراده بتسيير الجيوش[2]، فقد كانت مهمة الوزير اليهودي هي التنفيذ، فهي تختص بالرأي والحزم[3]، على عكس وزارة التفويض التي يحق لصاحبها العقد والحزم والتقليد والعزل[4]، وأول من شغل هذا المنصب من اليهود نجد يعقوب ابن كلس الذي قدم إلى

[1]- الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص48.

[2]- الماوردي، المصدر السابق، ص24ـ25.

[3]- أبو الحسن الماوردي، قوانين الوزارة وسياسة الملك، تح: رضوان السيد، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1979، ص138.

[4]- نفسه، ص139.

إفريقية من مصر وسهر على خدمة المعز لدين الله الفاطمي[1]، كما أوكلت هذه الوظيفة لحسداي ابن شبروط[2]، و ابن النغريلة اليهودي في عصر الطوائف ببلاد الأندلس[3]، أما في فترة حكم المرابطين والموحدين فقد أوكلت هذه المهام للمسلمين دون غيرهم باستثناء فترة حكم علي بن يوسف الذي اعتمد على الجند المسيحي في جباية الخراج[4]، هذا عن المرابطي أما العهد الموحدي فقد تميز بالتفتح في الحياة السياسية والدبلوماسية، بداية من عهد عبد المؤمن بن علي[5]، وفي أواخر حكم الموحدين أرسل ابن خلاص والي سبتة كاتبه ابن سهل الإسرائيلي إلى أبي زكرياء يحي الحفصي الذي حظي بمكانة هامة عند أمير تونس[6].

ويهود المغرب الأقصى لم يتقلدوا منصب الوزارة حتى أواخر حكم بني مرين، وكان ذلك في عهد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد عثمان (831ـ869هـ/1427ـ1464م)، إذ استخدمهم ضد بني وطاس الذين سيطروا على الدولة، فقلد اليهوديين هارون وشاويل[7]، فكلف هارون بالشؤون المالية فترأس بيت المال[8] وعين شاويل نائبا له[9]، وأول عمل قام به هذا الوزير هو ضرب أهل فاس ومصادرة

---

[1]- ابن تغري بردي جمال الدين، النجزم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1963، ج4، ص21؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص28.

[2]- الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص48.

[3]- الخزاعي، المصدر السابق، ص48.

[4]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية...، ص ص61.60.

[5]- ابراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص304.

[6]- مسعود كواتي، المرجع السابق، ص208.

[7]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية...، ص ص61.60.

[8]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص290؛ العباس بن ابراهيم، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1976، ص42.

[9]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص235.

أموالهم، وإلحاق الأذى بالفقهاء وعامة الناس الذين سخطوا على السلطان[1]خاصة بعد الغزو البرتغالي للسواحل المغربية فسيطروا على مدينة طنجة سنة869هـ/1464م[2]، وأمام هذه الصراعات أفلست الخزينة المالية، فأشار اليهودي هارون على السلطان بضرورة جمع الضرائب من المسلمين، كما أصبح اليهودي هارون يقوم بأعمال دون استشارة السلطان وكأنه هو صاحب السلطة الفعلية في البلاد على حسب ماذكره الزركشي[3].

أما النصارى فاشتهر في البلاط الحفصي **عبد الله الترجمان** وهو قس نصراني اسمه أنسالم تورميدا من مواليد ميورقة 1355م، واستقر بتونس سنة 1388م، اشتهر بالترجمة فكان في البداية ترجمانا للقصر، وبعد إسلامه علا شأنه واحتل مكانة هامة حتى وصل منصب الوزارة، أعطاه السلطان الحفصي متزلا بالقرب منه وزوجه من ابنة أحد أعيان الدولة وهو محمد الصفار وحظي الترجمان بمكانة هامة في بلاط بني حفص توفي 1423م، مخلفا وراءه ابنه محمد، وكان للترجمان مؤلفات أشهرها كتابه: "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب"[4].

شارك النصارى في تسيير شؤون البلاد خاصة في عهد السلطان أبو عمرو عثمان، والسبب يعود إلى صلة القرابة إذ تذكر المصادر التاريخية أن والدته امرأة علجية، فقربهم إليه وأسكنهم في ربض ملاصق لقصره[5]، وكان النصراني جوان بن جاكو من أهل الحل والعقد في عهد السلطان الحسن إذ كان يلازمه ويشاركه في مناقشة القضايا الهامة في الدولة[6].

---

[1]- السلاوي، المرجع السابق، ج4، ص98.

[2]- نفسه، ص99.

[3]- الزركشي، المصدر السابق، ص156.

[4]- الترجمان، المصدر السابق، ص93.

[5]- الأنصاري، فهرست الرصاع، ص71.

[6]- السراج، المصدر السابق، ج2، ص195ـ196.

وإلى جانب الوزارة تمكن النصارى في دولة بني حفص من تسيير شؤون بعض المدن والولايات، إذ سيطر منصور بن عتيقة وهو من العلوج سيطر على شؤون الدولة في عهد الأمير أبي البقاء خالد إذ يقول الشماع بأن هذا الأمير لم يكن يتحكم في شيء خاصة وأنه كان يعتمد على هذا العلجي وحاجبه أحمد البالقي[1]، وفي عهد السلطان أبي عثمان تمكن بعض النصارى خاصة العلوج منهم من ولاية بعض الولايات، فعين القائد ظافر بن جاء الخير على ولاية قسنطينة وعلجي آخر على مدينة بجاية[2].

إن النصارى في دولة بني حفص حظوا بعناية خاصة من قبل السلاطين الحفصيين فكان لهم دور في الشوؤون الداخلية كما أوكلت لهم بعض المهام الخارجية.

## 2ـــ الحاجب:

الحاجب أو المزوار هي مهمة توكل إلى شخص ليسهر على تنفيذ أوامر الحاكم[3]، ويعرفها ابن خلدون على أنها الحجابة الصغرى[4]، ويشترط في صاحبها الذكاء والفطنة والحنكة وغالبا ما كان يسند هذا المنصب إلى اليهود خاصة في المغرب الأقصى[5]، ومن أشهرهم خليفة بن رقاصة الذي كان قهرمان القصر في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني[6].

---

[1]- ابن الشماع، المصدر السابق، ص79.

[2]- الزركشي، المصدر السابق، ص299ـــ301.

[3]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص428.

[4]- نفسه، ص429.

[5]- ابن الأحمر، النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تح: عدنان محمد ال طعمة، دار سعد الدين، دمشق، 1992، ص39.

[6]- نفسه، ص39؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص428.

كان اليهودي خليفة بن حيون بن رقاصة ملازما للسلطان يوسف بن يعقوب المريني منذ الصبا إذ كان يجالسه ويعصر له الخمر خفية عن أبيه[1]. وبعد وفاة السلطان انفرد خليفة بيوسف بن عبد الحق وظل ملازما له، فاشتغل آل رقاصة وهم ابراهيم أخو خليفة وصهره موسى بن السبتي وابن عمهم المعروف بالأصغر في قهرمة[2] القصر لمدة طويلة إلى أن أصبح لهم مركز ثقل في الدولة[3]، فأصبح بن رقاصة يصدر الأوامر وزادت قيمته ووجاهته بين الشرفاء والوزراء، فكان هذا الوزير يخدم طائفته اليهودية على حساب المسلمين[4]، لكن عندما تبين ذلك للسلطان المريني لم يرق له ذلك وعلم بأن وجاهة هذا اليهودي ستؤدي إلى السقوط لا محالة ونهاية الملك وساعده في ذلك كاتبه أبو محمد بن عبد الله بن أبي مدين[5].

في شهر شعبان من سنة 701هـ/1301م، قام السلطان المريني باعتقال آل رصافة[6] أثناء حصاره لمدينة تلمسان، فنكل بهم أشد تنكيل ثم قام بقتلهم جميعا باستثناء ابراهيم الملقب بالأصغر وذلك احتقارا لهم، وإبقائه عبرة لكل من يتجرأ على الدولة[7]، وفي فترة حكم السلطان سليمان بن يوسف بن يعقوب عاد اليهودي الملقب بالأصغر إلى البلاط المريني[8]، إذ اتخذه السلطان حاجبا له، فتحكم هذا اليهودي في كل الأمور واشتهر هذا

---

[1]- ابن الأحمر، المصدر نفسه، 31.

[2]- قهرمة: لغة: هو المسيطر و الحفيظ على ما تحت يديه و هو لفظ فارسي معرب يطلق على الذكور والاناث؛ محب الدين محمد الزبيدي ، تاج العروس في جواهر القاموس، تح: علي بشيري، ج17، دار الفكر، بيروت، 1994.، ص 599؛ ابن خلدون ، ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، اعتنى: مصطفة شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص464.

[3]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 234.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص484.

[5]- السلاوي، المرجع السابق، ج3، ص81.

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص428.

[7]- السلاوي، المرجع نفسه، ص81.

[8]- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 33.

الأخير بالوشاية فكان سببا في مقتل الفقيه الكاتب أبي عبد الله محمد بن أبي مدين الذي كان لا يفصل في شيء رغم درايته وحكمته ومكانته في ديوان الإنشاء والعلامة[1]، وبعد تفطن السلطان أبو ثابت لمكر خليفة الأصغر قام بإعدامه ولقي نفس مصير عائلته[2].

## 3ـ صاحب الشرطة:

وظيفة صاحب الشرطة أو قائد الشرطة في البلاد الإسلامية لا توكل إلا للمسلم[3]، لكن في عهد بني مرين وفي فترة حكم السلطان عبد الحق بن أبي سعيد عثمان(831ـ869هـ/1427ـ1464م) عين الحسين اليهودي قائدا للشرطة[4]، بعدما تمكن من الإيقاع بأبي زكريا يحي بن يحي بن عمران بن زيان الوطاسي سنة 863هـ/1459م[5]، فاستقل بالحجابة وأخذ مراسيم الدولة لوحده وعزل فقهاء مدينة فاس[6]، كما تمكن من الهيمنة على السلطان عبد الحق المريني الذي تولى الحكم سنة(831هـ/1427م)، لكن هذا الأخير تفطن لاستبداد بني الوطاس فقام بمذبحة نحوهم وعين اليهودي هارون وشاويل، وحسين اليهودي تأديبا للعامة والخاصة[7]، فبمجرد تعيينهم قام هؤلاء اليهود بإذلال أهل فاس بالضرب ومصادرة الأموال، وتحكموا في الفقهاء والأشراف[8]، وأصدر السلطان المريني ضريبة الخراج على سكان مدينة فاس بمافيهم الأشراف الذين كانوا معفيين من دفعها، وطالب اليهود البلديون السلطان بإعادتهم إلى قيصارية فاس

---

[1]- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص198.

[2]- السلاوي، المرجع السابق، ص49.

[3]- الخزاعي، المصدر السابق، ص48.

[4]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ص 274ـ275.

[5]- عبد الباسط بن خليل المصدر السابق، ص

[6]- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 235.

[7]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 276.

[8]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ص 274ـ275.

فاستجاب لهم، كما طالبوا السلطان بضرورة دفع الأشراف للضريبة وبيعهم جلوس الدكاكين لكن هذا الطلب لم يلق استجابة من الساهرين على حماية الدكاكين، فتدخل صاحب الشرطة حسين اليهودي لصالح أبناء ملته وأقنع ناظر الأحباس بضرورة بيع جلوس الدكاكين لأن السلطان المريني بحاجة إلى أموالها[1]، و لم يقف تمرد هذا اليهودي عند هذا الحد بل وصل به الأمر إلى أن ألقى القبض على امرأة من فاس فأوجعها ضربا وعندما توسلت برسول الله زاد من وتيرة عقابها[2]، هذا الأمر أدى إلى ثورة أهل فاس ضد اليهودي وتوجهوا إلى خطيب مسجد القرويين أبي فارس عبد العزيز بن موسى الوريكالي[3]، الذي أعلن الجهاد والفتك باليهود وخلع السلطان عبد الحق الذي قتل في 27رمضان869هـ/1465م[4]، أما اليهود فلم يبق منهم واحد باستثناء أولئك الذين فروا خارج مدينة فاس[5].

وفي فترة حكم بني وطاس كان بعض اليهود يقومون بالدفاع لصالح بعض القبائل التابعة لهم، كما أوكلت لهم مهمة الحراسة حتى أصبحوا يمتطون الخيول التي منعت عنهم في فترات سابقة[6].

---

[1]- طه علي، المرجع السابق، ص54.

[2]- العباس بن ابراهيم، المصدر السابق، ص150؛ السلاوي، المرجع السابق، ج3، ص150.

[3]- أبي فارس عبد العزيز بن موسى الوريكالي من أشهر الخطباء بمدينة فاس، عين على مسجد القرويين، عرف بصلابته في الحق، توفي سنة880هـ/1475ـ1476م؛ ينظر: ابن القاضي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح: ابن علوش، الرباط، ص 376.

[4]- مجهول، الذخيرة السنية؛ ص186؛ الزركشي، المصدر السابق، ص156؛ السلاوي، المرجع السابق، ج4، ص99.

[5]- طه علي، المرجع السابق، ص54ـ55.

[6]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص123.

## 4ـــ القناصل:

عرف اليهود في بلاد المغرب الاسلامي بإتقانهم لعدة لغات، فاهتموا بالترجمة وهذا ما أهلهم لأن يشغلوا منصب الوساطة مع دول الضفة الأخرى، ففي عهد بني مرين كان معظم القناصل والسفراء من المسلمين[1]، لكن في أواخر حكم بني مرين ظهر بعض منهم خاصة فيما يخص الاتفاقيات في الجانب الاقتصادي، وبرز دورهم بصفة خاصة في القرن 10هـــ/16م، في فترة حكم الوطاسيين الذين اعتمدوا على اليهود المهاجرين[2]، أشهرهم اليهودي يعقوب روزاليس[3] الذي كان سفيرا من طرف سلطان فاس أحمد بن محمد الثاني إلى جان الثالث ملك البرتغال سنة 935هـــ/1530م لعقد سلام معه[4]، كما أرسل يهودي آخر إلى إسبانيا من طرف سلطان فاس سنة939هـــ/1534م وهو أبراهام القرطبي[5]، وفي القرن 10هـــ/16م جمع معظم اليهود بين السفارة والتجسس لصالح البرتغال من جهة والوطاسيين من جهة أخرى أشهرهم اليهودي داوود رباني[6].

---

[1]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج7، ص252.

[2]- نوال عبد العزيز، المرجع السابق، ص90.

[3]- يعقوب روزاليس من اليهود الذين قدموا إلى بلاد المغرب، اهتم بالتجارة وكان يقيم بين فاس وأصيلا، عرف بمعاملاته مع جنوة خاصة فئة التجار، ويذكر ريكارد بأن هذا اليهودي كان واحدا ممن حملوا الأسلحة إلى المغرب؛ ينظر: R Rcard Contribution à L étude du commerce génois au Maroc durant la période portugaise(1415/1550) Tome3 (A.L.E/O) Alger 1937 p 65.

[4]- نوال عبد العزيز، المرجع السابق، ص90.

[5]- نوال عبد العزيز، المرجع السابق، ص243.

[6]- السلاوي، المرجع السابق، ج4، ص98.

إن سياسة التسامح المبالغ فيها في بلاد المغرب الإسلامي مع اليهودي، كانت سببا في الاحتيال والتواطؤ لخدمة مصالحهم وتسوية وضعية الطائفة اليهودية في بلاد المغرب على حساب المسلمين والفئات الأخرى المشكلة للهرم السياسي والاقتصادي.

فمهام القناصل لم تقتصر فقط على اليهود، فحتى النصارى برزوا في هذا المجال، فنجد القنصل كوكوكريفي Coco GRIFFI الذي كان له دور كبير في استرجاع الامتيازات التي كان يتمتع بها البيزيون فاستعاد فندق زويلة وعاد إلى بلده بهدايا قيمة لحاكم جمهورية بيزا[1]، وفي سنة 665هـ/ تم إنشاء أول قنصلية بمدينة سبتة للجنويين[2]. وفي تونس الحفصية برز عدد من المبعوثين من بينهم برناط ديفونش Bernat Defonche الذي أرسله ابن اللحياني إلى ملك الأرغون وأيضا توماس بيراز الذي بعث إلى الأرغون من أجل تسوية العلاقات بين مملكة الأرغون ودولة بني حفص[3].

أما سفراء بني حفص فكان معظمهم من الأجانب ومن بينهم "دون سانكسو" "DON SANXO" وهو قائد عسكري مايورقي أرسله أبو يحي أبو بكر إلى ملكة السينيور من أجل الإعانة العسكرية سنة 1312م[4].

لم يكن ليهود المغرب الأدنى دور دبلوماسي أو سياسي كما كان الحال في المغرب الأقصى بالرغم من الاستقلال الإداري والاجتماعي، فظل لباسهم يلازمهم حتى العهد المراكشي[5]، وقد كان اليهود المهاجرون القادمون من الأندلس يشكلون موردا اقتصاديا للدولة، لكن رغم ذلك ظلت هذه الفئة بعيدة عن الطبقة الحاكمة، باستثناء اليهودي **"إبراهيم فافا"** الذي استقر في تونس، وقد استعين به لترجمة المعاهدة التي كانت بين

---

[1]- الحسين الغرايب، المرجع السباق، ص245.

[2] -dufourcq Opcit P98.

[3]- جدلة، المرجع السابق، ج2، ص303.

[4]- زينب كرير، المرجع السابق، ص105.

[5]- المراكشي، المصدر السابق، ص252.

فلورانسيا ودولة بني حفص سنة 849هـ/1445م، وكان ذلك بالاشتراك مع مترجمين نصارى[1].

كان لليهود والنصارى دور واضح وأثر جلي في بلاد المغرب الاسلامي، إذ حظي اليهود بمكانة هامة عند سلاطين بني مرين فتقلدوا مناصب هامة وحساسة في الدولة، بينما عني النصارى بالجانب الاقتصادي وربط الاتفاقيات والعلاقات فبرز فيهم السفراء والقناصل، على عكس دولة بني حفص التي أولت اهتماما كبيرا للنصارى فدخلوا البلاط الحفصي، وشاركوا السلطة الحاكمة في تسيير شؤون البلاد، أما اليهود فذكرهم في المصادر التاريخية ضئيل جدا إن لم نقل منعدم خاصة إذا تعلق الأمر بالجانب السياسي.

## ثانيا: الجند المسيحي ودورهم العسكري بالمغربين الأدنى والأقصى:

### 1ـ الدور العسكري للفرق المسيحية بالمغرب الأقصى:

إن دور النصارى في الجانب العسكري لا يقل عن دورهم في الجانب السياسي، حيث عمل هؤلاء على إخماد الثورات والوقوف أمام القبائل الثائرة منذ حكم المرابطين[2]، وأول من استخدم الجند النصارى في الجيش المرابطي هو علي بن يوسف استنادا لماذكره ابن عذارى، إذ يذكر بأن **"علي بن يوسف هو أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وجعلهم يحقدون على المسلمين في مغامرتهم، ويأخذون منهم في نفقاتهم، وأكثر ما يجب عليهم"**[3]، وعمل يوسف بن تاشفين على تغريب النصارى إلى بلاد المغرب منذ سنة519هـ/1124م، فقدر عددهم بحوالي أربعة عشرة ألف مسيحي، وعرفوا بالنصارى المعاهدين،

---

[1]- زينب كرير، المرجع السابق، ص ص 109ـ110.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة...، ج1، ص113.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص ص102ـ103.

وبرز فيهم القائد **الروبرتير**[1] الذي "كان من أقماط الروم"[2]، ويذكر ابن الآبار بأنه "علج لبني تاشفين من كبار قوادهم وأبطال رجالهم"[3]، استطاع التصدي لهجمات الموحدين عدة مرات[4]، وبعض الكتابات التاريخية ترى بأن في وفاة الروبرتير نهاية لحكم المرابطين[5] الذي توفي سنة 539هـ/1144م بمنطقة **تاكوطن تيفسرت** في معركته ضد المصموديين[6]، "فلم يسلم من عسكره إلا ستة نفر، ثلاثة من الروم، وثلاثة من بني وانار، فأما الذين من الروم شوين وغشتون وبطريان ومن بني وانار علي بن الخنوس و يخلف بن الأشنطير و يخلف المكرط"[7]، وقد اعتمد المرابطون على الجند النصارى في جمع الضرائب

---

[1]- الروبرتير"REVERTER": قائد عسكري قشتالي ، استقدم من إسبانيا من طرف المرابطين الذين استخدموه كقائد لكتائب النصارى والحرس الشخصي للأمير المرابطي، عرف بإخلاصه الشديد لدولة المرابطين وشارك ضمن جيش تاشفين بن علي في التصدي للموحدين في منطقة سوس. وخلفه ابنه الذي اندمج مع الموحدين؛ ينظر: القادري بوتشيش، تاريخ المغرب الإسلامي (قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة)، ط1، دار الطليعة، بيروت، ص101؛ DEVERDUN Marrakech des origines à 1912 T1 Rabat 1952 P138.

[2]- ابن القطان، نظم الجمان...، ص 140.

[3]- ابن الآبار، الحلة السيراء...، ج2، ص109.

[4]- ابراهيم حركات، الجيش المغربي في عهد بني مرين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع8، الرباط، 1982، ص19.

[5] -DEVERDUN Opcit P138.

[6]- البيدق، المصدر السابق، ص57.

[7]- نفسه، ص58.

وأداء الجبايات[1]، وساعدوهم في حراسة القوافل التجارية في الطرق المؤدية إلى السودان الغربي[2].

وعند قيام الدولة الموحدية وفي زمن حكم ابن تومرت، أبعد الذميون من الجيش الموحدي، خاصة الروم و النصارى وهذا لا يعني غيابهم تماما وإنما وجدت جماعة من الجند المسيحي بتارودانت[3]، وساعد الجند النصارى عبد المؤمن بن علي في الدخول إلى مراكش سنة 541هـ/1171م، وفي الأغلب هم من كانوا في الجيش المرابطي[4]، وبلغ الجند النصارى أهمية كبرى في عهد المأمون الموحدي الذي قام بعقد اتفاقية مع فرديناند الثالث "FERDINAND 3" لتزويده بفرق من النصارى للسيطرة على الحكم ببلاد المغرب[5]، لكن فيما بعد أصبح هؤلاء الجند يميلون إلى كل فئة تضمن لهم العطاء والمرتبات خاصة وأن هذه الفترة عرفت بتدهو الأوضاع في البلاد واشتداد المنافسة حول الحكم[6].

بالرغم من محاولة الموحدين في بداية الحكم استئصال شوكة النصارى، إلا أنه مع مرور الزمن أصبح للجند المسيحي شأن ودور هام في إخماد بعض الفتن، إذ حارب الخليفة الموحدي المرتضى الثائر علي بن يدر بالاستعانة بالقائد النصراني دنلب DUNLOP وهو من الكتائب العسكرية القشتالية التي كانت آنذاك بالمغرب الموحدي[7]، ويذكر ابن عذارى بأن الخليفة الرشيد الموحدي استعان بالجند النصارى في معركة مراكش وكانت الغلبة للرشيد بفضل

---

[1]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص84.

[2]- مصطفى نشاط، المرجع السابق، ص118؛ محمد القبلي، مراجعات حول الثقافة والمجتمع بالمغرب الوسيط، الدار البيضاء، 1987، ص71.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص402.

[4]- مؤلف مجهول، نفسه، ص146.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص113.

[6]- ابن عذارى، المصدر نفسه، ص275؛ مصطفى نشاط، المرجع السابق، ص120.

[7]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص350.

مهارة الكتائب المسيحية[1]، وتمكن القائد **ابن القمط** وهو من الفرق القشتالية من وضع حد للأمير المريني **أبو معرف محمد** في معركة وقعت بين الموحدين والمرينين[2].

وبقيام دولة بني مرين التحق بعض الجند المسيحي لخدمة البلاط المريني، فمنهم من كان في الجيش الموحدي وبضعف الدولة وعجزها عن تسديد الرواتب انتقل إلى خدمة بني مرين[3]، وهناك فئة من النصارى الذين قدموا من المغرب الأوسط بعد التمرد على يغمراسن بن زيان سنة 652هـ/1254م[4]، كما قام بني مرين بعقد اتفاقيات مع الأرغون لجلب الكتائب النصرانية سنة703هـ/1303م مقابل عشرة آلاف دينار ذهبي[5]، وإثر هذه الاتفاقية برز القائد سيقي" SEGUI" وشقيقه القائد كيَيم "GUILLEM"، والذين ساهموا في خدمة السلطة المرينية[6].

لم يقتصر دور الكتائب المسيحية في الجيش المريني على الجانب العسكري وحسب بل ساهمت أيضا في جباية الخراج بقيادة القائد النصراني بريز دي قزمان" BRIS DE GUZMAN" الذي حاول السلطان أبي يعقوب المريني التخلص منه لكن هذا الأخير لاذ بالفرار مستنجدا بملك قشتالة[7]، ووقف الجند النصارى إلى جانب المرينيين في حصار مدينة تلمسان[8]، كما وقفوا إلى جانبهم عند محاولتهم السيطرة على سجلماسة[9]. وفي سنة

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص284.

[2]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية...، ص173.

[3]- ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص19.

[4]- يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، 1980، ص

[5] -Dufourcq Opcit P 363.

[6] -Ibid P373.

[7]- مصطفى نشاط، المرجع السابق، ص123.

[8] -Dufourcq Ibid P 304.

[9]- مؤلف مجهول، الذخيرة السنية...، ص139.

710هـ/1310م انضمت فرقة من النصارى إلى الوطاسيين سعيا منهم لخلع السلطان المغربي، لكن محاولاتهم باءت بالفشل خاصة بعد وفاة القائد كونزالو سانشيز دي ترونكوس "GONZALO SANCHEZ DE TRONCONES".

وكانت فترة حكم أبي عنان فترة انفتاح، وقد شهدت تزايد عدد النصارى بالمغرب[1] وذلك نتيجة الاتفاقيات المبرمة مع الدول الأوربية، فقد استخدمهم في الحملة ضد دولة بني حفص[2]، فيذكر النميري بأنهم اتجهوا إلى إفريقية بأعداد تهد الأرض هدا وتسد الأفق[3]، وبعد وفاة السلطان أبي عنان أصبح الجند النصارى يخدمون كل فئة تضمن لهم العطاء وكانوا سببا في الصراعات والنزاعات التي شهدتها دولة بني مرين في أواخر الحكم[4].

## 2ـ دور الفرق العسكرية بالمغرب الأدنى:

اقتصر دور الجند المسيحي في دولة بني حفص على الحرس الخاص، إذ كانوا يسهرون على حماية السلطان ويدافعون عنه[5]، فغالبا ما كانوا يقتربون من السلطان وظلوا محافظين على ديانتهم و لم يتحملوا أية وظيفة باستثناء الحراسة الخاصة للسلطان[6]. كان معظمهم من الجند القطالانيين[7] خاصة في الفترة الممتدة من 647هـ-725هـ/1250م-1325م، وكان لهؤلاء الجند حرية ممارسة شعائرهم الدينية وأعفوا من دفع الضرائب[8]، كما أنهم كانوا

---

[1]- المنوني، المصدر السابق، ص291.

[2]- النميري، فيض العباب...، ص63.

[3]- نفسه، ص63.

[4]- السلاوي، المرجع السابق، ج4، ص ص38ـ42.

[5]- برنشفيك، المصدر السابق، ج1، ص191.

[6]- إبراهيم جدلة، المجتمع الحضري بإفريقية في العهد الحفصي، مطبعة قطيف، قفصة، 2010، ص207.

[7] -Dufourcq opcit P

[8]- برنشفيك، المرجع السابق، ص196.

يتقاضون مرتبات مغرية[1]، فكان قائد الميليشيا يتقاضى يوميا 1000درهم منها 700درهم تدفع لملك الأرغون، أما الفارس فيتقاضى 30درهم منها 5دراهم تدفع للملك، في حين تراوح مرتب حامل السلاح بين 15 و25 درهم، أما ملك الأرغون فكان يحصل على حوالي 20 ألف درهم سنويا[2]، كما اشترط ملك الأرغون على تونس أن يحمل قائد المليشيا علم الأرغون ووافقه في ذلك سلطان بني حفص، وتولى هذه المهمة القائد "بيرنقردي كاردونا" "BERNGUER CARDONA"[3].

إن حمل الراية الأرغونية في دولة بني حفص، وممارستهم الشعائر الدينة، واقتصار وظيفتهم على حماية السلطان، ماهو إلا دليل على الاستقلالية والحرية التي تمتع بها الجند النصارى في إفريقية.

كان الجند النصارى ميالين إلى الجهة القوية بالإضافة إلى المغريات وقيمة الراتب كان عاملا مهما لتحديد الجهة التي يوالونها، مثلما حدث في بجاية، حيث حاولت الانفصال عن تونس سنة684هـ-709هـ/1285م-1309م، فاستغان أهلها بالكتائب العسكرية الأرغونية التي وقفت ضد الجيش الحفصي[4].

في عهد السلطان ابن عمرو عثمان بلغ الجند النصارى شأنا عظيما، إذ منحهم امتيازات خاصة دون مراعاة للمجتمع الحفصي[5]، ورفع عنهم الضرائب وهذا ما أثارسخط وغضب العامة من الناس، فظهرت الفتن والنزاعات، ورغبت بعض المدن في الاستقلال بعيدا عن حكم بني حفص.

---

[1]- جدلة، المرجع السابق، ص168.

[2] -Dufourcq Ibid P103.

[3] -Ibid P412.

[4]- صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص249.

[5]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص168.

كان للنصارى دور هام في دولة بني حفص، إذ وصل بهم الأمر إلى تعيين قائد مسيحي على رأس الكتيبة مثلما حدث مع القائد الأرغوني بيرنقري كاردونا كما ذكرنا سابقا وكان ذلك وفق اتفاقية بين السلطان الحفصي و ألفونسو الثالث ملك الأرغون، فقد كانت له فرقة تتكون من سبعين فارس، بالإضافة إلى فرق تابعة له في كل من قسنطينة وبجاية[1].

لقد عمل سلاطين بني حفص على تعيين أفراد الفرق الخاصة التي تسهر على حمايتهم، فيحين قائد الفرقة يكون وفق اتفاقية بين الملك المسيحي والحفصي، وهو بدوره له صلاحية اختيار قادة الفرق التابعة له دون الرجوع الى استشارة سلطان بني حفص.

**ثالثا: موقف العامة والخاصة من التواجد الذمي:**

عرف مجتمع المغربين الأدنى والأقصى بالتسامح واللين مع أهل الذمة، وذلك وفقا لما أملته الشريعة الإسلامية من فرائض ونصائح تجاه هذه الفئة، إلا أن الامتيازات التي حضي بها أهل الذمة في بلاد المغرب الإسلامي ، جعلت المواقف تتعدد من جهة إلى أخرى.

## 1ـــ الوجود المسيحي:

إن موقف العامة من الوجود النصراني بالمغرب الأدنى والأقصى تميز بالاستصغار والاحتقار تجاه هذه الفئة، وقد يعود ذلك إلى الحساسية الدينية التي كانت بين الطرفين، ففي المغرب الأدنى أصبح المجتمع الحفصي ينعت النصارى بمصطلح "ايفريخان" وهي في حقيقتها تطلق على فرخ الطيور بينما يذكر البيدق أنها كانت تطلق على الجند النصارى[2]، ولا شك أن الكلمة هي أصل كلمة FARFANES التي أطلقت فيما بعد في إسبانيا على أعقاب النصارى الذين عادوا إلى أوطانهم[3]، ونعتوا أيضا بالقدحي أي الابن غير الشرعي على حسب ذكر

[1]- إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص208.

[2]- مصطفى نشاط، المرجع السابق، ص132.

[3]- هوبكنز، المرجع السابق، ص148.

خوسيه اليماني[1]، ومنه نستنتج أن عامة الناس في بلاد المغرب الإسلامي كانت لها نظرة ساخطة على هذه الفئة من المجتمع، خاصة وأن سلاطين الدويلات الناشئة عن انهيار الموحدين ميزوهم بامتيازات خاصة دون المسلمين.

أما موقف الطبقة الحاكمة في بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغربين الأدنى والأقصى بصفة خاصة، فقد تعددت وتنوعت، ففي بداية حكم الموحدين وبالضبط في فترة حكم عبد المؤمن بن علي انتهج سياسة عدائية ضد اليهود والنصارى[2] بحجة أنهم أقوام نجسة وأنهم أعداء الموحدين والمسلمين[3]، فهم يظهرون شيئا ويخفون الحقد والكراهية للمسلمين استنادا إلى الآية الكريمة:" إن تمسسكم حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها"[4]، وأصدر أوامر في أنحاء الدولة الموحدية بتخيير اليهود والنصارى بين الجلاء عن البلاد أو اعتناق الإسلام[5]، وفي عهد المأمون الموحدي تمتع النصارى وغيرهم من اليهود بالحرية، وسمح لهم ببناء كنيسة بحاضرة الدولة مراكش[6].

أما في فترة حكم بني حفص بالمغرب الأدنى فنظر العامة إلى النصارى نظرة استصغار واحتقار، وكلما سمحت لهم الفرصة قاموا بالتقليل من شأنهم، فتذكر بعض الروايات بأن نصراني تلفظ بعبارات تسيء للمؤذن الذي كان بقرب حي النصارى، لكن السلطة لم تتخذ أي إجراء ضده هذا مازاد في شدة الحساسية بين المسلمين والنصارى[7]، لكن المعاملة الخاصة

---

[1]- خوسيه اليماني، الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، تر: أحمد مدنية، مجلة دعوة الحق، ماي 1978، ص40.

[2]- عبد الله غلام، المرجع السابق، ص.

[3]- صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب، منشورات وزارة الثقافة والسياحة مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، ص71.

[4]- سورة آل عمران، الآية 12.

[5]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص72.

[6]- نفسه، ص74.

[7]- الأبي أبو عبد الله محمد، إكمال الأكمال، ج2، القاهرة، 1328، ص198.

التي لقيها النصارى من سلاطين بني حفص أجبرت عامة الناس على ضرورة التعامل معهم بطرق حسنة، وأن لا يؤذوهم خاصة وأنهم مورد هام لدولة بني حفص سواء تعلق الأمر بالجانب الاقتصادي أو العسكري، وما يؤكد هذا هو موقف ابن اللحياني(1311ـــ1317م) الذي طلب منه صديقه في الدراسة الصوفي القروي قائلا له:" يا فقيه لا يجوز لك ذلك، وذكره بقاعدة من قواعد الفقه المالكي تقول بأن الله حرم الإستعانة بمشرك"، فكان جواب السلطان هو:"أجل" ثم انصرف[1]، وأثناء هذه الحادثة كان أناس كثيرون لكنهم لم يقوموا بأية رد وكان هذا الوقع بالقرب من ضريح سيدي محرز[2].

في نهاية القرن 9هـ/15م تمكن النصارى من امتلاك إقطاعات خاصة بهم، وشاركوا العرب المسلمين في عاداتهم وملابسهم، مع المحافظة على ديانتهم إذ كانت لهم كنيسة خاصة بهم تقرع فيها الأجراس يوميا[3]، كما كان للنصارى قناصل يتمتعون بمكانة مرموقة وفق معاهدات أبرمت بين السلطان والدول الأوربية، ولهم الحق في مقابلة السلطان كل شهر، وقد كان للقنصل حق في حل الأمور المدنية والجنائية للرعية النصرانية دون العودة إلى القضاء الحفصي[4]، إلا أن قضاة دولة بني حفص لم يتنازلوا بسهولة عن القضايا العالقة بين المسلمين والنصارى، وطالبوا بضرورة العودة إلى القضاء الحفصي لحل النزاعات القائمة بينهم خاصة إذا تعلق الأمر بالجانب الاقتصادي والجانب الجزائي[5]، فلجأت السلطتين الحفصية والأوربية إلى وضع اتفاقيات تخدم الطرفين، لكن غالبا ماراح مسلمو دولة بني حفص إلى خرقها مما أدى إلى إثارة النصارى خاصة الجنويين الذين طالبوا من السلطان أبي فارس الحفصي بمعاقبة كل تونسي

---

[1]- الأبي أبو عبد الله محمد، المصدر السابق ، ج4، ص355.

[2]- برانشفيك، المرجع السابق، ج1، ص477.

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج3، ص173.

[4]- محمد لحول، القضاء بإفريقية في العهد الحفصي، المعهد العالي للعلوم الإنسانية، تونس، 2013، ص191.

[5]- نفسه، ص192.

يقوم بخرق الاتفاقية[1].أما في المدن التجارية بإفريقة التي لم يكن بها قناصل، فكان جميعهم يخضعون للناظر المكلف بإدارة الديوان، والمسؤول عن حماية مصالح النصارى، فكان من واجبه السهر على توطيد العلاقة بين الأهالي والنصارى القادمين إليها[2].

إن موقف المسلمين في المغربين الأدنى والأقصى يختلف من طبقة إلى أخرى، فطبقة العامة والأهالي كانت تنظر إليهم نظرة استصغار واحتقار، خاصة بعد الاتفاقيات والمعاهدات التي كانت بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي والتي غالبا ما كانت تخدم النصارى، وهذا ما ظهر جليا في دولة بني حفص، إذ تقرب المسيحيون من سلاطينها، وحظوا بمكانة هامة في البلاط الحفصي، حتى أصبحت نساؤهم ترتدي نفس زي المسلمات وتحضر في مناسباتهم الدينية والرسمية مع الحفاظ على شعائرهم الدينية.

## 2ــ اليهود:

إن الحقوق التي أولتها الشريعة الإسلامية لليهود، مكنتهم من الحصول على مكانة هامة في المجتمع المغربي، كما ساعدت على تحسين ظروفهم المعاشية خاصة الاقتصادية، فاستغل اليهود سياسة التسامح وراحوا يسعون جاهدين إلى تحقيق أهدافهم في المغربين الأدنى والأقصى خاصة في عهد بني مرين، فتعددت المواقف وتضاربت حول تواجدهم بالمغرب الإسلامي.

كان اليهود في المغرب الأدنى يعيشون في شكل جماعات مكونة من مجموعة من العائلات، وإن أصبح فيها عشرة ذكور أصبح لهم الحق في تعيين طائفة نظامية بشرط أن تعترف بها السلطة الرسمية في دولة بني حفص[3]، وفي نزاعاتهم وصراعاتهم يعودون إلى القضاء

[1]- برانشفيك، المرجع السابق، ج1، ص ص467ــ 468.

[2]- محمد لحول، المرجع السابق، ص 193.

[3] R.Brunchvig La Berberie Oriental Sous Les Hafsides Des Originisa La fin du XV siecle LInstitut d étude orientales d Alger T premier Paris 1940 P 400.

الحفصي[1]، فكان غالبا عقاب صاحب العبارة الجارحة تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الدين الإسلامي القتل، مثلما حدث في عهد ابن القطان الذي كان قاضيا للجماعة بتونس، الذي أصدر حكما بالإعدام بحق يهودي شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، أما اليهودي ان اعترف بخطيئته فكان يسلط عليه العقاب، و لم يتسامح المسلمون في نوع العذاب الموجه إلى اليهود[3]، لكن مع مرور الوقت أصبح موقف الحفصين من اليهود يعرف نوعا من الانفتاح والتسامح، ففي سنة 803هـ/1400م عندما كان الغبريني قاضيا للجماعة بتونس لم يتشدد في نوعية العقاب مع اليهودي الذي تقدموا بشكوى ضده بحجة أنه شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم واكتفى فقط بإلقائه في السجن دون تسليط العقاب عليه والمتمثل في الجلد[4]. وهذا لا يعني بأن اليهود لم يكن لهم من يلجؤوا إليه من أبناء جلدتهم فقد كان هناك الحبر وغالبا ما كان يعرف بالديان، فله الحق في حل القضايا العالقة بين أبناء طائفته، أما إذا تعلق الأمر بالقضايا بين المسلمين واليهود فوجب عليه ضرورة العودة إلى السلطة الحفصية خاصة القضاة[5]، لكن اليهود وكما ذكرنا سابقا تميزوا بالاحتيال فكانوا يظهرون شيئا ويخفون آخر، إذ سعوا إلى محاولة تطبيق التلموذية بين يهود إفريقية، فقد كانوا جد ناقمين على ما آلت إليه الطائفة اليهودية جراء الاندماج مع طبقة المسلمين في المجتمع الحفصي[6]، فأصبح الحبر اليهودي يمثل الهيئة الرسمية ويقوم بمهام الشرطة وجمع الضرائب[7].

---

[1] R.Brunchvig opcit ,p400

[2] - الأبي، المصدر السابق، ج4، ص435.

[3] - الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص281ـــ282؛ البرزلي، المصدر السابق، ج5، ص242.

[4] - برانشفيك، المرجع السابق، ج2، ص439.

[5] - محمد لحول، المرجع نفسه، ص 194.

[6] - Brunchvig Opcit P 451

[7] - Ibid PP 449- 450.

## 3ـــ موقف العلماء من امتيازات اليهود :

إن ضعف السلطة في بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، زادت من قوة شوكة اليهود الذين استعلوا على الإسلام و المسلمين، فتواطؤوا مع حكام بلاد المغرب خاصة بني مرين، وسيطروا على الجانب الاقتصادي[1]، واحتكروا التجارة الصحراوية وأنشؤوا البيع واستغلوا سماحة الدين الإسلامي فأصبحوا يمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية، فالوضعية التي آل إليها اليهود في بلاد المغرب الإسلامي أثارت آراء العلماء والفقهاء التي تراوحت بين معارضين ومؤيدين، وعلى رأسهم العلامة محمد عبد الكريم المغيلي[2]

[1]- مقلاتي عبد الله، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مجلة الحقيقة، ع6، جامعة أدرار، 2005، ص258.

[2]- العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي عالم وفقيه، نعته صاحب البستان : "خاتمة المحققين، الإمام العلامة المحقق الفهامة القدوة الصالح السني الحر، أحد أذكياء العالم ، وأحد أفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم والنسبة في الدّين، المشهور بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم"؛ ينظر: ابن مريم ، البستان...، ص256؛ أصله من مغيلة إحدى القبائل التي سكنت بالقرب من تلمسان، تعلم وتفقه على يد أبرز علماء تلمسان، ومن بينهم: محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المعروف بالجلاب، دخل في صراع مع اليهود بمنطقة توات لأسباب دينية وأخرى سياسية واقتصادية؛ ينظر: أحمد بابا التمبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج2، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ليبيا، 1989، ص ص 264.268 ؛ محمد بن عسكر الشفشاوي، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ط2، الرباط، المغرب، 1977، ص130؛ عبد القادر زبادية، التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، مجلة الأصالة، ع26، مطبعة البعث، الجزائر، 1973، ص205؛ عبد القادر ميلق، دور محمد بن عبد الكريم المغيلي في مقاومة يهود توات، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2012، ص ص 97.98.

المعروف بشدة الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]، فالشيخ المغيلي لم يرض عن تصرفات اليهود الذين سيطروا على الجانب الاقتصادي والسياسي خاصة في منطقة توات[2]، والذي رأى بضرورة هدم كنائس اليهود[3]، إلا أن العلامة عبد الله العصنوني (927هـ/1520م)[4] قاضي منطقة توات خالفه في الرأي وأقر كنائس اليهود بتوات وعدم هدمها[5]، فراسل علماء فاس وتلمسان في قضية اليهود بتوات، ووصف المغيلي وولده بأنهما مشاغبان يحاولان إثارة الفتنة في الإقليم[6].

[1]- ابن فرحون، نيل الابتهاج على هامش الديباج ...، ص 230؛ عبد الله حمادي الإدريسي، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني و تصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، ط1، الجزائر، 2011، ص 42.

[2]- توات: مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الغربية، وهو بدوره ينقسم إلى ثلاثة أقاليم: تينجورارين، توات، تيدكلت؛ ينظر: محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص28.

[3]- محمد الأمين بوحلوفة، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي 914هـ/1508م، إشراف: بوركبة محمد، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،جامعة وهران، 2013ـ2014، ص120.

[4]- عبد الله العصنوني: هو علي بن محمد بن يحي بن صالح المغيلي العصنوني التلمساني، توفي سنة 927هـ/1520م، سكن تمنطيط وكان قاضيا على أهل توات، وبعد موته دفن بمنطقة خارج القصور تسمى بوفادي؛ ينظر: أحمد بن محمد أبي العافية المكناسي ابن القاضي، لقط الفرائد من حقق الفوائد،ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص842.

[5]- عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص9.

[6]- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص216.

من علماء فاس وتلمسان الذين استفتاهم في هدم البيع وكسر شوكة اليهود، نجد **الحافظ التنسي**[1]:التي وصفها ابن مريم بالسداد والصواب و الابتعاد عن الهوى، و اتهم من خالفه بالزيغ والتملق والعطف على اليهود[2]. كما أعلن العلامة بن يوسف **السنوسي التلمساني**[3] عن تأييده للمغيلي من خلال رسالة وجهها إليه قائلا فيها: " بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقد بلغنا أيها السيد الكريم ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية من تغييركم أحداث اليهود أذلهم الله تعالى وأخمد كفرهم ببناء كنيسة في بلاد المسلمين وأنكم حرضتم أهل تمنطيط على هدمها فتوقفوا من جهة من عارضكم في ذلك من أهل الأهواء...أعلم أخي أني لم أر من وفق لإجابة هذا المقصد، وبذل وسعيه في تحقيق الحق و شفيّ أهل الإيمان في هذه المسألة سوى الشيخ الإمام القدوة علم الأعلام الحافظ المحقق أبي عبد الله بن جليل التنسي [(4)] ...فإنه جزاه الله خيرا، فقد مد في إبانة الحق ونشر أعلامه النفس، وحقق نقلا وفهما ...فليعول أهل تمنطيط وغيرهم من أهل الإسلام على ما أبداه من الحق في ذلك الجواب، ولينبذوا ما خالفه إن أرادوا الفوز بشرف الإسلام و إعزازه وإجابة الصواب، والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين للتمسك بالحق ..."[(5)].

---

[1]-هو الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، توفي سنة 899هـ/1493م، من مؤلفاته: نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان، ومؤلفات أخرى كما له مجموعة من الفتاوى ورد بعضها في كتاب المعيار للونشريسي؛ ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص134ـ137.

[2]- هو الفقيه الجليل المحقق أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي نسبة الى قبيلة بني سنوس الواقعة بحوز تلمسان ولد سنة 830هـ/1426م وتوفي سنة 895هـ/1489م، من مؤلفاته شرحه الكبير على الحوفية سماه المقرب المستوفى، وعقيدة التوحيد والعقيدة الوسطى، وغيرها من المؤلفات؛ ينظر: ابن مريم، المصدر نفسه، ص ص 412ـ429.

[3]- نفسه، ص 249 .

[4]- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمد بو عبد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص ص 248ـ249 .

[5]- المغيلي، المصدر السابق، ص 71 .

ومن علماء المغرب الأقصى الذي راسلهم الشيخ المغيلي **ابراهيم بن عبد الجبار بن أحمد بن موسى الورتدغيري الفجيجي**[1]، وأعرب العلامة عن موقفه بتأييد الشيخ المغيلي حتى أنه ترك قصيدة يهجوا فيها أهل توات المخالفين لموقف المغيلي من هدم كنائس اليهود فذكر قائلا:

أيا قاطني توات اصغوا إلى قولي.....فقد أن أبوح بالبعض والكل

أأنتم على ديـــن النبي محمد.....أم القوم واليهود شكل إلى شكل؟

فما بالكم شرفـــتموهم عليـــكم.....والإسلام أولى أن يشرف في الأصل

فإن كان هذا رأي فـــقيهكم .....فما الظن بالسفيه وناقص العقل[2]

مما سبق نستنتج أن العلامة الفجيجي المغربي أبدى تأييده لهدم كنائس اليهود وهذا ما رآه ابن سهل الذي أفتى في هذا الأمر قائلا:" ...وليس في شرائع الإسلام إحداث أهل الذمة من اليهود والنصارى كنائس ولا شنوعات في مدائن المسلمين وبين ظهرانيهم"[3].

كما راسل فقيه فاس **أبو مهدي عيسى بن أحمد المواسي**[4] الذي رد عليه قائلا: "...إن منزلة توات وغيرها من قصور الصحراء، وهي كلها ديار الإسلام فلا تبتغي المسامحة بإقرار الكنائس فيها للكفار، وإن قال به جماعة من العلماء، إلا أن يكون ذلك شرطا لهم في عقود جزيتهم فيوفى لهم مما عوّد لهم في جزيتهم هذا مذهب المدونة، وهو قول بن القاسم المعمول به والمعروف له فلا يحسن العدول عنه مع ظهوره ووضوح وجهه، إلا أن يفتي عند

---

[1]- هو الفقيه الشاعر الأديب إبراهيم بن عبد الجبار بن أحمد بن موسى الورتدغيري، من بلاد فجيج الواقعة في الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى، ولد سنة 860هـ/1455م وتوفي سنة 954هـ/ 1547م، وكان من أشد المؤيدين للإمام المغيلي؛ ينظر: محمد بوزيان بن علي فجيج، أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي، ط1، دار النشر الجسور، وجدة المغرب، 2000، ص84.

[2]- محمد بوزيان بن علي فجيج، المرجع السابق، ص99.

[3]- ابن سهل، المصدر السابق، ج2، ص257.

[4]- هو الفقيه أبو مهدي عيسى بن أحمدبن مهدي المواسي البطيوي الفاسي، مفتي فاس وأحد شيوخها توفي سنة 896هـ/1491م؛ ينظر: أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص299.

هذا المفتي بتقرير الكنائس المذكورة أن حدوثها كان شرطا مشروطا لليهود في عقد جزيتهم، كما جرى العمل بذلك في كثير من بلدان الإسلام، فتصحح فتواه ويحسن تقريره لموافقته للمشهور..."[1].

من هذا القول نستنتج أن الشيخ المواسي لم يوافق على بناء اليهود للكنائس والبيع، فهم في بلاد المسلمين ووجب عليهم دفع الجزية والعيش في البلاد الإسلامية وفق ما تمليه عليهم الشريعة الإسلامية، خاصة وأن الشروط العمرية تنص على ضرورة احترام اليهود والنصارى للبلاد التي هم فيها[2].

أما علماء تونس فقد راسل الشيخ الفقيه مفتي تونس **الرصاع**[3] إذ يذكر الونشريسي بأن الفقيه لم يجب عن النازلة بصفة عامة، وإنما أجاب عن رسالة موجهة إليه بخصوص مسألة بناء الكنائس فيقول: سألني بعض الفضلاء الأخيار عما يشتريه أهل الذمة من أراضي المسلمين المبتدعة على أيدي المسلمين أعانهم الله ليس لأهل الذمة أن يشترطوا بناء الكنائس في تلك الأراضي المذكورة، وليس للمسلمين أن يبيعوا الأرض المملوكة أو المبتدعة للكنائس بوجه، ولا مانع لهم من شراء ما يبنونه لسكناهم وهم يؤدون الجزية وهو تحت ذمة المسلمين، وإيذايتهم ومنقصة أموالهم وحيوانهم وبهائمهم لا يحل ذلك فإنهم تحت ذمة المسلمين وجزيتهم بسنة المسلمين، تؤخذ منهم طوعا وكرها، ولا يقصدون بأذية، وإذا

---

[1] ابن مريم ، البستان...،ص 254 ؛ المغيلي، المصدر السابق، ص 69.

[2] ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة...، ص؛ نفسه، الشروط العمرية...، ص. محمد الأمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص125.

[3] هو محمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري مفتي وقاضي الجماعة بتونس، توفي 894هـ، من مؤلفاته تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين وشرح حدود ابن عرفة وغيرها؛ ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص560، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص274ـ276.

صارت الأرض المذكورة على ملكهم دون اشتراط لأماكن يعبد فيها غير الله تعالى فلهم أن يتصرفوا فيها ببناء ما يحبون والسلام"[1].

إن المفتي الرصاع من خلال ماذكرنا سابقا نجده معارضا لهدم كنائس اليهود إذا كانت في أرض أصبحت ملكهم، وبهذا فهو يخالف الشيخ المغيلي الذي طالب بضرورة هدم كنائس اليهود، كما كان هذا الموقف لصالح الشيخ العصنوني مفتي توات، ومن خلال دراستنا لوضع اليهود والنصارى بتونس نجد أن غالبية المجتمع التونسي لزم موقف الحياد تجاه هذه الفئة لما لها من مكانة خاصة وأنها تعتبر موردا اقتصاديا هاما للدولة.

كما أجاب العلامة الونشريسي (ت914هـ/1508م) المغيلي في كتابه المعيار بخصوص مسألة التوات، و هي كالتالي:

"قلت: الحق الأبلج الذي لا شك فيه ولا محيد عنه أن البلاد التواتية وغيرها من قصور الصحراء النائية المسامتة لتلول المغرب الأوسط المختطة وراء الرمال المتلهبة التي لا تنبت زرعا و لا ضرعا بلاد إسلام باختطاط، لا تتقرر الملاعين اليهود-أبعدهم الله- فيها كنيسة إلا هدمت باتفاق ابن القاسم والغير، ولا حجة لهم في الحوز الأعم من الإذن الشرعي المعتبر وعدمه... فإنّه دليل واضح ما أحدثه ملاعين اليهود بالقصور التواتية وغيرها من بلاد الجريد المسامتة لتلول المغرب الأوسط لا تقرّ بل تهدم ..."[2].

ومن علماء تلمسان الذين عارضوا المغيلي في فتواه **القاضي أبو زكرياء**[3] الذي يرى بأن حكم المغيلي مجرد فتوى.

---

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص229؛ حمّادي الإدريسي ، المرجع السابق، ج2، ص ص 65.66.

[2] الونشريسي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص231.235 .

[3] هو الفقيه والقاضي أبو زكرياء يحي ابن عبد الله بن أبي البركات الغماري التلمساني المتوفى سنة 910هـ/1504م، كان قاضيا للجماعة بتلمسان؛ ينظر: ابن القاضي، لفظ الفرائد...، ج2، ص818؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص439.

وقد كان القاضي أبي زكرياء متشددا مع قرار هدم الكنائس[1]، ووافقه في ذلك **مفتي تلمسان بن زكري التلمساني**[2] الذي رد على الفتوى قائلا: "هدم الكنائس المسؤول عنها لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية على رأي المحققين ...والتشغيب فيها من عدم التحقيق في أصول من المسائل"[3].

و رحل العلامة إلى فاس لمناظرة علمائها بعد أن راسلهم برسالته المشهورة بـــ: "مصباح الأرواح في أصول الفلاح "، التي تركت أثرا عميقا لدى علماء فاس، واستقبله ابن أبي زكريا الوطّاس المريني بحفاوة كبيرة[4]، إلا أنّ أغلب الفقهاء عارضوا موقف المغيلي من يهود توات وهناك من أطرى عليها معربا عن شجاعة المغيلي في تصدّيه للشرذمة اليهودية[5].

و لّما وصلت إجابة الشيخ التنسي ومعها رسالة الشيخ السنوسي، أمر الشيخ المغيلي تلاميذه وأنصاره بتخريب كنيسة اليهود ودخل في حرب معهم منذ سنة 882هـ/1477م، بدعم من القبائل التي رحبت بطرد اليهود من المنطقة، وقاموا بتخريب كل مكان يتعبد فيه اليهود[6]، فبإعلان الشيخ الثورة على اليهود نجده يدخل في صراع مع الشيخ العصنوني وأنصاره، فلم تبقى القضية مجرد نازلة أو حكم فقهي، وإنما زادت حدتها، حتى أصبح اليهود يفرون إلى المناطق المجاورة، فقام الشيخ المغيلي وراسل ملك كانوا بضرورة سجن اليهود

---

[1] محمد الأمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص124.

[2] هو العلامة الجزائري مفتي تلمسان أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري التلمساني توفي سنة 899هـ/ 1493م، من مؤلفاته:شرح عقيدة ابن الحاجب وغيرها من المؤلفات، وكان بينه وبين الشيخ السنوسي نزاعات في مسائل عدة ومشاحنات، فكان كل واحد منهما يرد على الآخر؛ ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص111ـــ116.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص218.

[4] المغيلي محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق، ص 14 .

[1] نفسه، ص 102 .

[6] محمد الأمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص126.

الفارين إليه، لكن الملك هو الآخر رفض ذلك، فخاطب الشيخ المغيلي السّكان قائلا :" من يقتل يهوديا فله سبعة مثاقيل من مالي الخاص"[1].

بعد استقرار الأوضاع بمنطقة توات، قرر الشيخ المغيلي السفر إلى بلاد السودان الغربي لنشر الإسلام، لكن الإقليم بعد هذه الحادثة عرف تدهورا خاصة في الجانب الاقتصادي[2]، فاليهود كان لهم نشاط في الجانب الصنائعي والحرفي الذي يعود بالزيادة على اقتصاديات الإقليم، هذا لم يرق للقبائل الرافضة لفتوى المغيلي وأنصار العصنوني، ليعود المغيلي بالثورة مجددا على اليهود بعد مقتل ابنه، لكن هذه المرة لم تكن الكفة للمغيلي، فواجهه عمر بن عبد الرحمان، وهلك الكثير من أنصار المغيلي، فاضطر المغيلي للجوء إلى إحدى القبائل حتى وافته المنية سنة 909هـ[3].

إذن فتساهل سلاطين دويلات بلاد المغرب الإسلامي هي التي جعلت اليهود يتطلعون إلى العلو والتفاخر، خاصة في النشاط الدبلوماسي من خلال بعثهم للدول الأوربية أو الاعتماد عليهم لاستقبال الوفود القادمة بحجة أنهم يتقنون الكثير من اللغات فهذا ليس عمل كافي حتى يسمح لهم بالتدخل في أمور الدولة بل وجب الحذر و التقصي، وإلزامهم بما لهم وما عليهم وفقا لشروط أهل الذمة.

### 4ـ الجدل الديني:

رغم الامتيازات التي حظي بها اليهود في بلاد المغرب الإسلامي والتسامح الذي لقوه من المجتمع المغربي من جهة والسلطة الحاكمة من جهة أخرى إلا أنهم ظلوا يسعون دائما للحفاظ على دين أجدادهم والتمسك بمعتقداتهم، مما جعلهم يدخلون في جدال ديني مع مختلف علماء المغرب الإسلامي.

---

[1] المغيلي، المصدر السابق ، ص14 .

[2] مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص258.

[3] مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص265.

في دراسة تاريخ اليهود بالمغرب الإسلامي، نجد أنهم أتقنوا اللغة العربية، حتى أضحت أداة لكتابتهم في مختلف المسائل[1]، كما ساعدتهم في الجدل مع المسلمين والذي أدى في الغالب إلى نشوب صراع بينهم[2]، حيث تعود اليهود على طرح مسائل في الدين الإسلامي تعجز عن الإجابة عنها، وهذه الطبيعة ليست بمبتدعة إذ سأل أجدادهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن الفتية الذين تاهوا في الدهر[3]، فهم بهذا السؤال يريدون إما التشكيك في الدين الإسلامي أو إثبات صحة معتقدهم، وعلى العموم فالجدل الديني لم يقتصر على اليهود وحسب بل شارك فيه حتى النصارى[4]، إن الجدل بين المسلمين والنصارى لم يتعد الخصومة الدينية، وكان في الغالب سلميا فقط لإثبات مسألة معينة دون تشكيك طرف في ديانة الطرف الثاني[5]، على خلاف الجدل بين اليهود والمسلمين الذي تميز بالصلابة والعنف إلى درجة الشتم والسب بالألقاب، وأبرز مثال على ذلك الحادثة التي وقعت بين ابن النغريلة وابن حزم، إذ شكا العالم ابن حزم من الوضعية التي آل إليها اليهود ببلاد الأندلس، وحظيهم بمكانة هامة في الأندلس مكنتهم من إطلاق العنان لألسنة علمائهم الذين أصبحوا يشككون في الإسلام ويضربون القرآن الكريم[6].

إن معظم المناظرات التي كانت بين أهل الذمة والمسلمين كانت حول الدين الإسلامي، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على الأهمية التي أولاها الذميون للدين الإسلامي من أجل ضرب العقيدة الإسلامية وأركان الدين، فهذا ابن رشق يناظر أحد قساوسة مراكش بمدينة بلنسية بالأندلس، وكان صلبها حول القرآن الكريم وإعجازه[7]، كما يذكر

---

[1] مسعود كواتي، المرجع السابق، ص177.

[2] مسعود كواتي، المرجع السابق، ص265.

[3] محمد الأمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص130.

[4] مسعود كواتي، المرجع نفسه، ص176.

[5] الترجمان، المصدر السابق، ص.

[6] مسعود كواتي، المرجع نفسه، ص179.

[7] الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص156.

الونشريسي بأن نصراني سب الرسول صلى الله عليه وسلم فرد عليه أحد العلماء أنه لا شيء عليه لأن سب النبي كفر وسب غيره ليس بكفر[1].

إن تعمق علماء اليهود في الدين الإسلامي، وإتقانهم للغة العربية، مكنهم من خوض عدة مناظرات مع علماء المسلمين، والتي غالبا ماكانت تؤدي لظهور النزاع بينهما على خلاف النصارى الذين كانت مناظراتهم مع المسلمين سلمية، وبداية من القرن الثامن هجري أصبح علماء اليهود لا يقومون بالجدال مع علماء المسلمين بالمغرب، وذلك نتيجة الحصانة التي حظي بها كل من اليهود والنصارى بالمغربين الأدنى والأقصى.

## رابعا: أثر اليهود والنصارى بالمغربين الأدنى والأقصى:

### 1ـــ نقل الثقافة الإسلامية إلى العالم المسيحي:

استقر اليهود والنصارى ببلاد المغرب الإسلامي، فسكنوا إلى جانب المسلمين وتعلموا اللغة العربية ونبغوا فيها، فكانوا وسطاء بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، فكانوا محل اهتمام الممالك المسيحية التي حاولت استقطابهم لخدمة أغراضها السياسية والاقتصادية.

لقد قدمت الممالك المسيحية الكثير من المساهمات والدعم لليهود والنصارى ببلاد المغرب الإسلامي، خاصة أولئك الذين اهتموا بالترجمة فنجد أن القساوسة والمبشرين أسسوا أول مدرسة للدراسات الشرقية في أوربا، التي كانت تهتم بتعليم اللغة العربية والعبرية لإعداد المبشرين للنصرانية[2]، وقد كان له أثر كبير عند الأساقفة الذين برعوا في اللغة العربية، فتأثروا بهم وراحوا يدرسون العلوم النقلية والعقلية عند علماء المسلمين، ومن بينهم "ابن رشد"، "ابن سينا" وغيرهم من العلماء المسلمين ببلاد المغرب الإسلامي، فبعد تمكن هؤلاء القساوسة من علوم العرب يعودون إلى أوطانهم، وبالضرورة هذا سينجم عنه نقل العلوم واللغة العربية

[1] نفسه، ج2، ص522.

[2] مسعود كواتي، المرجع السابق، ص182.

إلى الممالك المسيحية، حتى أصبحت الترجمة آنذاك مصدرا للارتزاق[1]، فانتقال الثقافة الإسلامية إلى أوربا ليس بهدف الحضارة والعلم، وإنما بغية السيطرة على الجانب الاقتصادي من جهة وجمع الثروة المالية من جهة أخرى، فهم بذلك يسعون إلى محاربة الإسلام والمسلمين، وهذا يظهر جليا مع هجرة مسلمي الأندلس إلى بلاد المغرب الإسلامي[2].

من خلال ما سبق نستنتج أن اليهود اكتسبوا ثقافة بلاد المغرب الإسلامي، وذلك بالتواصل مع العلماء المسلمين من جهة، والحصانة التي وفرها لهم الجهاز السلطاني، لكن مع ذلك ظلوا يخفون تدينهم ويتعاملون بالحيل مع المجتمع المغربي وفيما بعد أصبحوا سلاح في يد المسيحية لضرب المسلمين.

## 2ـــ أثر اليهود والنصارى في الفتن والاضطرابات السياسية:

### أـــ دور النصارى في الفتن:

إن المكانة التي حظي بها النصارى واليهود بكل من دولتي بني حفص وبني مرين مكنتهم من التقرب من سلاطين بني حفص وبني مرين لدرجة أن شاركوهم في الحكم وساندوهم في بعض القضايا الداخلية.

ففي دولة بني حفص نجد أن النصارى تمتعوا بمكانة هامة إلى جانب السلطان، فساعدوا الأمير الحفصي في قتل الليابي، لكن فيما بعد أصبحوا سببا للصراعات والنزاعات فاعتقلوا أبا اسحاق (679هـــ/1280م) عم السلطان الواثق وقتلوه رفقة أولاده[3]، كما أن الجند النصارى كان مأجورين كما ذكرنا سابقا، فهو بذلك شديد التقلب على السلطة الحاكمة، ويصبح بذلك مصدرا للفوضى والانقلابات[4]، كما ادعى النصارى على اللحياني

---

[1] بالنثيا، المرجع السابق، ص ص 508ـــ536.

[2] فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص201

[3] أبو عبد الله محمد بن أحمد الشماع، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984، ص79.

[4] زينب كرير، المرجع السابق، ص103.

بأنه أسلفه ثلاثمائة دينار ذهبا، وأن السلطان لم يدفعها له، فشكاه إلى ملك فرنسا الذي زحف نحو تونس[1]، كما أن هؤلاء النصارى كانوا سببا في إتلاف الأموال التي كانت في عهد أبي زكريا الحفصي[2].

أما في المغرب الأقصى فكان النصارى في أواخر القرن العاشر هجري مصدرا للاستعلام والتجسس لصالح البلدان النصرانية، فكل الوافدين إلى المغربين الأدنى أو الأقصى هم إما تجار أو رهبان أو مبعوثين رسميين لعقد اتفاقيات ومعاهدات مع سلاطين بني زيان وبني مرين، فكان هؤلاء يقومون بالاختلاط بالسكان خاصة الرهبان ويحاولون استمالتهم، فهم بذلك يحاولون إنشاء شبكة للتجسس وخدمة أغراضهم السياسية، مثلما حدث مع البرتغاليين في المغرب الأقصى إذ وضعوا مراكز على طول الساحل الشمالي والجنوبي، ومنها تصلهم المعلومات.

**ب ــ دور اليهود في الفتن:**

كان لليهود ببلاد المغرب الإسلامي مكانة سياسية هامة، فكان لهم دور دبلوماسي وإداري، لم يحظ به أبناء المجتمع المغربي، إلا أنهم ظلوا دائما يتحينون الفرصة لتحقيق أهدافهم وتجسيد مبادئهم، كما كانوا مركزا لنشوب الفتن والنزاعات في أواسط بلاد المغرب.

قي القرن السادس هجري تعاون اليهود مع النصارى، خاصة بعد الامتيازات التي قدمها ألفونسو لهم إذ قلدهم مناصب، واستخدمهم كجواسيس في بلاد المغرب إضافة إلى اضطهاد الموحدين لهم شجعهم على الهجرة إلى الممالك النصرانية[3]، كما حاربوا الموحدين

[1] ابن الشماع، المصدر نفسه، ص ص 69ــ70.

[2] نفسه، ص73.

[3] مسعود كواتي، المرجع السابق، ص215.

إلى جانب ألفونسو السابع[1]، بالإضافة إلى المكائد التي عرف بها اليهود في العهد الموحدي وادعاؤهم الإسلام خوفا من القتل من طرف الموحدين[2].

إن الدور التجاري الذي قام به اليهود في المغرب الأقصى، عزز مكانتهم إذ أصبحوا موردا ماليا للدولة بداية من القرن 7هـ/13م، فأسقطت عنهم الجزية في عهد السلطان أبو الحسن المريني سنة731هـ/1330م[3]، وأسندت إليهم مهمة جمع الضرائب[4]، وهذا ما أثار عامة الناس ونقموا على السلطان.

ازداد خطر اليهود على البلاط المغربي، ففي عهد السلطان أبي يوسف يعقوب، عين خليفة بن رقاصة حاجبا له[5]، فمنذ توليه المنصب أصبح يخدم طائفته حتى أنه أصبح يصدر أحكاما دون الرجوع إلى السلطان، مما أثار بعض الوجهاء في البلاط ومن بينهم كاتب العلامة عبد الله بن أبي مدين، الذي اشتكى لى السلطان تجبر هذه العائلة على أشراف ووزاراء البلاط، ونصحه بضرورة التخلص منهم، فاستجاب السلطان لخاتمه، فنصب لهم فخا أدى بنكبة على كل العائلة و لم يبق إلا على الخليفة الأصغر، شماتة من اليهود وعبرة لكل من يحاول التطاول على حقوق السلطان والرعية[6]، إن هذه النكبة ولدت حقدا عند الأصغر الذي ظل ينتظر فرصة للانتقام من المسلمين[7].

تمكن الأصغر من التقرب مجددا من سلاطين بني مرين وعائلاتهم، ففي سنة 708هـ/1308م عين حاجبا للسلطان أبي الربيع سليمان بن أبي عامر، فوشايته للسلطان

---

[1] نفسه، ص215.

[2] Slouch Opcit P131.

[3] فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص234.

[4] السلاوي، المرجع السابق، ج4، ص98.

[5] ابن الأحمر، المصدر السابق، ص31.

[6] السلاوي، المصدر السابق، ص39.

[7] عطا الله شحاته، المرجع السابق، ص59.

مكنت خليفة ابن الأصغر من التحكم في أمور الدولة، وأصبح يخيط مؤامرة للفتك بأبي مدين، فظل يتحايل على السلطان كما اتهم الشيخ بأنه يتآمر على الدولة، فما كان على السلطان إلا أن دبر مكيدة للشيخ، واستغل زفاف ابنته إذ وجه له دعوة للحضور، وأمر قائد الجند **قونزالوس** بقتله الذي طعنه من الخلف، واجتز رأسه وأخذه إلى السلطان. الا أن شرفاء البلاط المريني لم يرق لهم ما الت اليه السلطة الحاكمة وحزنوا حزنا شديدا على النهاية المأساوية للشيخ أبي مدين، فتدخل أحد الوزراء الذي توسط الى السلطان وأخبره عما فعل آل رقاصة في السابق وكيف له أن يصدق يهودي عرف بالدهاء والخبث، ووعد هذا الوزير بأن يأتي ببراءة أبي مدين، وعندما علم السلطان بمكر اليهودي قام بقتله وقتل كل اليهود الذين كانوا بالقرب منه[1].

وفي زمن السلطان يوسف بن يعقوب حدث أن اشتكت امرأة إلى السلطان بأن أحد اليهود اغتصبها عنوة، فثار علماء المدينة وتدخل السلطان بنفسه وقام بطرد كل اليهود من الملاح، وأمر بعدم ضربهم[2]. وبعد استيلاء البرتغال على السواحل المغربية اتخذ اليهود هذه الفرصة مجددا للانتقام من المغاربة فساهموا في نشر الاستعمار البرتغالي وذلك بالجوسسة لصالحهم، فلمع نجم اليهودي **يعقوب أديف** الذي ساعد البرتغاليين في احتلال منطقة أزمور في غفلة من أهلها، وكان ذلك مقابل توفير الحماية للطائفة اليهودية بالمغرب[3]، ويذكر مارمول كاربخال بأن اليهود كانت تتوقف خدماتهم على من يدفع أكثر، مثلما حدث في عهد السلطان محمد الوطاسي الذي وشى له أحد اليهود عن زعيم مدينة آيت عتاب، فلم يتوان السلطان وقام بقتل والي المدينة[4]، فسياسة التجسس التي انتهجها اليهود لصالح البرتغاليين خدمت مصالحهم إذ سرعان ما كان يقال المسلمون ويولون مكانهم اليهود وهذا

---

[1] ابن خلدون، ديوان العبر...، ج7، ص499؛ السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص100.

[2] أحبار من عائلة ابن دنان، المصدر السابق، ص ص7ـ8.

[3] مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص ص88ـ92.

[4] نفسه، ج2، ص104.

ما ذكره الحسن الوزان[1]، كما استغلوا الثراء الذي وصلوا إليه لشراء المناصب السامية في الدولة مما أثار فضيلة العلماء ومن بينهم الشيخ المغيلي[2] وغيره من أشراف بلاد المغرب الإسلامي.

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص161.

[2] المغيلي، المصدر السابق، ص57.

# خاتمة

من خلال هذه الدراسة توصلنا الى مجموعة من النتائج والاستنتاجات، والتي تمثلت أساسا فيما يلي:

- ✓ أن الذمه هي العهد والأمان وهي كل ما عوهد الله عليه، وأهل الذمة هم أولئك الذين يعيشون في مجتمع مسلم ويدينون ديانة مغايرة، بشرط أن يدفعوا الجزية للمسلمين وفق شروط ومبادئ نص عليها الدين الاسلامي.
- ✓ الذمة لاتعقد على أهل الكتاب فقط وانما هي ذات صلة بكل انسان يعيش في المجتمع الاسلامي، يدفع الجزية مقابل توفير الأمن والامان له، ويحق له ممارسة حياته العامة دون قيود أو ضغوط، وقد شمل هذا العقد كل من اليهود والنصارى ،الصابئة والمجوس وغيرهم من أصحاب الملل والنحل.
- ✓ أن الجزية ضريبة تؤخذ من غير المسلمين من أجل توفير الحماية لهم، يشترط فيها البلوغ والعقل، فهي لا تؤخذ من العبد والمرأة، وأن لا تؤخذ من المريض كما وجب على المسلم أن لا يذل الذمي عند أخذها، بشرط أن تقدم للامام أو نائبه وتكون في خدمة الدين الاسلامي ولما نص عليه الشرع.
- ✓ ان الهجرات الذمية الى بلاد المغرب لم تكن بمحض الصدفة، وانما كانت نتيجة لعدة من العوامل الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي دفعت كل من اليهود والنصارى الى البحث عن مجال حيوي للاستقرار بالشمال الافريقي منذ القديم.
- ✓ يعود الوجود اليهودي ببلاد المغرب الى العهد الفينيقي، اذ رحل هؤلاء مع الفينيقين التجار الذين قاموا بانشاء محطات تجارية على سواحل بلاد المغرب، وظلوا ينشطون بها حتى العهد المرابطي فتمتعوا بسياسة خاصة في عهد يوسف ابن تاشفين، سمحت لهم بالاستقرار في المدن المغربية والأندلسية .
- ✓ يعود ظهور النصارى ببلاد المغرب الى القرن الثاني ميلادي، حيث كانت الديانة المسيحية ديانة مستقلة عن الامبراطورية الرومانية، مما جعل الرومان يسعون الى استمالة البربر الذين كانوا الى جانب المسيحية.

- ✓ سكن اليهود اقليم برقة واقليم طرابلس كما سكنوا مدينة لبدة وسرت، واستقروا أيضا بالمناطق الجبلية، فسكنوا جبل نفوسة ومدينة جادوا الواقعة بالقرب من اقليم نفزاوة، واتجهوا أيضا نحو جربة وصفاقس وقابس، وأصبحت مدينة القيروان مركزا دينيا لمختلف الجاليات اليهودية من بقاع العالم بصفة عامة، وقد كانت منطقة المغرب الأقصى أكثر استقطابا للجماعات اليهودية فتوافدوا اليها من مختلف بقاع العالم، فسكنوا مدينة فاس وانتشروا باقليم تامسنا وجبال فزاز وتادلا، واستقروا أيضا بمدينة سجلماسة الي كنت مركزا وقطبا تجاريا انذاك.
- ✓ لم ينحصر استقرار النصارى على المناطق الساحلية فقط بل وصل حتى المناطق الداخلية، اذ ما رسوا حياتهم الاجتماعية وفق ما تمليه عليهم الشريعة الإسلامية، فسكن مسيحيو المغرب الأدنى ببرقة وطرابلس والواحات الليبية، كما نزلوا بأجدابية وسرت وافريقية ومدينة باجة، كما تواجدوا ببلاد الجريد وسكنوا بقابس وصفاقس ومدينة سوسة وغيرها من المدن، ويعود تواجدهم بالمغرب الأقصى الى القرن الثالث ميلادي، فتواجدوا بموريطانيا الطنجية وتطاوين، وسكنوا مدينة سبتة ومراكش، كما استقروا بمدينة مكناسة وسلا وفاس وغيرها من مدن المغرب الأقصى.
- ✓ ان المجتمع المغربي عرف وجود عدة شرائح بشرية من قبائل و ملل مختلفة، برزت منهم فئة اليهود والنصارى الذين ساهموا في البناء الحضاري والانتعاش الاقتصادي لبلدان المغرب الاسلامي.
- ✓ تواجد اليهود ببلاد المغرب الاسلامي على شكل جماعات تخضع للناجد الذي كان يسهر على حمايتهم وتوفير مستحقاتهم، فقد كان الواسطة بين اجناس أمته والسلطة الحاكمة، الا أنه في الفترة الموحدية لم تكن له صلاحيات واضحة وذلك نتيجة السياسة التي اتبعها الموحدون ضد اليهود ببلاد المغرب، اذ فرض عليهم الاسلام أو القتل، وهذا ما دفع البعض منهم الى خفاء ديانتهم وادعائهم الاسلام حتى يسلموا من ضغط الموحدين، لكن سرعان ما عادت هذه العائلات اليهودية الى نشاطها وذلك بعد سقوط دولة الموحدين وظهور دويلات المغرب الاسلامي، والتي تمثلت أساسا في دولة بني حفص بالمغرب الأدنى ودولة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط،

ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى، وكذلك دولة بني الأحمر بالأندلس، اذ لم يتدخل الحكام في شؤون اليهود، وكان للناجد دور هام في تنظيم الجماعات اليهودية خاصة بعد سقوط الأندلسسنة1492م.

- ✓ ان المجتمع المسيحي بالمغرب الاسلامي كان عبارة عن نسيج متكون من مرتزقة، جاؤوا اليها منختلف بقاع العالم، وأبدى المرتزقة دورا هاما في المغرب الأدنى حتى أصبحت لهم طبقة خاصة بهم، أما في دولة بني مرين فقد انقسموا الى فرقتين متناحرتين فيما بينهما وهما الفرارين والمرتدين، بالاضافة الى فئة القناصل والموثقين الذين سكنوا الفنادق وكان لهم دور في ابرام الصفقات وعقد الاتفاقيات بين المغربين الأدنى والأقصى والدول الأوربية، ضف الى ذلك طبقة العبيد والأسرى الذين كان لهم دور في خدمة البيوت المغربية ونقل الثقافة الأوربية الى العالم الاسلامي.
- ✓ إن الوجود الذمي ببلاد المغرب الإسلامي، كانت بصورة واضحة وجلية خاصة وان سماحة الدين الإسلامي ساعدهم على ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، كما سمحت لهم بتوفير المرافق الخاصة بهم، وهذا ما أدى إلى انتشار بعض المظاهر اللااخلاقية، كظهور الحانات التي ساعدت على شيوع ظاهرة شرب الخمروالدعارة.
- ✓ لقد كان لليهود والنصارى دورا هما في المحافظة على عاداتهم وتقاليدهم، لدرجة أن شاركهم المسلمين بعض الأعياد، فظل اليهود يحتفلون بعيد الكبور وعيد المظلة وعيد الصح، كما احتفل النصارى بعيد الميلاد وعيد الربيع وغيرها من الأعياد.
- ✓ لقد ساهم كل من اليهود والنصارى بتنظيم الأسرة الذمية في بلاد المغرب الاسلامي، وذلك بوضع الركائز الأساسية للبناء كالزواج وتعدد الزوجات، ليأتي الطالاق كاخر حل.
- ✓ كما ساهم اليهود في المحافظة على مبدئهم الا وهو الانعزال والعيش بعيدا عن التجمعات الاسلامية، فسكنوا الملاح بالمغرب الأقصى، والحارة بالمغرب الأدنى، أما النصارى سكنوا القيسارية بالمغرب الأقصى، والربض بالمغرب الأدنى، كما ظل

النصارى يحافظن على لباسهم ببلاد المغرب وأحيانا كانوا يقتدون بالمسلمين في لباسهم، أما اليهود فاختلفت طريقة اللبس من فترة الى أخرى، ذ فرض عليهم زي خاص بهم أثناء حكم الموحدين، وأيضا في حكم بني حفص أما في دولة بني مرين فتمكن بعض اليهود من لبس الحرير وهذا ماأثار بعض الأئمة والفقهاء بمدينة فاس بالمغرب.

- ✓ أما المرأة الذمية في المغربين فقد اختلفت الأدوار بينها وبين المرأة اليهودية والنصرانية، اذ دور المرأة اليهودية كان مترليا محظا فكانت المرأة الحاضنة والمربية والساهرة على أشغال البيت، أما النصرانية فكان لها دور في القصور السلطانية وبلغ بها المقام الى المشاورة في أمور السلطة، خاصة في المغرب الأدنى.
- ✓ لم يكن لليهود دورا في النشاط الفكري خلال القرن 6هـ/12م، فمالوا الى العزلة وتأثروا بالعادات والتقاليد عند المسلمين، وغالبا ماكانوا يلجؤون الى القضاء الاسلامي لحل نزاعاتهم ومشاكلهم، ومع بداية القرن 7هـ/13م عرفت الحركة العلمية عند اليهود قفزة نوعية متخذين المعبد مكانا للعلم والتقاء العلماء، لتزداد تطورا بعد قدوم يهود اسبانيا الى بلاد المغرب الاسلامي خاصة وفود العلماء والتجار، فبرزت مدينة القيروان التي اضحت مركزا للتعليم التلموذي بالاضافة الى فاس بالمغرب الأقصى.
- ✓ ساهم اليهود في المحافظة على المراحل الأساسية للتعليم بداية من مرحلة حيدر ثم مرحلة همدراس ووصولا الى الياشيفاه التي يتخرج منها أحبار اليهود، واشتهر منهم العديد من العلماء الذين نبغوا في العلوم العقلية والنقلية وبرزوا في الطب، واعتمدوا على اللغتين العبرية والعربية.
- ✓ ان النصارى ببلاد المغرب الإسلامي لم يكن لهم دورا كبيرا في الجانب الثقافي والعلمي، وإنما برعوا خاصة في الجانب الاقتصادي، فكان لرجال الدين دورا هاما في المحافظة على الديانة المسيحية اذ كان المشرف الأول على المراقبة وذلك تحت السلطة الرسمية في بلاد المغرب، وفي الدول الأوربية كما برعوا في اتقان اللغة العربية التي ساعدتهم في نشر المسيحية بين المسلمين والبربر بالغربين الأدنى والأقصى، ومن

أشهر الأساقفة الذين وجدوا ببلاد المغرب الأسقف انيلوسagnellus بمدينة فاس، فاهتمت فرقة الفرانسيسكيين وفرقة الدومنكيين بنشر الديانة المسيحية.

- ✓ ساهم اليهود والنصارى في الانتعاش الاقتصادي بالمغرب الاسلامي، فاهتمامهم بالزراعة والفلاحة لم يكن الا نادرا ولعل ذلك يعود بالدرجة الأولى الى عدم امتلاكهم للأراضي الزراعية، لكنهم نجحوا الى حد كبير في حفر الخطارات والابار، كما اهتموا بتربية الحيوانات حتى أصبحت تونس من أكثر المدن انتاجا للحرير من حيث الجودة وكان ذلك برعاية من اليهود الذين أولوا عناية فائقة لتربية دودة القز.
- ✓ اهتم اليهود والنصارى بالصناعات التعدينية خاصة الذهب والفضة، كما برعوا في ضرب السكة، فقام اليهود بالدور الصناعي سواء الحلي أو السكة أم النصارى اهتموا بالمتاجرة فيها خاصة وأنهم كانوا يتقنون فن السمسرة، اضافة الى ذلك اهتموا بصناعة القماش، وتصدير الكتان، أما النصارى اشتهروا خاصة بصناعة الخمور والمتاجرة فيها، وتفننوا أيضا في الطب الذي اتخذوه مهنة لجني الأموال والأرباح.
- ✓ ان نظام الجوار وسياسة التسامح الديني سمحت للنصارى بتجسيد دور الوساطة بين بلدن المغرب الاسلامي والنصراني خاصة القناصل والموثقين، فساهم وبدور فعال في تنشيط المعاملات التجارية، أما اليهود فكان لهم دور فعالي في الاقتصاد المغربي، اذ ساهموا بنسب متفاوتة في رفع العائدات التجارية التي ساهمت في انعاش الخزينة المغربية.
- ✓ ساهمت المعاهدات التجارية والمعاملات المالية في تحسين وضعية النصارى بالمغرب الأدنى والأقصى، خاصة تلك التي كانت مع تجار جنوة، وقد أذى هذا الى توسيع المرافق وتنويعها لضمان راحة للتجار الوافدين، خاصة وأن سلاطين دولة بني حفص ودولة بني مرين منعوهم من استحضار نسائهم الى بلاد المغرب الاسلامي، فكانت هذه عائقة بالنسبة لتجار النصارى الذين ساهموا في نشر بعض الافات اللأخلاقية بالمغرب الأدنى والأقصى، فشاعت ظاهرة الدعارة والاغتصاب.

- ✓ لقد نشط اليهود في التجارة المالية وما ساعدهم في ذلك مهنة الصيرفة التي عنيوا بها دون غيرهم، بالاضافة الى ذلك القيام بمختلف الأعمال التي تعود عليهم بالربح وجني الأموال خاصة تجارة الذهب، كما أن التسبيقات المالية التي كان يقدمها اليهود لأرباب الشركات التجارية زادت من انتعاش تجارتهم المالية، اذ أن معظم القروض التي كانوا يقدموها غالبا ما كانت وفق شروط يضعها صاحب رأس المال، وقد كان لهم أيضا دورا هاما في انعاش التجارة الصحراوية بداية من القرن 9هـ/15م بمساعدة سلاطين دولة بني مرين وبني الزين، خاصة وأنهم كانوا يجلبون السلع من السودان وقد كان تجار اليهود محل اهتمام سلاطين الدول النصرانية.
- ✓ لقد شغل اليهود في بلاد المغرب الاسلامي مناصب سامية ، ومراكز ادارية هامة، فظهر منهم الوزراء أمثال: عبد الله الترجمان بدولة بني حفص والوزير بدولة بني مرين، وبرز الحاجب حيون بن رقاصة بدولة بني مرين في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، كما وصل بهم الأمر الى أن تقلدوا مناصب كانت للمسلمين فقط، كمهمة صاحب الشرطة خاصة في المغرب الأقصى اذ تمكن اليهدي حسين من كسب ثقة السلطان عبد الحق بن سعيد بن عثمان المريني، الذي أعلن العداء لفقهاء البلاد خاصة بمدينة فاس.
- ✓ وقد ظهر لنا من خلال هذه الدراسة أن اليهود لم يكن لهم دور في الجانب العسكري، اذ أبعدوا عن الجيش في حين أن النصارى شاركوا المرابطين في معاركهم، فتميز القائد الروبرتير الذ بلغ شأنا عظيما عند المرابطين وشاركهم انتصارات عدة، بالاضافة الىالقائد سيقي" SEGUI" وشقيقه القائد كيَيم "GUILLEM"، والذين ساهموا في خدمة السلطة المرينية، وقام القائد بريز دي قزمان "BRIS DE GUZMAN" بدور فعال في جباية الخراج، أما نصارى المغرب الأدنى فبرز دورهم كحرس خاص للسلطان والسهر على حمايته، وميزهم أنهم كانوا ميالين الى الجهة التي تدفع أكثر حتى ولو كانت معادية للسلطة الحاكمة.
- ✓ ان سياسة التسامح الديني التي انتهجها سلاطين بلاد المغرب تجاه أهل الذمة كان لها أثر كبير في علو شوكة كل من اليهود والنصارى، مما نجم عنه تعدد المواقف من

السلطة الحاكمة الى الرعية، فنظر مجتمع المغرب الأدنى الى النصارى نظرة استصغار واحتقار خاصة بعد تقرب هؤلاء من السلطان، أما اليهود فقد عاشوا في شكل جماعات ويعودون في حل نزاعاتهم الى القضاء الاسلامي، على غرار يهود المغرب الأدنى والأقصى الذين تمكنوا من تجسيد دورهم في البلاد فأضحوا بذلك طبقة مهمة تحظى بعناية السلاطين والوزراء.

- ✓ ان علو شوكة اليهود ببلاد المغرب الاسلامي وتواطؤ بعض السلاطين معهم أدى الى اثارة طبقة الفقهاء والعلماء، وعلى راسهم الشيخ المغيلي الذي راسل الفقهاء من مختلف البلاد لوضع حد لتسلط هذه الفئة، فاختلفت المواقف من مؤيد ومعارض.
- ✓ لقد كان للوجود اليهودي والنصراني ببلاد المغرب الاسلامي أثر اختلف من ايجابي الى سلبي، اذ تمكن اليهود والنصارى من نقل الثقافة الاسلامية الى العالم المسيحي، خاصة بعد تأسيس قساوسة بأوربا مدرسة للدراسات الشرقية التي اهتمت بشرح تعاليم ومبادئ التلمود، كما درس بعض المبشرين على يد بعض العلماء المسلمين كابن رشد، بالاضافة الى المناضرات العلمية التي كانت تقوم بين الطرفين وغالبا ما كانت على الدين الاسلامي، وقد كان لليهود دور في حدوث الفتن والاضطرابات.

# الملاحق

**الملحق رقم : 01**

## التوزيع الجغرافي لأهل الذمة لبلاد المغرب

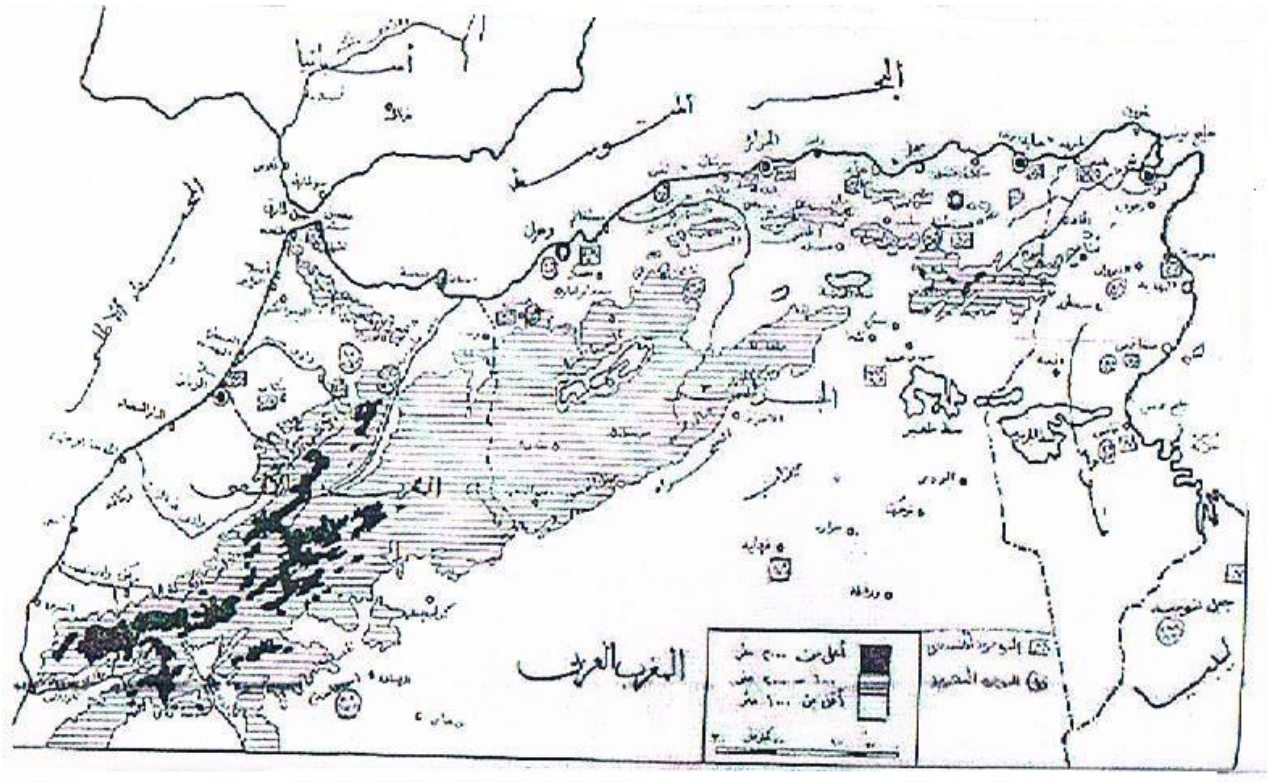

الملحق رقم :02[1]

**مناطق استقرار اليهود بالمغرب خلال العصر الروماني**

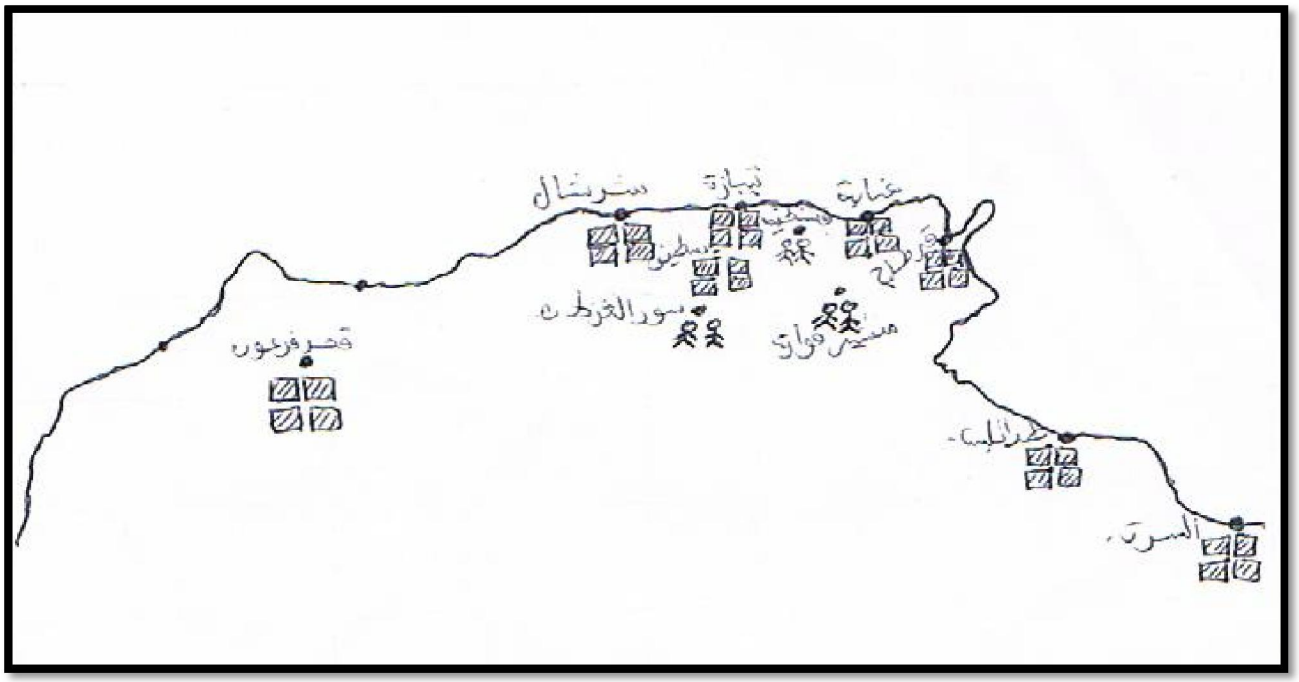


**الجاليات اليهودية**

**الأفراد**

[1]مسعود كواتي ،اليهود في المغرب الإسلامي ،ص،260

الملحق رقم : 03[1]

## تصميم منزل يهودي

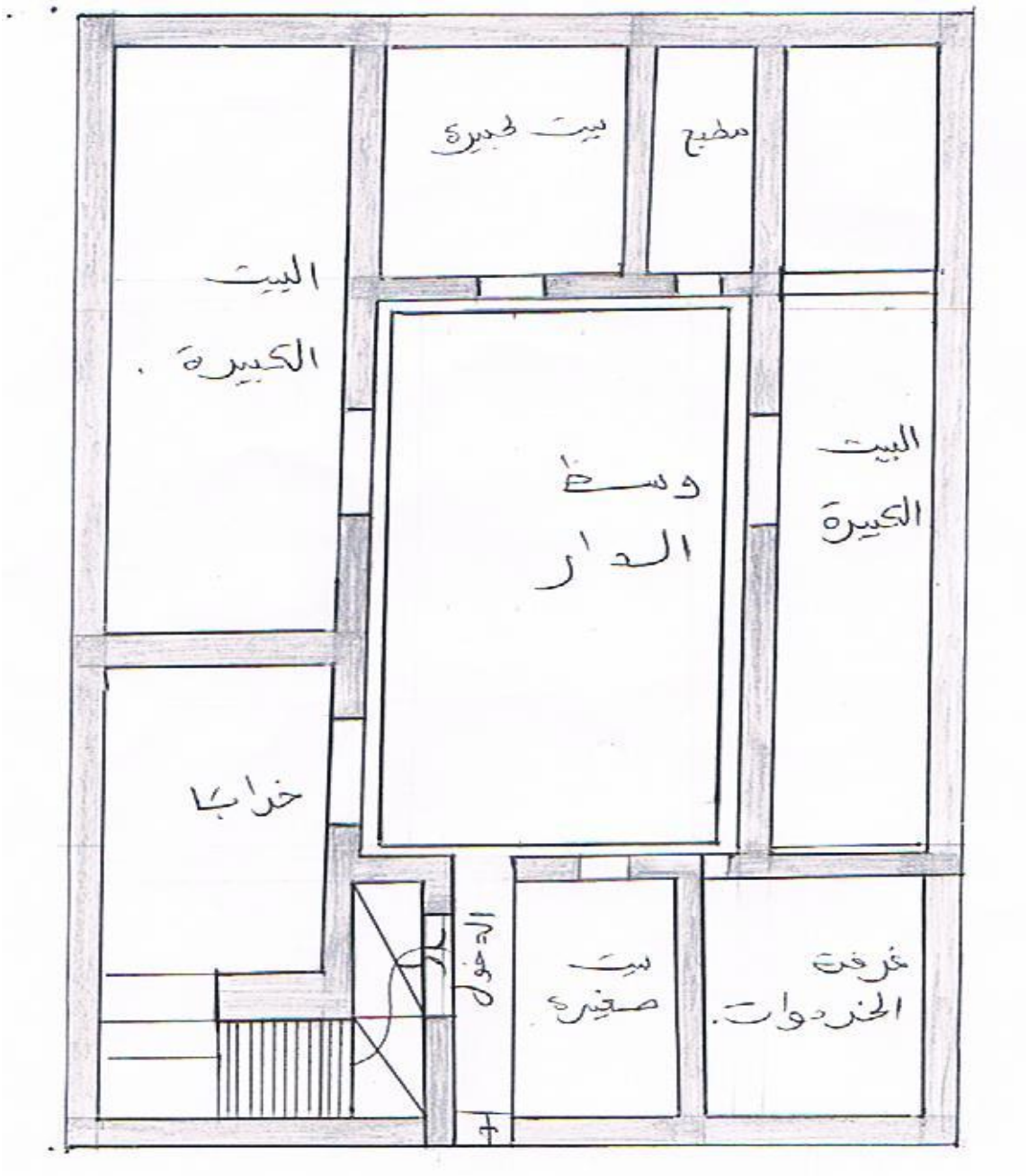


[1]نقلاعن : شمعور ليفي محاولات في التاريخ والحضارة ليهودية ،مركز طارق بن زياد ،الرباط ,ص 54

الملحق رقم : 04[1]

**تصميم الملاح**

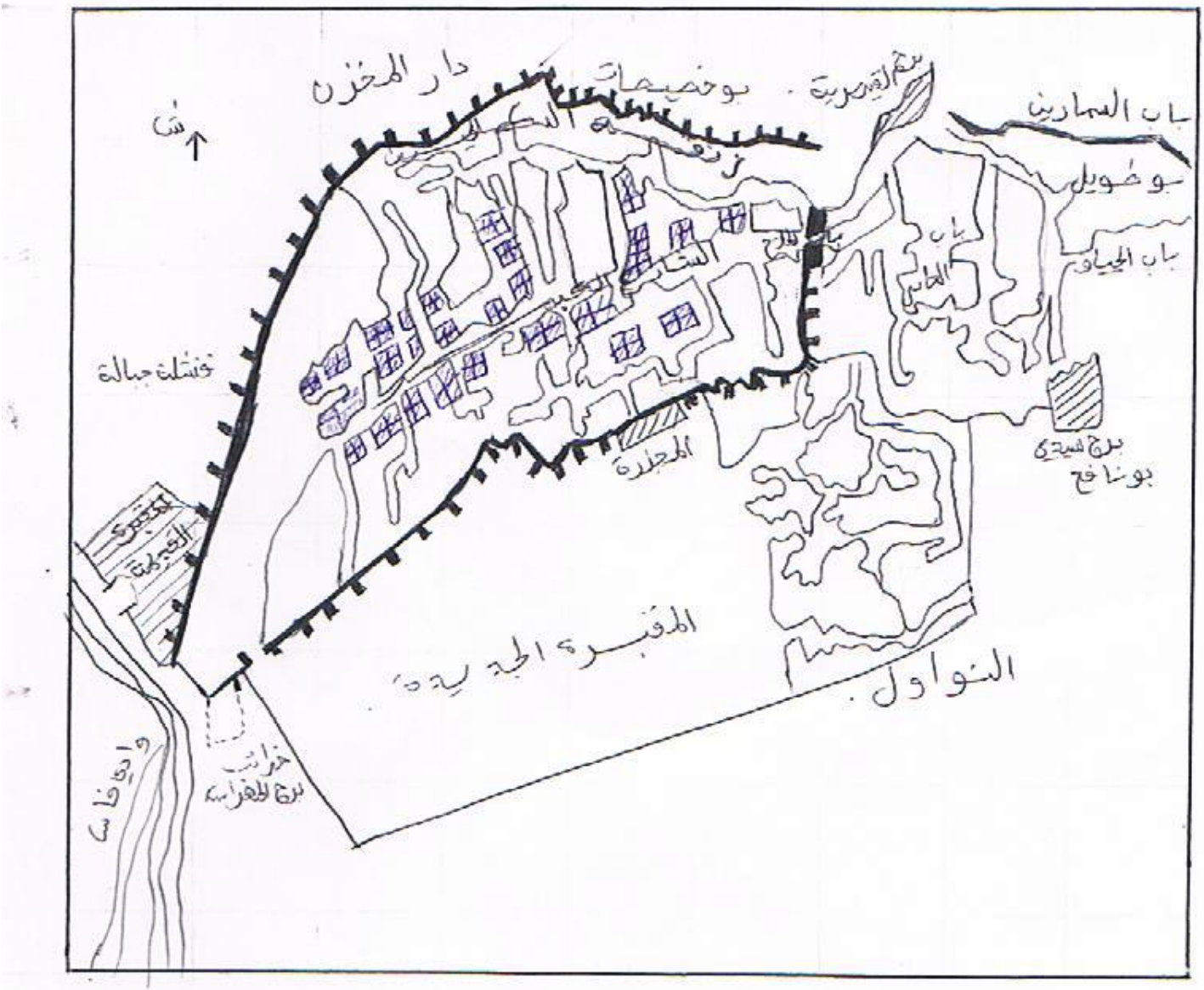


الملحق رقم :05[1]

[1] نقلا بتصرف : روجيه لوتورنو، فاس قبل الحماية ،ج1،ص158؛ فاطمة بوعمامة ،المرجع في المغرب الإسلامي ، ص 68.

# التبادل التجاري بين المغرب الإسلامي واسبانيا

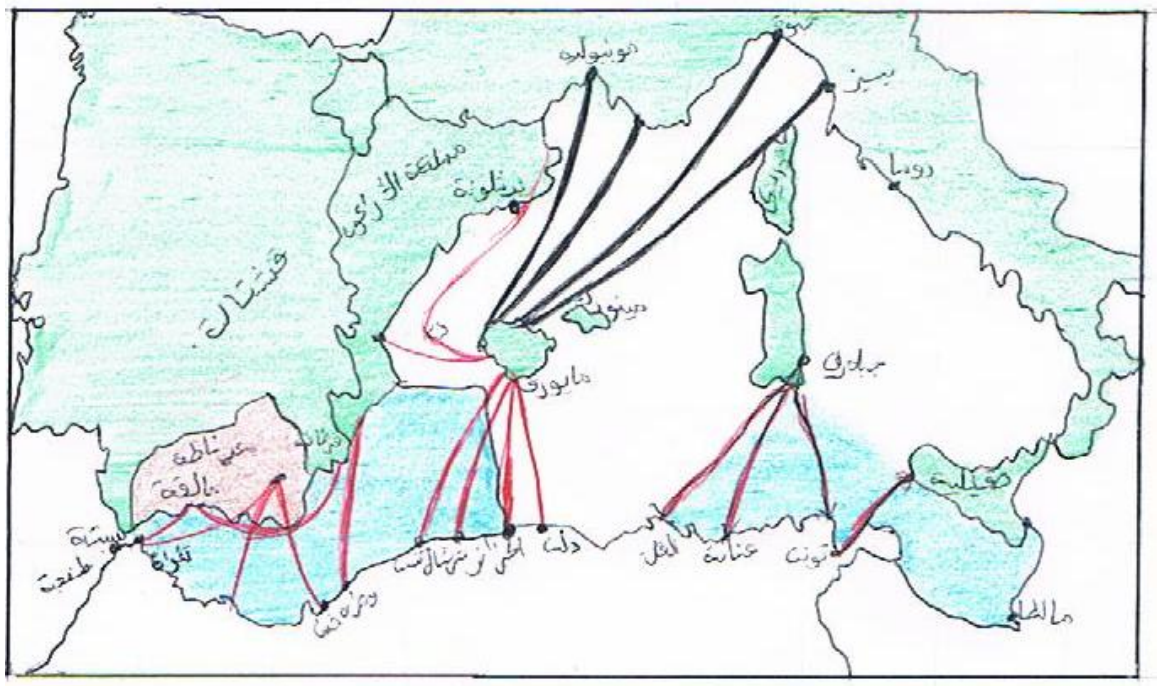


اسبانيا + قشالة

مملكة غرناطة

منطقة الإبحار القشتالي

مبادلات تجارية ضيقة

مبادلات تجارية واسعة

حدود التبادل التجاري القشتالي

المقياس : 1 200كلم

[1] بتصرف dufourcq lespagne catapangne ,p596-598

الملحق رقم : 06

**الأحياء السكنية بالمغرب الأدنى**

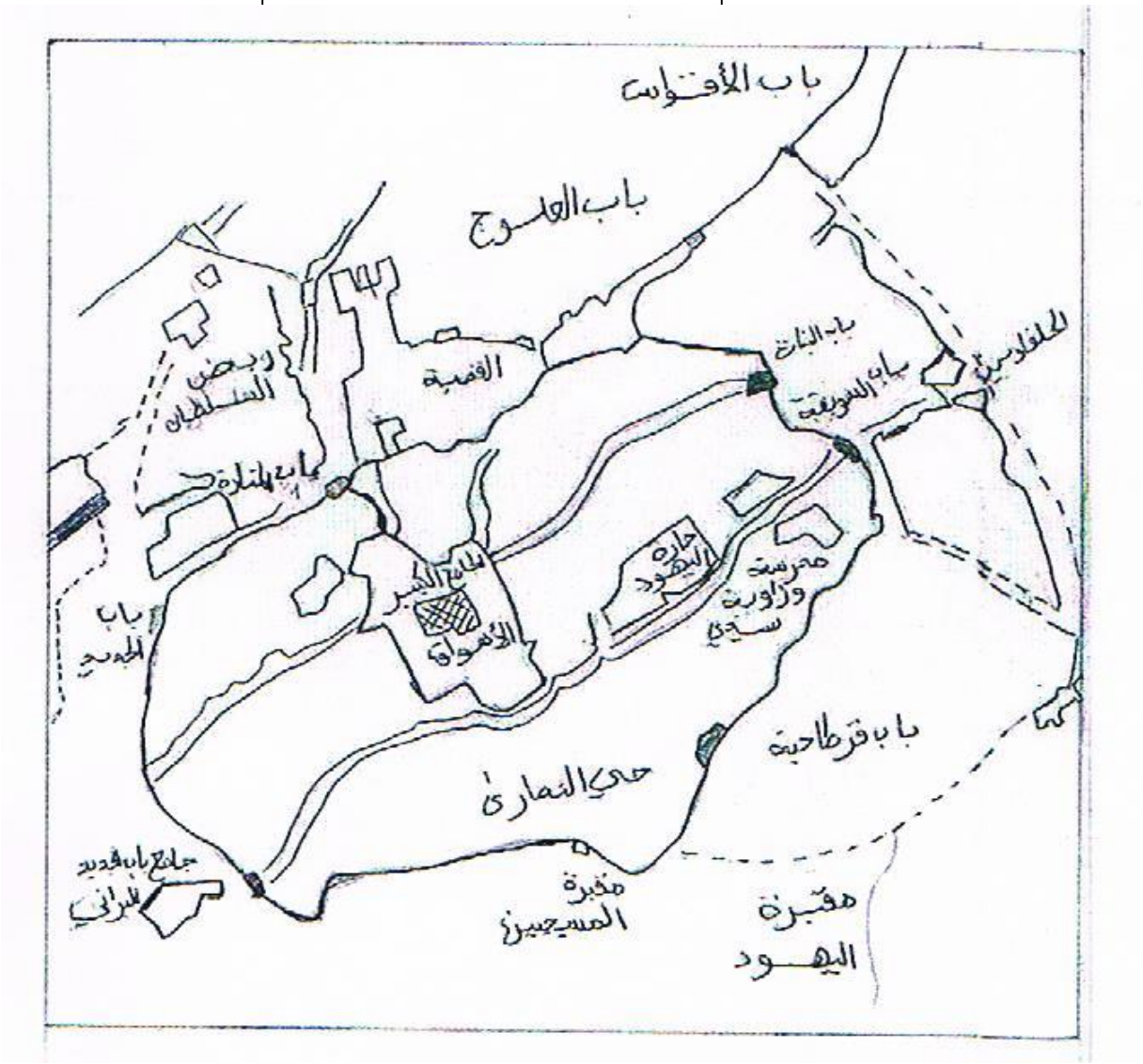

# البيبليوغرافيا

**القران الكريم :**

**المصادر:**

1. أبادي محمد شمس الحق ، عون المعبود شرح أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، ط1، دار الفكر، بيروت، 2002.

2. ابن ابراهيم العباس ، الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1976.

3. ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح وتع: محمد الشمام، ط3، المكتبة العتيقة، تونس، 1987.

4. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط.

5. ابن أبي زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، 1979.

6. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدميري، ط3، ج2، دار الكتاب، بيروت، (د.ت).

7. ابن الأحمر، النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تح: عدنان محمد ال طعمة، دار سعد الدين، دمشق، 1992.

8. ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري، مدخل الشرع الشريف على المذاهب، ج2، دار التراث، القاهرة،(دت).

9. ابن الحزم أبو محمد علي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ، تح: ابراهيم نصرـــ عبد الرحمان عميرة،ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 198

10. ابن الخطيب الشربيني شمس الدين محمد ، مغنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ج4، ط4، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1997.

11. ابن الخطيب لسان الدين،معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار،تح:محمد كمال شبانة،المحمدية،المغرب،1976.

12. ابن الخطيب، اللمحة البدرية في أخبار الدولة النصرية، القاهرة، 1928.

13. ابن الشماع أبي عبد الله محمد بن أحمد :الأدلة البينة النُورانية في مفاخِر الدولة الحفصية،تحقيق وتقديم: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984.

14. ابن القاضي أحمد بن محمد أبي العافية المكناسي ، لقط الفرائد من حقق الفوائد، ط1ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت،( مطبوع ضمن موسوعة أعلام المغرب لأحمد حجي) 1996.

15. (ـــــــــــــــــــــــــــــــ)، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح: ابن علوش، الرباط.

16. ابن القطان،نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان،تح:علي محمود مكي،دار الغرب الاسلامي،بيروت،ط1990،1.

17. ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تح: يوسف ابن أحمد البكري وشاكر بن توفيق الماروري، ج1، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 1997.

18. ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تح: يوسف ابن أحمد البكري وشاكر بن توفيق الماروري، ج1، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1997.

19. ابن القيم الجوزية، شرح الشروط العمرية، تح: صبحي صالح، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981.

20. ابن تغري بردي جمال الدين، النجزم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ، ج4، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1963.

21. ابن حماد ،اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم.تح :التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار العلوم، الرياض،1981.

22. ابن حنبل أحمد ، المسند، ط1، دار الحديث، القاهرة، تح: أحمد شاكر، 1419هـ-1998.

23. ابن حوقل: أبي القاسم ابن حوقل النصيبي:كتاب صُورة الأرض ،دار صادر ، بيروت،الطبعة الثانية ، طبع في مدينة ليدن بمطبعة ، أبريل، 1938.

24. ابن خرذادبة، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

25. ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1992.
26. (ــــــــــــــــــــــــــ)، المقدمة، اعتنى: مصطفة شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2010.
27. ابن خلدون يحي ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، 1980.
28. .
29. ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والأندلس، تح: عبد الله بن أنيس الصباغ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.
30. ابن عبدون التجيبي محمد بن احمد،رسالة في القضاء والحسبة،تح:ليفي بروفنسل،مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية،القاهرة،1955.
31. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، ط2، ج1، دار الثقافة، 1980بيروت، 1980.
32. ابن عسكر محمد الشفشاوي ، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،، تح: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ط2، الرباط، المغرب، 1977.
33. ابن عمر الرادي فخر الدين محمد ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تع: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب، بيروت، 1986.
34. ابن فرحون ، نيل الابتهاج على هامش الديباج، القاهرة، 1351هـ.
35. ابن قدامة موفق الدين ، المغنى، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط3، ج13، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997.
36. ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسين علي بن الخطيب القسنطين، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق الشاذلي النيفر: عبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر، 1968.
37. ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد (كان حيًا سنة 1014هـ-1605م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،نشره محمد بن أبي شنب، وقدم له عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986.

38. ابن مقديش محمود، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار،تح:علي الزاوي،محمد محفوظ،مج 1،دار الغرب الاسلامي،بيروت،1988.

39. ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، تح: علي البشري، ج15، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1988.

40. أبو الفدا اسماعيل بن علي بن محمد بن عمر الملقب بعماد الدين، المختصر في أخبار البشر، تع : محمود ديوب، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

41. الأبي أبو عبد الله محمد، اكمال الأكمال، ج2، القاهرة، 1328.

42. أبي الأصبع عيسى بن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام المعروفة بالأحكام الكبرى،تح،نورة محمد عبد العزيز التو يجري، ط1،ج1995،1.

43. أبي الفتح المقريزي، الخطط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

44. (ـــــــــــــــــــــــــــــــ)، المغرب في ترتيب المغرب، تج: محمد الفاخوري، عبد الحميد مختار، ط1، مكتبة لبنان، بيروت ، 1999.

45. أبي الفتح محمد الشهرستاني، الملل والنحل، تع وتص: أحمد فهمي محمد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992.

46. أحبار من عائلة بن دندان الغرناطية الفاسية، كتاب التواريخ، تر: عبد العزيز شهير، ط1، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، 2002.

47. أحمد بن حنبل، المسند، ط1، دار الحديث، القاهرة، تح: أحمد شاكر، 1419هـ-1998.

48. احمد بن فضل الله العمري،مسالك الأمصار في ممالك الأمصار، تح،مصطفى أبو طيق، ط1، منشورات سوس بريس ،1988،ص114.

49. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1984.

50. الإصطخري أبو اسحاق ابراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني، مرا: محمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، 1961.

51. الأنصاري، أبو عبد الله محمد، فهرست الرصاع، محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967.

52. البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، الباب العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

53. البرزلي أبو القاسم بن احمد بن إسماعيل القيرواني، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام،تح:محمد الحبيب الهنئة، ج2، بيروت 2004.

54. البلاذري، فتوح البلدان، ط2، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1983.

55. البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، الاثار عن القرون الخالية، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992.

56. التجاني محمد بن أحمد، رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981.

57. الترجمان عبد الله، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تح: محمود على حمايته، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1984.

58. التمبكتي أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج2، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ليبيا، 1989.

59. التنسي محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان، تح: محمد بو عبد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م،

60. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

61. حسن حسين عبد الوهاب، بساط العقيق في حضارة القيروان وشاهدها ابن رشيق، تق: مطوي العروسي، ط2، مكتبة المنارة، تونس، د.ت.

62. الحكيم ابو الحسن علي بن يوسف،الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة،تح:حسن حسني عبد الوهاب،مطبعة معهد الدراسات الاسلامية.مدريد،1960.

63. الحميري محمد عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تج: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984.

64. الخزاعي أبي الحسن علي بن محمد التلمساني:مختصر تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ،إعداد: أحمد مبارك البغدادي،مكتبة السندس ،الكويت ،الطبعة الأولى،1990.

65. الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: محمد ماضور، ج3، المكتبة العتيقة، تونس، ب.ت.

66. الرازي فخر الدين محمد بن عمر ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تع: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب، بيروت 1986.

67. الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، تح: عبد الله الزيدان وعمر موسى، بيروت، 1980.

68. الزبيدي محب الدين محمد ، تاج العروس في جواهر القاموس، تح: علي بشيري، ج17، دار الفكر، بيروت، 1994.

69. الزمخشري أبي القاسم الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1977.

70. سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم، المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، ج23، مطبعة الأمة، بغداد، (د.ت).

71. الشهرستاني أبي الفتح محمد ، الملل والنحل، تع وتص: أحمد فهمي محمد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992.

72. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ط1، 2001.

73. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تع:محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1950.

74. العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق، 1967.

75. علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تح: علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ج9، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.

76. الغبريني – أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عُرِف من العُلماء في المائة السابعة ببجاية،تح: عادل نويهض، منشورات التأليف الترجمة والنشر – بيروت،ط1، 1969.

77. الفاسي الكتاني ، التراتيب الإدارية، تح: عبد الله الخالدين، دار القيم، بيروت، د.ت.

78. القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القران، تح: عبد الله بن محسن التركي، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، 2006.

79. (ـــــــــــــــــــــــ)، الجامع لأحكام القرآن، ج5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

80. كاريخال مارمول ، إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد زينب، أحمد توفيق ج2، دار المعرفة، المغرب، 1984.

81. الكتاني محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حضرة بن علي الكتاني، ج3، ج5، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004.

82. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة الجامعة الإسكندرية، 1958.

83. مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل ذكار، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، المغرب، 1979.

84. مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1972.

85. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد ، قوانين الوزارة وسياسة الملك، تح: رضوان السيد، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1979.

86. (ـــــــــــــــــــــــ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: سمير مصطفى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2001.

87. محمد المنوني، ورقات من الحضارة المغربية في عهد بني مرين ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1979.

88. محمد بن عبد الله الخرشي، حاشية الخرشي، ضبط وإخراج آياته وأحاديثه زكريا عميرات، ط1، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

89. محمد شمس الحق أبادي، عون المعبود شرح أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، ط1، دار الفكر، بيروت، 2002.

90. محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984.

91. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه: مفيد قميحة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(دت).

92. المغيلي محمد بن عبد الكريم ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1968.

93. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، القاهرة، 1901.

94. موفق الدين ابن قدامة، المغنى، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط3، ج13، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997.

95. الناصري ابو العباس احمد بن خالد السلاوي،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى،تح:جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج 2، دار الكتاب،الدار البيضاء،1997.

96. الونشريسي أحمد بن يحي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

97. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت، 1988.

## المراجع:

1. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ط2، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1984.

2. ابو مصطفى كمال، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي، من خلال نوازل وفتاوى المعيار للونشريسي، الاسكندرية،1996.

3. أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980.

4. أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980.

5. احمد عزاوي، العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط، ط1،مطبعة الرباط، المغرب،2011.

6. احمد متفكر،الطب و الاطباء بمراكش عبر العصور ، ط 1، مؤسسة افاق للدراسات والنشر والاتصال،مراكش،المغرب،ط 2016،1.

7. ادم مثز، الحضارة الاسلامية في القرت الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريده، ط1، ج1، الدار التونسية، تونس، 1986م.

8. ادم مثز، الحضارة الاسلامية في القرت الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريده، ط1، ج1، الدار التونسية، تونس، 1986م.

9. إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب قبل الجاهلية وصدر الإسلام، تج: محمد الوكيل، دار قصر الهندي، القاهرة، د.ت.

10. بديعة الخرازي، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2007.

11. روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي، تح: حمادي الساحلي، دار المغرب الإسلامي، ط1، ، ح1، بيروت، 1988.

12. بروكلمان، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، تر: نبية فارس ومنير البعلبكي، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1981.

13. بن قربة صالح ، عبد المومن بن علي موحد بلاد المغرب، منشورات وزارة الثقافة والسياحة مديرية الدراسات التاريخية واحياء التراث، الجزائر.

14. جدلة ابراهيم ، المجتمع الحضري بافريقة في العهد الحفصي، مطبعة قطيف، قفصة، 2010.

15. جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، 1967.

16. جواتياينن،س،د، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تع وتح: عطية القومي، وكالة المطبوعات، ط1،الكويت،1980.

17. حاييم الزعفراني، يهود المغرب و الأندلس، تر:احمد شحلان، ح2، مطبعة النجاح الجديد، المغرب 2000.

18. الحسن الغرايب، مسيحيو المغرب الأقصى ي العصور الوسطى، تق: عبد العزيز عينوز، ط1، منشورات مطابع الرباطنت، الرباط، 2015.

19. حسن الميمي، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، تق: الشاذلي القبلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

20. حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا1999.

21. حسن محمد خليفة، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

22. حسين الحاج حسين، النظم الإسلامية، المؤسسة الإسلامية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1987.

23. حمادي الادريسي عبد الله ، الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني و تصديه للخطر اليهودي بصحراء توات و الصقع السوداني ، ط1، الجزائر، 2011.

24. رجب محمد عبد الحليم، دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى "125-455هـ/7431063م"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر.

25. رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2007.

26. زوبيدة محمد عطا، اليهود في العالم العربي، ط1، الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2003.

27. سوزان السعيد يوسف، المرأة في الشريعة اليهودية، حقوقها وواجباتها، دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2005.

28. السيد سابق، فقه السنة، ج3، ط1،دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 1999.

29. السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية، 1981.

30. شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تح: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج1، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع تونس، الجزائر، 1969.

31. صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية،تونس،2006.

32. صالح بن قربة، عبد المومن بن علي موحد بلاد المغرب، منشورات وزارة الثقافة والسياحة مديرية الدراسات التاريخية واحياء التراث، الجزائر.

33. عبد الرحمان بشير، اليهود في المغرب العربي (22-462هـ/642-1070م)، ط1، دار تابرينت للطباعة، 2001.

34. عبد الرزاق احمد قنديل، الأثر الاسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار التراث،القاهرة،1984.

35. عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1979.

36. عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج3، الرباط، 1987.

37. عطا علي محمد شحاتة ريه، اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، ط1، دار الكلمة للطباعة والنشر، سوريا، 1999.

38. عطاء أبو رية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، تق: سنوسي إبراهيم، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

39. عطية فياض، فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة، ط1، دار النشر الجامعية، مصر، 1999.

40. عمر سعيدان، علاقات اسبانيا القطلانية بالحفصيين في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي، منشورات سعيدان، سوسة، تونس، 2003.

41. فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري/14-15م، مؤسسة كنوز الحكمة، 2011.

42. الفرد بل، الفرق الاسللامية في الشمال الافريقي، ترجم عبد الرحمان بدمي، بنغازي.

43. فليب فرج، يوسف كرباج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي والتركي، تر: بشير الصباغي، القاهرة، ط1، 1994،

44. القادري بوتشيش ، تاريخ الغرب الاسلامي (قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة)، ط1، دار الطليعة، بيروت.

45. (ـــــــــــــــــــــــ)، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

46. القبلي محمد ، مراجعات حول الثقافة والمجتمع بالمغرب الوسيط، الدار البيضاء، 1987.

47. كريم عاتي الخزاعي،اسواق بلاد المغرب من القرن السادس هجري حتى نهاية القرن التاسع هجري،الدار العربية للموسوعات،بيروت،ط2011،1/1432.

48. ليفي بروفنسال، الإسلام في الغرب والأندلس، تر: السيد محمود عبد العزيز سالم، القاهرة، 1956.

49. محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1970.

50. محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

51. محمد الوادي، الوجود اليهودي بالمغرب، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، 2007.

52. محمد بوزيان بن علي فجيج، أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي، ط1، دار النشر الجسور، وجدة المغرب، 2000.

53. محمد حسن،المدنية والبادية في العهد الحفصي،جامعة تونس الاولى،تونس،1999.

54. محمد حسن،المدنية والبادية في العهد الحفصي،جامعة تونس الاولى،تونس،1999.

55. محمد حمام، الغرب المسيحي والغرب الاسلامي خلال القرون الوسطى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط،(د.ت).

56. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط1، مكتبة الرشيد ناشرون، السعودية، 2003.

57. محمد لحول، القضاء بافريقية في العهد الحفصي، المعهد العالي للعلوم الانسانية، تونس، 2013.

58. مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، ط2، دار هومة، الجزائر، 2000.

59. النيهاني تقي الدين، الشخصية الإسلامية، ج2، ط5، دار الأمة، بيروت، 2003.

60. واديورانت، قصة الحضارة، تر: محمد بدران، ج14، القاهرة، 1975.

61. وهبة الزحلي، آثار العرب في الفقه الإسلامي، ، ط3، دار الفكر، دمشق، 1981.

62. وهبة الزحلي، آثار العرب في الفقه الإسلامي، ، ط3، دار الفكردمشق، 1981.

63. (ـــــــــــــــــــــــــــــــ)، فقه الإسلام وأدلته، ج6، ط2،دار الفكر، دمشق، 1985.

64. وهبة الزحليي، فقه الإسلام وأدلته، ج6، ط2،دار الفكر، دمشق، 1985.

65. يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، دار الشباب، الجزائر، (د.ت).

**الرسائل الجامعية :**

1. بوحلوفة محمد الأمين ، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي 914هـ/1508م، اشراف: بوركبة محمد، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2013ـ2014.

2. بوشامة عاشور ،علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الاداب، جامعة القاهرة،1991.

3. حمدان جمال ، اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، 1967.

4. سيليني نور السادات ، أحكام كنائس النصارى في بلاد المسلمين، مذكرة لنيل درجة الماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2012.

5. طبي سمير، دور أهل الذمة في الدولة الاسلامية في العصر العباسي من 132 ـ447 هـ / 749ـ1055م، قسم التاريخ وعلم الاثار، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة باتنة، 2007ـ2008.

6. كرير زينب عبد الله أحمد ، أهل الذمة في العهد الحفصي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، 2005.

7. مريم محمد عبد الله جبودة، التجارة في بلاد افريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي(555 ه_980 ه/1160_1572 م) رسالة دكتورا،قسم التاريخ،جامعة الزقازيق،2008

**المجلات و الدوريات :**

1. حركات ابراهيم ، الجيش المغربي في عهد بني مرين، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية، ع8، الرباط، 1982.

2. زبادية عبد القادر ، التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، مجلة الأصالة ، ع26، مطبعة البعث ، الجزائر،1973.

3. علي احمد، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع57-58، 1996.

4. فاطمة بوعمامة، المرأة المعلقة في اليهودية والإسلام ، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد السادس، مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية، بوزريعة، 201.

5. مصطفى ابن حموش، يهود الاندلس في تلمسان( قصة التزوح والاقامة، مجلة الوعي، العدد4/3، مطبعة الديوان، الجزائر، 2011.

6. مقلاتي عبد الله، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مجلة الحقيقة، ع6، جامعة أدرار، 2005.

7. مولود طياب، الفينيقيون، حضارة وتاريخ، مجلة الثقافة، ع 109، وزارة الثقافة، 1995.

8. ميلق عبد القادر ، دور محمد بن عبد الكريم المغيلي في مقاومة يهود توات،حوليات التاريخ و الجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2012.

9. اليماني خوسيه ، الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، تر: أحمد مدنية، مجلة دعوة الحق، ماي، 1978.

## المراجع بالأجنبية :


1. ـ Golven, Notes sur les origines anciennes des Israielite J. Marot, ed herpen, Vol 01, 1921
2. Andrée Chouraqui, Marcher vers l'occident, les Juifs d'Afrique du Nord, France, P.U.F, 1952.
3. DEVERDUN Marrakech des origines à 1912 T1 Rabat 1952.
4. Dufourcq; hespagne catalane et le Maghreb au XIII et XIV siecle ; PUF.
5. Fantar Decret, l'Afrique du Nord dans l'antiquité des origines au 5ème siecle, Ed Paycet, Paris, 1981.
6. Gabriel Camps, Berber au Marges de l'histoire, Ed Hespirides, Toulouse, 1980.
7. Golven, Notes sur les origines anciennes des Israielite Marot, ed herpen, Vol 01, 1921, p 326.
8. Goutier (A) mediterranean, society the Jervish communilier, the arab word as portayedin the documents of the cairo Genzer 969.1280, Vol 03, ed university of California, Press, 1978.
9. H, Terrasse, Histoire du Maroc, Ed. Athlantides, Casablanca, 1949.
10. Haim-zafrani ; les juifs du maroc ; vie social ; economique et religieuse ; paris ;1973 .
11. Hirschberg, A history of the Jewis in North Africa, Peiden, 1974.
12. Mas Latrie, Relations et commerce du Maghreb avec les nations Chrétiennes au moyen Age, Paris, 1886.
13. Nahum Slouch, études sur histoire des Juifs et de Judassme au Maroc, Tome 2,Publication de la mission scientifique ,Paris,1905_1906,P139.
14. P. Monceant, les colonies Juives de l'Afrique Romanises, R.E.J, 1908.
15. Paul BERTHIER, Essai sur l histoire du massif de Moulay Idris ,de la conquête musulmane a l établissement du protectorat français ,Ed .FELIX Moncho ,Rabat ,1938.
16. R Rcard Contribution à L étude du commerce génois au Maroc durant la période portugaise(1415/1550) Tome3 (A.L.E/O) Alger 1937
17. R.Brunchvig La Berberie Oriental Sous Les Hafsides Des Originisa La fin du XV siecle LInstitut d étude orientales d Alger T premier Paris 1940
18. Sloush (N), Etude sur l'histoire des Juifs du Maroc, Archiver Marocaines,
19. V4, 1905.
20. Terrasse, H, Histoire du Maroc, Ed. Athlantides, Casablanca, 1949.

# فهرس الأعلام والأماكن:

1- فهرس الأعلام

2- فهرس الأماكن والقبائل

## 1ــ فهرس الأعلام

(ا)


أبا سعيد المر يني ..... 69
ابراهام القرطبي ..... 129
إبراهيم بن أحمد بن محمد ..... 43
ابراهيم بن عبد الجبار ..... 143
إبراهيم بن عطا ..... 35
إبراهيم فافا ..... 82, 130
ابن أبي اصيبعة ..... 81, 82, 83, 102
ابن أبي دينار ..... 32, 58, 65, 77, 135, 184
ابن أبي زكريا الوطّاس ..... 146
ابن الجزار ..... 81
ابن الحاج ..... 62, 63, 99, 101, 184
ابن الخطيب ..... 33, 34, 50, 52, 99, 131, 184
ابن القمط ..... 133
ابن النغريلة اليهودي ..... 123
ابن خلاص ..... 123
ابن خلدون ... 22, 24, 25, 32, 33, 38, 41, 45, 46, 47, 50, 52, 55, 65, 77, 92, 93, 97, 103, 114, 115, 118, 123, 125, 126, 132, 133, 153, 186
ابن دندان ..... 69
ابن رشد ..... 72, 83, 149
ابن سهل ..... 68, 123, 143
ابن عبد الحكم ..... 31, 32, 42, 44, 45, 186
ابن عذارى ... 32, 34, 35, 37, 42, 43, 46, 48, 56, 73, 77, 131, 132, 133, 186
ابن عطاء ..... 102
ابن مريم ..... 141, 142, 144, 146, 187
ابن مقديش ..... 102, 187
ابن منظور ..... 2, 6, 7, 10, 12, 187

أبو عمران موسى الفاسي.....35
أبو عمرو عثمان ..... 77, 124
أبو معرف محمد.....133
أبو يحيى بن أبي العباس اللحياني.....112
أبو يوسف يعقوب .....69
أبي البقاء خالد.....125
أبي الربيع سليمان بن أبي عامر .....152
أبي العباس احمد .....77
أبي المهاجر دينار .....41
أبي زكرياء الحفصي ..... 52, 56
أبي يعقوب يوسف الموحدي.....104
أبي يوسف المر يني.....68
أبي يوسف يعقوب ..... 97, 152
أحمد الو طاسي.....102
أحمد بن المغربي الاشبيلي .....102
احمد بن طالب .....72
اديكيس.....70
ازفي اندرب .....118
إسحاق الإسرائيلي..... 81, 102
إسحاق الفاسي .....36
إسحاق بن إبراهيم بن سهل الأندلسي.....82
إسحاق بن علي.....77
إسحاق بن عمران ..... 81, 102
إسحاق بن يعقوب الفاسي..... 36, 83
الإدريسي ..... 32, 44, 47, 76, 103, 141, 145, 188, 195
امرفرنسيك.....118
أندري شوراكي.....24
احسداي ابن شبروط.....123

انسالم تورميدا ..... 124
أوغسطين ..... 39
إيزنبيث ..... 33

(ب)

البرزلي ..... 58, 84, 112, 139, 188
البكري .. 10, 33, 34, 35, 44, 45, 46, 47, 48, 51, 71, 77, 95, 96, 102, 115, 185
بافاطوماس ..... 119
برشلو بناط..... 118
برناط ديفونش..... 129
بريز دي قزمان ..... 133, 160
بلكين بن زيري ..... 35
بن الخنوس ..... 132
بن حاج يهودا ..... 119
بن حاج يوسف ..... 119

(ت)

تاكوطن تيفسرت ..... 131
تراجان ..... 26
تيتوس..... 25

التنسي ..... 52, 77, 142, 143, 146, 189

(ث)

ثيودوسيوس ..... 28

(ج)

الجز نائي ..... 73

جريجوري الأول .....30
جستنيان ..... 29, 40
جنسريق.....39
جنسريك.....29
جوناثان .....26
جيوفاني سكريبا.....57

(ح)

حسان بن النعمان..... 33, 42
حيون بن رقاصة .....160
الحسن الغرايب ..... 23, 57, 64, 74, 77, 83, 98, 100, 101, 104, 108, 109, 194
الحسن الوزان.... 24, 48, 52, 63, 70, 73, 74, 76, 95, 99, 104, 114, 115, 117, 128, 138, 153, 189
الحموي ..... 7, 15, 44, 45, 46, 47, 102, 116, 192
الحميري..... 11, 20, 33, 43, 44, 45, 47, 48, 100, 101, 104, 115, 189, 192

(خ)

خالد بن الوليد..... 5
خلفون .....22
خليفة ابن الأصغر.....152
خليفة بن حيون بن رقاصة.....125

(د)

دابرات .....120
داوود بن إبراهيم .....82
داوود رباني .....129
دبسليدو ولهم .....118
دقلديانوس .....38
دكيوس .....38
دوراتافرنسك ديرات .....119

دوناش بن تميم.....81
دوناش بن لبراط.....81

(ر)

ريمون برناط.....119
ريمون لول.....86
الرشيد.....16, 20, 65, 132, 198
الرصاع.....72, 124, 144, 145, 188
الروبرتير.....43, 131, 160

(ز)

زهير ابن قيس البلوي.....42
زواق برناط.....120
الزركشي.....50, 58, 77, 124, 125, 128

(س)

ساتون برناط.....120
سعد السعود.....77
سفريانون.....21
سيجمار.....22
سيدي محرز.....71, 138
السنوسي التلمساني.....142

(ش)

شاروز.....116
شلوم يوسف.....120
شوراكي.....25, 33, 54
الشماع.....125, 150, 151, 185
الشهرستاني.....6, 9, 10, 11, 40, 188, 190

(ص)

صرمان.....71

(ط)

طريف ..... 34, 35

(ع)

عبد الحق بن أبي سعيد عثمان ..... 123, 127
عبد الحق بن سعيد بن عثمان المريني ..... 160
عبد الله الترجمان ..... 124, 160
عبد الله بن سعد ..... 31
عبد الملك بن مروان ..... 33
عبد المومن بن علي ..... 123, 137, 194, 196
عبد المؤمن بن علي ..... 51, 55, 91, 108, 132, 137
عبيد الله المهدي ..... 102
عثمان بن عفان ..... 41
عطف ..... 77
عقبة بن نافع ..... 41
عقيبا ..... 26
علي بن يوسف ..... 37, 77, 91, 123, 131, 189
عمر بن الخطاب ..... 5, 11
عمر بن عبد الرحمان ..... 147
عمرو بن العاص ..... 11, 41
العصنوني ..... 141, 145, 146, 147

(ف)

الفجيجي المغربي ..... 143
فاسباسيان ..... 26
فراد ..... 118
فرار الأب ..... 118
فرنلو ..... 118
فلو ولهم ..... 118

الفرنج ..... 41

(ق)

قرط برناط ..... 118
قسطنطين ..... 28, 39
قمر ..... 77

(ك)

كابستا جوان ..... 118
كاتالوس ..... 26
كان دانيال ..... 118
كسيلة ..... 41
كوكوكريفي ..... 57, 129
الكاهنة ..... 27, 33, 34, 42

(ل)

لوبو (حسن بن( ..... 120

(م)

المالكي ..... 34, 113, 138
المأمون ..... 40, 55, 65, 75, 132, 137
المراكشي ..... 32, 51, 73, 75, 90, 130, 186, 190
المستنصر الحفصي ..... 58
ماركوس توريو ..... 27
مارمول كاربخال ..... 24, 92, 153
محمد الصفار ..... 124
محمد بن ميمو ..... 119
محمد بن هود الماسي ..... 55
مرتينت ..... 119
موريس ..... 30
موسى الغدامسي ..... 51

موسى اليهودي المترجم.....82
موسى بن السبتي.....126
موسى بن النصير.....42
موسى بن ميمون القرطبي.....82
موشي ها الغدامسي.....116
ميقائيل بن عبد العزيز .....84
ميمو بن حوتي .....119
المسيح .....7, 8, 9, 27, 40, 62, 63
المعز بن باديس..... 35, 102
المعز لدين الله .....123
المغيلي. ,195 ,192 ,161 ,153 ,147 ,146 ,145 ,144 ,143 ,142 ,141 ,140 ,107
199, 200

(ن)

نبوخذ نصر.....25
نسيم بن يعقوب القيرواني .....81
نيقية .....39
النميري .....134

(هـ)

هارون بن اسحاق ابن عزرون .....102
هارون وشاويل .....123, 127
هرقل .....30
هونوريوس الثالث.....75

(و)

الواثق..... 77, 150
الونشريسي.... ,107 ,103 ,99 ,98 ,97 ,95 ,93 ,85 ,76 ,72 ,68 ,59 ,18 ,17 ,15
113, 139, 141, 144, 145, 146, 148, 192, 199

(ي)

يخلف المكرط .....132
يخلف بن الأشنطير .....132
يعقوب ابن كلس .....122
يعقوب أديف .....153
يعقوب بن عبد الحق المريني .....125
يهودا ابن حيوح .....82
يهودا إسرائيل بن الديان الثاني بن صموئيل المغربي .....82
يهودا بن أبون .....83
يهودا بن نسيم بن مالكة .....82
يوبا الثاني.....27
يوسف بن يعقوب المريني .....125, 160
يوسف بن يهودا بن عقنين .....81

## 2ــ فهرس الأماكن والقبائل:

(ا)

أجدابية.....47
ازمور ..... 70, 153
إسبانيا ..... 30, 56, 78, 129, 131, 136, 158, 196
أصيلا .....42
أغمات..... 42, 47
إفريقيا 9, 20, 24, 25, 27, 29, 31, 32, 37, 41, 46, 56, 66, 85, 94, 186, 189, 191, 193, 195, 196
إفريقية 15, 32, 33, 35, 37, 39, 41, 42, 45, 46, 50, 99, 104, 107, 111, 113, 116, 118, 134, 135, 140, 184, 190, 192, 199
الاراغون ..... 112, 135, 136 ،56, 130, 133
الاراغونيين .....104

الإسرائيليون..... 6
الاسكندر ..... 11, 86
الإغريق ..... 27
الأغلبية ..... 35, 41
الأفارقة ..... 24, 32, 40
الأندلس 32, 34, 48, 50, 52, 53, 58, 63, 65, 68, 70, 72, 73, 75, 77, 84, 92, 93, 94, 97, 100, 107, 116, 123, 130, 148, 150, 186, 192, 194, 200
الأندلسيين..... 79
أنطاكيا..... 26
أنفا ..... 104
أوربة..... 31
أوروبا..... 51, 88, 91, 92, 106
أوريغة..... 31
آيت داوود..... 24
ايت عتاب ..... 153
إيطاليا..... 30, 38, 74, 106, 109
المغرب الأوسط .. 31, 38, 52, 53, 54, 73, 115, 117, 120, 133, 140, 141, 145, 156, 199

(ب)

البتر ..... 27, 40
البحر المتوسط ..... 40, 44, 91, 106
البربر .... 21, 22, 24, 27, 29, 30, 31, 38, 40, 41, 46, 52, 85, 108, 115, 155
البرتغال ..... 114, 129, 153
البرتغاليين ..... 111, 151, 153
البليدي ..... 22
البنل برنقر ..... 119
البيدق ..... 84, 85, 90, 131, 136
باجة ..... 42, 47, 156

باد70
بجاية .....50, 71, 72, 74, 99, 104, 108, 109, 111, 125, 135, 196
برشلونة ..... 43, 119, 120
برغواطة..... 31, 34
برقة..... 26, 27, 44, 45, 103, 156
بلاد الجريد ..... 48, 145
بلزمة.....46
بنو زيان.....52
بنو يفرن .....31
بني إسرائيل..... 7, 24
بني حفص ,52, 56, 58, 65, 74, 75, 76, 77, 85, 93, 94, 95, 97, 98, 102, 104, 105, 112, 124, 125, 130, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 150, 156, 158, 159, 160
بني حماد .....36
بني مدرار .....34
بني مرين ,52, 56, 63, 69, 74, 75, 95, 96, 97, 105, 106, 112, 114, 123, 127, 128, 130, 131, 133, 134, 139, 140, 152, 157, 158, 159, 160, 191, 199
بني وانار .....131
بني وطاس.....123
بونة.....104
بيت المقدس ..... 7, 25
بيزا ..... 104, 108, 110, 111, 129
البيزنطيين ..... 31, 40, 41
(ت)
تازة.....70
تاشفين .....77, 91, 92, 131, 155
تامسنا..... 34, 47, 156, 195

تدنست .....70
ترشيش .....33
ترغالة.....70
تطاوين .....42
تفترة.....70
تكاووست.....70
تلمسان .....34, 35, 50, 53, 126, 133, 141, 142, 146, 200
تهودة.....42, 43, 48
توات .....116, 117, 140, 141, 143, 144, 145, 146, 147, 195, 197, 200
تونس .. 11, 32, 33, 35, 39, 46, 48, 56, 59, 60, 66, 71, 72, 74, 86, 94, 95, 97, 104, 106, 111, 116, 117, 118, 119, 120, 123, 129, 130, 135, 138, 144, 151, 159, 184, 187, 188, 189, 193, 194, 195, 196, 197, 198
التوشابيم.....53

(ج)

جبل نفوسة..... 45, 156
جراوة.....27, 31, 32, 33
جربة..... 45, 156
جرزيم..... 7
جزولة .....31
جنوة..... 107, 108, 109 ،129, 159
جوم .....118, 119
جيجل .....118
الجزائر الشرقية .....37

(ح)

الحفصيين..... 56, 66

(خ)

الخوارج.....34

(د)

درن ..... 94
الدومنكيين ..... 86, 158, 206
الدوناتية..... 39

(ر)

الرستمية ..... 34
الروم ..... 9, 15, 32, 41, 44, 48, 115, 131, 132
الرومان ..... 20, 21, 22, 23, 26, 27, 29, 37, 38, 155
روما ..... 30, 38, 39
الزيريين ..... 35

(ز)

زرادشت ..... 11
زرهون ..... 94
زغوان ..... 71
زناتة ..... 27, 31, 52
زواوة ..... 31

(س)

السامرة ..... 6, 7
السفرديم ..... 30
السنغال ..... 115
سبتة ..... 29, 31, 43, 48, 99, 123, 129, 156
سجلماسة ..... 47, 51, 91, 97, 101, 106, 108, 115, 117, 133, 156
سرت ..... 27, 45, 47
سلا..... 48, 108, 110
سوس ..... 51, 69, 96, 98, 131, 188
سوسة..... 22, 46, 48, 56, 156, 193, 196
السودان ..... 44, 46, 47, 91, 96, 98, 99, 106, 116, 117, 132, 147, 160

(ش)

الشام ..... 9, 24
شرشال ..... 27
شمال إفريقيا ..... 29
الشيعة ..... 34

(ص)

صفاقس ..... 45
صقلية ..... 42, 74
صنهاجة ..... 31, 35
الصابئة ..... 6, 10, 155

(ط)

طبرقة ..... 119
طبنة ..... 46
طرابلس ..... 31, 45, 51, 71, 72, 98, 116, 141, 156, 189
طليطلة ..... 30
طنجة ..... 29, 38, 43, 48, 116, 124

(ع)

العرائش ..... 104
العرب . 2, 4, 10, 11, 13, 17, 21, 22, 25, 34, 36, 138, 149, 186, 187, 193, 194, 198

(غ)

غرناطة ..... 33, 52

(ف)

فاس 35, 36, 38, 43, 44, 46, 48, 55, 69, 70, 73, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 85, 91, 92, 94, 99, 106, 110, 123, 127, 128, 129, 142, 144, 146, 156, 158, 160, 165, 184
فارس ..... 11, 36, 58, 116, 128, 136, 138, 194
فرنسا ..... 74, 110, 111, 151
فزازا ..... 47

الفرنسيسكيين ..... 86, 206

(ق)

القاهرة... 2, 12, 13, 20, 21, 28, 32, 33, 34, 40, 43, 44, 53, 60, 62, 63, 71,
75, 76, 79, 87, 93, 101, 105, 123, 137, 184, 185, 186, 187, 188, 189,
190, 192, 193, 194, 195, 196, 197, 198, 199
القبط .....33
القدس .....7, 29
القشتاليون ..... 80، 104
القوط.....30, 34, 39, 42
قابس ..... 45, 48, 95, 98, 99, 116
قبرص.....26
قرطاج ..... 37, 38
قرطاجة .....24, 27, 29, 42
قسنطينة..... 71, 111, 112, 125, 136
قشتالة ..... 74، 106, 133
قفصة ..... 41, 116, 134, 194
القيروان 33, 34, 35, 44, 46, 51, 58, 72, 80, 81, 82, 95, 105, 113, 156, 158,
189

(ك)

كتامة ..... 31, 35
كلدان ..... 6
كنعان..... 6, 24
الكاثوليكية.....23, 30, 39, 40

(ل)

لبدة..... 45, 156
لمطة .....31
لواته .....31

ليبيا ..... 21, 25, 26, 48, 114, 141, 189, 196

(م)

موريطانيا ..... 27, 37, 48
مالي ..... 117
المجوس ..... 6, 11, 203
المرابطون 132، 160, 131, 123, 101, 100, 94, 91, 57, 55, 50, 48, 46, 43, 36, 197
المرينيين ..... 65, 66, 133, 196

المشرق ..... 34, 95, 99, 116
المصموديين ..... 131
المغرب 2, 7, 15, 19, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 37, 38, 39, 40, 41, 43, 44, 45, 46, 47, 50, 51, 52, 53, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 63, 64, 65, 66, 68, 69, 71, 73, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 87, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 111, 112, 113, 114, 115, 117, 118, 120, 122, 123, 125, 128, 129, 130, 131, 132, 133, 136, 137, 139, 140, 141, 143, 145, 147, 149, 150, 151, 152, 153, 155, 156, 157, 158, 159, 160, 161, 163, 165, 166, 184, 185, 186, 188, 190, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 197, 198, 199, 203, 204, 210
المغرب الأقصى .... 26, 27, 32, 71, 75, 96, 98, 101, 102, 104, 109, 114, 115, 120, 130, 151, 156, 160, 210
المهدية..... 46, 108
مراكش ..... 44, 48, 54, 55, 85, 91, 101, 132, 133, 137, 148, 193
مرسيليا ..... 92, 107, 109
مصر 3, 5, 11, 20, 25, 26, 33, 34, 38, 44, 45, 68, 99, 106, 115, 116, 122, 123, 185, 195, 196

مصمودة ..... 31
مغراوة ..... 31
مكناسة ..... 27, 48, 84, 156
ميورقة ..... 124
الموحدية ..... 50, 51, 52, 57, 74, 85, 90, 91, 108, 117, 132, 137, 156
الموحدين ... 26, 51, 52, 53, 55, 56, 71, 73, 74, 75, 78, 84, 85, 87, 90, 100, 103, 107, 115, 117, 123, 131, 132, 137, 151, 156, 158, 198
الميغوراشيم ..... 53

(ن)

الناصرة ..... 7
النصارى 5, 7, 8, 10, 15, 32, 38, 41, 43, 47, 48, 51, 52, 53, 55, 58, 61, 62, 63, 64, 66, 67, 73, 74, 75, 77, 83, 84, 85, 87, 93, 94, 95, 97, 98, 99, 100, 101, 103, 104, 105, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 124, 125, 129, 130, 131, 132, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 148, 149, 150, 151, 155, 156, 157, 158, 159, 160, 199, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 210
نابلس ..... 7
نفزاوة ..... 31, 45, 74, 116, 156
نفوسة ..... 27, 32, 71, 72, 98, 106
نوميديا ..... 37
النكور ..... 47

(هـ)

هوارة ..... 31

(و)

الوطاسيين ..... 102, 134
ولاتة ..... 117
وهران ..... 103, 108, 141, 199
الوندال ..... 29, 39

(ي)

اليعقوبية..... 8
اليهود.. 5, 6, 7, 13, 19, 20, 21, 22, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 33,
34, 35, 36, 37, 40, 44, 45, 46, 47, 50, 51, 52, 53, 55, 58, 59, 60, 61,
63, 64, 65, 66, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 75, 76, 78, 80, 83, 90, 92, 93,
94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 102, 103, 105, 106, 107, 112, 113, 114,
115, 116, 117, 120, 122, 125, 127, 128, 129, 130, 137, 139, 140,
141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 153,
155, 156, 157, 158, 159, 160, 161, 163, 193, 194, 195, 196, 198,
199, 200, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 210

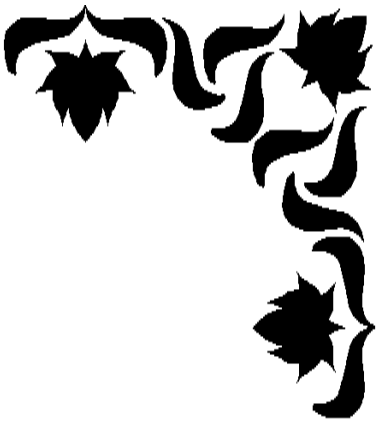

# فهرس المحتويات

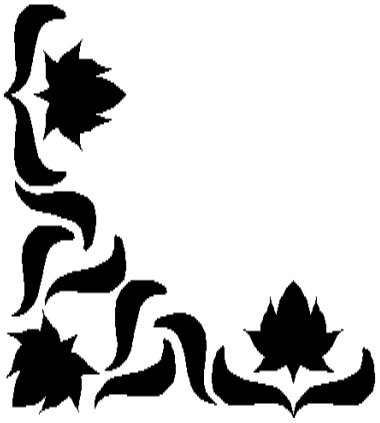
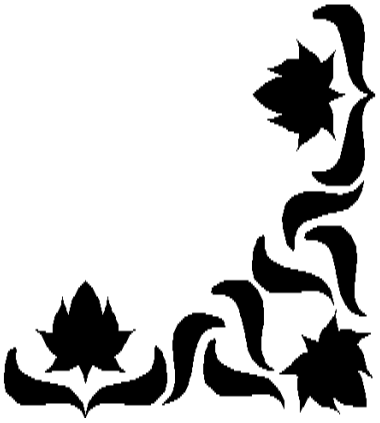

شكر:
اهداء:
مقدمة:.....أ
**فصل تمهيدي: أهل الذمة**
أولا: تعريف أهل الذمة:.....02
ثانيا: أصناف أهل الذمة:.....04
1ــ اليهود:.....05
2ــ النصارى:.....07
3ــ الصائبة:.....09
4ــ المجوس:.....09
ثالثا: واجبات وحقوق أهل الذمة:.....11
1ــ الجزية:.....11
2ــ شروط عقد الذمة:.....12
3ــ حقوق أهل الذمة:.....12
رابعا: نواقض عهد الذمة:.....15
**الفصل الأول: الهجرات الذمية إلى بلاد المغرب**
أولا: عوامل انتشار اليهودية والمسيحية ببلاد المغرب.....18
1ــ عوامل انتشار اليهودية:.....18
ت. العامل الديني: 18
ث. العامل الاقتصادي:.....19
ج. العامل الاجتماعي:.....19
2ــ عوامل انتشار المسيحية:.....20
ت. العامل الديني:.....20
ث. العامل الاجتماعي:.....20
ج. العامل الاقتصادي:.....21.

ح. العامل السياسي:.....21
خ. ثانيا: هجرات أهل الذمة إلى بلاد المغرب من القديم إلى بداية القرن 6هـ/12م.....22
1ـ الاستقرار اليهودي ببلاد المغرب:.....22
اليهود في العهد الروماني: .....23
اليهود في العهد الوندالي:.....27
اليهود في العهد البيزنطي: .....27
اليهود في ظل الحكم الإسلامي: .....29
اليهود في الحكم المرابطي:.....34
2ـ الاستقرار المسيحي ببلاد المغرب: .....35
أ. العهد الروماني:.....35
ب. العهد الوندالي: .....37
ج. العهد البيزنطي: .....38
د. النصارى في ظل الحكم الإسلامي: .....39
هـ. النصارى في الحكم المرابطي: .....41
ثالثا: مناطق استقرار اليهود والنصارى بالمغربين الأدنى والأقصى .....42
1. منازل اليهود:.....42.
منازل اليهود بالمغرب الأدنى: .....42
منازل اليهود بالمغرب الأقصى: .....44
2. منازل النصارى: .....45
**الفصل الثاني : الدور الاجتماعي لأهل الذمة (6ـ10هـ/12ـ16م):**
أولا: الحياة العامة لأهل الذمة بالمغربين الأدنى والأقصى .....48
1ـ تركيب المجتمع اليهودي والنصراني: .....48
ا_ تركيب المجتمع اليهودي:.....48
أ1ـ يهود الأهالي"tochabim": .....51
أ2ـ يهود المطرودين"megorachim": .....51

ب-تركيب المجتمع المسيحي:.....53
ب1ــ المرتزقة:.....53
ب2ــ القناصل والموثقون:.....54
ب3ــ العبيد والأسرى المسيحيون:.....55
ثانيا: دور اليهود والنصارى في المحافظة على العادات والتقاليد : .....56
الأعياد الدينية:.....56
الأعياد عند اليهود:.....56
الأعياد الشرعية.....56
رأس هيشا:.....57
الكبور: .....57
عيد المظلة: .....57
بيساح "عيد الفصح": .....58
عيد الشلفوعوت: .....58
الأعياد الغير شرعية:.....58
البور يم"عيد الفوز":.....58
عيد الحنوكة: .....58
أعياد النصارى: .....59
عيد الميلاد: .....59
النيرون "عيد الربيع":.....59
عيد العنصرة "يوم ميلاد القديس":.....60
عيد الغطاس "يوم الغطاس":.....60
ب ــ العادات والتقاليد:.....60
ثانيا: دور اليهود والنصارى في التنظيم الاجتماعي:.....62
1 تنظيم الأسرة الذمية:.....62
ا-الزواج: .....62

ب-تعدد الزوجات:.....63
ج-الطلاق: .....64
2-التنظيمات السكنية:.....65
ا- التنظيمات السكنية عند اليهود:.....66
ا1-الملاح: .....66
ا2-الحارة: .....68
ب- التنظيمات السكنية عند النصارى: .....70
ب1-القيصارية: .....71
ب2- ربض النصارى: .....72
ج-اللباس: .....72
د-دور المرأة الذمية بالمغربين الأدنى والأقصى:.....74
ثالثا: الحركة العلمية لأهل الذمة بالمغربين الأدنى والأقصى(6-10ه/13-16م):.....75
ا- الحركة العلمية عند اليهود(6هـ-10هـ/12ـ16م):.....76
ا2-بيت همد راش:.....77
ا3-الياشيفاه:.....77
ب-الحركة العلمية والدينية عند نصارى المغربين"6-10ه/12-16م" .....81
ب1-إتقان اللغة العربية:.....81
ب2-دور النصارى في نشر المسيحية بالمغربين الأدنى والأقصى: .....82
فرقة الفرنسيسكيين:.....84
فرقة الدومنكيين:.....84
**الفصل الثالث: الدور الاقتصادي لأهل الذمة (6ـ10هـ/12ـ16م):**
اولا:الوضعية الاقتصادية لأهل الذمة خلال الحكم الموحدي:.....87
1_الوضعية الاقتصادية لليهود: .....87
2_الوضعية الاقتصادية للنصارى:.....88
ثانيا:النشاط الاقتصادي لأهل الذمة: .....89

ا_الفلاحة والزراعة عند اليهود والنصارى: ..... 89
1_المحاصيل الزراعية:..... 89
2_الري:..... 91
3_تربية الحيوانات: ..... 91
ب_الحرف والصنائع عند اليهود والنصارى:..... 92
1_الصناعة التعدينية:..... 93
2_صناعة الاقمشة (الكتان): ..... 95
3_صناعة الخمور: ..... 96
4_حرفية البناء: ..... 97
5_احترافية الطب:..... 98
ج_التجارة: ..... 100
وضعية التجار المسيحيون:..... 100
ج 1_تجارة النصارى:..... 100
ج2_وضعية التجار اليهود: ..... 102
ثالثا:الدور التجاري لليهود والنصارى بالمغربين الادنى والأقصى. ..... 104
1_المعاهدات التجارية وأثرها في تحسين وضعية النصارى بالمغربين ..... 104

**الفصل الرابع:أهل الذمة ودورهم السياسي في المغربين الأدنى والأقصى (6ـ10هـ/12ـ16م)**

أولا:الدورالدبلوماسي لأهل الذمة بالمغربين(6ـ10هـ/12ـ16م) ..... 114
1ـ الوزارة: ..... 114
2ـ الحاجب:..... 117
3ـ صاحب الشرطة:..... 119
4ـ القناصل: ..... 120
ثانيا: الجند المسيحي ودورهم العسكري بالمغربين الأدنى والأقصى:..... 123

1ــ الدور العسكري للفرق المسيحية بالمغرب الأقصى: ..... 123
2ــ دور الفرق العسكرية بالمغرب الأدنى: ..... 127
ثالثا: موقف العامة والخاصة من التواجد الذمي: ..... 128
1ــ الوجود المسيحي:..... 128
2ــ اليهود: ..... 131
3ــ موقف العلماء من امتيازات اليهود :..... 133
4ــ الجدل الديني: ..... 140
رابعا: أثر اليهود والنصارى بالمغربين الأدنى والأقصى: ..... 141
1ــ نقل الثقافة الاسلامية الى العالم المسيحي: ..... 143
2ــ دور اليهود والنصارى في الفتن والاضطرابات السياسية:..... 143
أــ دور النصارى في النزاعات: ..... 144
ب ــ دور اليهود في الفتن: ..... 144
خـــاتمة ..... 148
الملاحق..... 151
البيبليوغرافيا ..... 182
الفهرس ..... 206

**الملخص :**

تهتم هذه الدراسة بدراسة الدور الحضاري لفئة من فئات مجتمع المغربي ، المتمثلة أساسا في طبقة أهل الذمة خاصة اليهود والنصارى، بداية من القرن 6ه / 12م الى 10ه / 16م .

تمتع أهل الذمة بسياسة التسامح الديني وحسن الجوار مع المسلمين المغاربة ، فكان لهم بذالك دور سياسيا واقتصاديا واجتماعيا في كل من المغرب الأدنى والمغرب الأقصى .

الكلمات المفتاحية : المغرب الأدنى ، المغرب الأقصى ، أهل الذمة ، اليهود ، النصارى .

**RESUME :**

Cette étude appréhende le rôle civilisationnelle de lune de la caste de la société Maghrebine, incarnée par les dhemmis, plus particulièrement les Juifs et les Chrétien des 12 siècles au 16 siècle.

Cette caste s'est bénéficiée dune politique de tolérance religieuse et du bon voisinage avec les musulmans Maghrébins, ce qui les a permis de jouer un rôle important politiquement, économiquement, et sociétal au proche Maghreb et l'externe Maghreb.

**Mot clés** : proche Maghreb, externe Maghreb , les Dhemmis ,Juifs, Chrétiens

**ABSTRCT** :

This study apprehends the civilizational role of the moon of the caste of the Maghrebine society, incarnated by the dhemmis, especially the Jews and the Christians of the 12th centuries to the 16th century. This caste benefited from a policy of religious tolerance and good neighborliness with the Maghreb Muslims, which allowed them to play an important role politically, economically and socially in the Maghreb and the external Maghreb.

**Key words**: near Maghreb, external Maghreb, the Dhemmis, Jews, Christians